شراع قصصية سليمانية

(الجزء الأول)

(من القصة الأولى حتى القصة المئة)

نحو قصة عربية أصيلة وهادفة وبناءة وجادة ومحترمة

بقلم

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

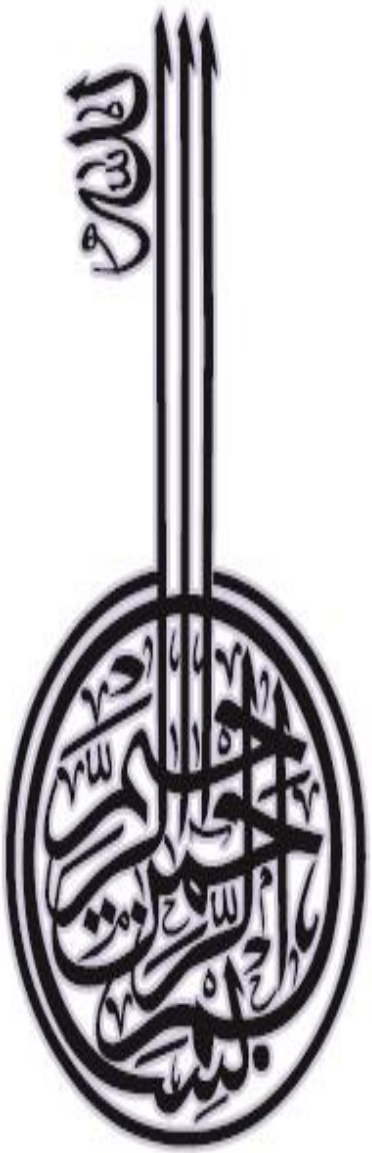

الإهداء!

(أهدي هذه الشريحة القصصية ، إلى هواة القصة والباحثين عن

العبرة فيها ، ليتأملوها وليتدبروها ، وليعملوا بمقتضاها!)

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

1 - بارك الله فيكِ يا أمل!

(أمل شابة في العشرين كان أحد اللصوص قد سرق في غفلة منها حقيبتها. ورأته فوعظته وعلمت منه أنه ذو حاجة وعيال ، فأعطته من مالها الكثير ابتغاء وجه الله ، شريطة أن يتوب إلى الله ففعل. قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾. وقال: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. ولما خاض مِسطح بن أثاثة فيما خاض فيه من حادثة الإفك وأنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح لقرابته وفقره قال أبو بكر رضي الله عنه: "وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ"! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا". رواه البخاري. ولقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ). وروى أحمد عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرَحُ فِي جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَيَتَصَدَّقُ بِهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصَدَّقَ بِهِ). صححه الألباني في "الصحيحة". وروى أحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ: لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا ، وَلَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا ، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ). صححه الألباني في "صحيح الترغيب". وروى أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يَغْفِرْ اللَّهُ لَكُمْ) .وصححه الألباني في "صحيح الترغيب". فكتبت لأمل الشابة العشرينية المسامحة الكريمة هذه القصة مباركاً ، سائلاً الله أن يبارك فيها وفي مالها.)

2 - أريج التصابي (الحذاء الكلاسيكي)

(عندما تبتذل نفسها العجوز ، وتحاول أن تتقمص شخصية فتاة العشرين الساقطة ، فإنها تخسر وقارها واحترامها وهيبتها ، ويستهجنها أراذل الناس فضلاً عن الصالحين منهم! ومَن مِن الناس تستهويه عجوز متبرجة متزينة مستعطرة؟ إن الكِبَر له حكمه ، وإن الشيب له تجلته. وإذا لم تدرك كل عجوز ذلك ، فإنها لا تحتقر إلا نفسها! وعليها أن تتذكر أنها تعد أياماً تموت بعدها! وأنا هنا أناجي أريج التصابي أن يترفق بهذه العجوز التي آثرتْ - لحماقتها - أن تعيش في غير سنها! فأظهرت ما يزهد الناس فيه!)

3 - صَدَقتي أولى من سحوري!

(في أحد برامج إذاعة (Mont Carlo) الدولية الهادفة (وما أقلها!) كان على كل متصل أن يأتي بذكرى قديمة وأخرى معاصرة عن شهر رمضان. وفاتني سماعُ الذكرى القديمة لهذا الرجل. وإنما فقط تابعتُ سماع الحديثة. يقول: دخلتُ أحد الأسواق الكبيرة في (أبو ظبى) لأشتري سحور ومستلزمات شهر رمضان قبل بدء صيامنا بيوم. وبينما أنا أتجول في السوق إذا أنا بصبي يقارب العاشرة ، يحتال على أمه في شراء الموز. فحاولتْ إقناعه جاهدة بأن الموز غال ، حيث إن الموزة الواحدة بدرهم. ولكن رغبة الصبي في أكل الموز لا تعرف مثل هذي العلل. ورحتُ أتابعُ عن قرب هذا الحوار. وإذا بها تقول له: في نهاية تسوقنا اشتري لك واحدة. فاقتنع نسبياً. ثم تسوقتِ المرأة واشترت لابنها موزة واحدة. وظللتُ أتابع ولم أتسوق لأرى نهاية هذا الموقف. فإذا بي عند باب ذلك السوق الكبير أجد الصبى يلتهم الموزة بقِشرها. فقلتُ له عن بُعد: قشّرْها يا بني ، إذ كيف تأكل القشر؟ فتوقف عن أكلها ، فأمسكتُ بها من يده مداعباً ملاطفاً ، وقشرتها له. فسألني قائلاً: وماذا أبقيت لي منها؟ إنها موزة واحدة ، وكنتُ آكلها بقشرها ليُعوضني القشر عن موزة أخرى! فقلتُ له: انتظر هنا وسوف آتيك بكرتونة موز كاملة من أحلى الأنواع. فقال: أنتظر. وذهبتُ وقمتُ بإحضار كرتون موز كاملاً أهديته للصبي ، وأعطيتُ أمّه المسكينة الفقيرة كل الذي كان معي من الدراهم. وعدتُ بلا سحور ولا شيء ولا طعام ولا فلوس ، وكنت سعيداً. وحكيتُ هذا للأهل والأولاد فكانوا أسعد مني. وعلل الأخ حكايته تلك بأنه أوردها لحث الآخرين على الإحساس بالفقراء ، ففي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن ، وأن يفرِّج عنه غمًا ، أو يقضي عنه دينًا ، أو يطعمه من جوع). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، وحسنه الألباني في الصحيحة. وفي رواية للطبراني "إن أحب الأعمال إلى الله - تعالى - بعد الفرائض -: إدخال السرور على المسلم ، كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت حاجته". وروى الإمام البخاري عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. والأستاذ عقيل بن سالم الشمّري ذكر في محاضرة طويلة مائة فائدة تربوية في رمضان ، وهذه السابعة منهن: (رمضان تربية للجود بجميع أنواعه: أ - جود المال: ففيه الحث على الصدقة وتفطير الصائمين والإنفاق وتعهد الأرامل والمحتاجين. ب - جود الوقت: ففيه نفع المسلمين والمشي في حاجاتهم والقيام على شؤونهم. ج- جود الذات: ففيه بذل الجاه عند الأغنياء وأصحاب اليسر ابتغاء الأجر من الله. د- الجود ببذل الأعمال الصالحة: فيفعل الصالحات وينوع العبادة ما بين فرض ونفل وصلاة وصدقة وقرآن وتفطير وإمامة وأذان وقيام على حاجات الناس وإنفاق وكلمة وخطبة وهكذا. ولهذا كان صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، أجود بالخير من الريح المرسلة كما ثبت في الحديث الصحيح).هـ. وتحت عنوان: (من مظاهر الجود في رمضان من السنة النبوية) يقول الدكتور محمد بن عدنان السمان (المدير العام لشبكة السنة النبوية وعلومها) ما نصه: (* الجود بالمال والصدقة: ويدخل تحت الجود بالعبادة ، لكن إفراده أيضاً لميزة خاصة للجود المالي في رمضان فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم (أجود الناس)، يجود بالمال والعطاء بفعله وقوله يعطي صلى الله عليه وسلم عطاء من لا يخشى الفقر ، قال الله تعالى: (من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً).هـ. فأنشدتُ على لسان ذلك المتصدق الكريم الذي جاد بموزه على الصبي البائس وجاد بماله على فقيرة بائسة مسكينة موقناً أن الله سيعوّضه!)

4 - كرمٌ زوجةٍ لا يُبارى

(ورثتْ هذه الموفقة عن أبيها مالاً وفيراً. إذ كانت هي الوريثة الوحيدة. وأعطت مالها كله لزوجها الفقير. لا لتشتري به حبه. فإنه يحبها. ولكنْ احتساباً للأجر ورحمة بالفقير. فكان ذلك منها صدقة عليه وصلة له. وكان كرماً لا يُبارى ، وجوداً يفوق جود الكثيرات من نسوة العصر. وكأني بها تعيد لنا ذكريات الصحابيات الأوليات أمثال زينب امرأة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما – وهي تستفتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل تعطي عبد الله بن مسعود من مالها تتصدق عليه؟ فأجابها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – أن: نعم! ففعلت. إن تكرار مثل زينب زوج ابن مسعود في هذا الزمان لأمر لا يكاد يُتخيل أو يُتصور أو يُصدق. وما أن سمعتُ بهذه الموفقة بطلة قصيدتنا حتى سعدتُ بها ، ليس ذلك فقط ، بل دعوتُ الله أن يتقبل منها ، ويضاعف لها الأجر ويدخلها الجنة. ذلك أن أغلب أزواج هذا الزمان ما أن تعطِ إحداهن زوجها مبلغاً يسيراً من المال حتى تمنّ عليه ، وتنال منه بغير حق. فليتها ما أعطت ولا منّت! وغيرها من النساء تريد صك مداينة ، وتشهد عليه من شاءت ، ليس لضمان حقها عنده فذلك لها ، ولكنْ إمعاناً منها في إذلال زوجها وفضحه! وأن تداين زوجها فهذا أمر مشروع ، ولكن بالحسنى وبدون فضائح! والتصدق عليه إن كان فقيراً أولى وأفضل ولا شك. والحقيقة أنني احترتُ في تمثل هذا التصرف من بطلة قصيدتنا في ضوء قصص الحب التي درستها في الأدب العربي والأدب الغربي بل في التاريخ الإنساني كله! كما أنني عرضته على جميع أنواع الحب العذري بين الزوجين ، في ضوء أقوال الأدباء والشعراء والكُتاب والفلاسفة فوجدته غريباً وخياليا جداً! حتى أنني كلما حكيت قصة بطلتنا لأحد ، استبعد حدوث ذلك واعتبره ضرباً من الخيال لا يزيد! فلقد صور الحب العذري الأفلاطوني هذا شكسبير فقال: (الحب أعمى ، والمحبون لا يُدركون مدى خطورة الخطوة التي يأتون إليها! فهذا صحيح حيث إن الإنسان عندما يحب شخصاً فيتحول إلى حالة ، يملك فيها قلباً وإحساساً واحداً! وهو في هذه الحالة يكون مستعداً للقيام بأي شيء في سبيل استمرار هذا الحب وهذه العلاقة! فقد يضطر إلى أن يضحّي بكل شيء ، فقد يضحّي بأهله وماله وعمله ، ووقتها لا يفكر إلا فى الحب واستمرار الحب. ويوجد بعض الحالات النادرة التي ينتحر فيها الحبيب أو الحبيبة من أجل انتهاء قصه الحب بأي شكل من الأشكال! فالحب في تصور الجاهلية حالة تصيب الإنسان بهستيريا صعب جداً العلاج أو التعافي منها بسهولة! فقد يخرج من هذه العلاقة سليماً ، أو قد يخرج محطماً! وهنا يقصد محطم المشاعر. والنفسية تكون غير قادرة على تقبل أو حب شخص آخر فيأخذ فترة تسمى فترة النقاهة أو الاستشفاء من الحب القديم ، حتى لو أحب كثيراً في حياته! فيبقى من بينهم حب واحد مميز صادق لا ينساه أبداً ، بل يستطيع أن يتمسك به ويترك كل شيء في الحياة. ويكون الحب بالنسبة له طريقاً يسلكه دون أن يعرف نهايته ، ولكنه مبسوط بالمرور في هذا الطريق. وتحدث شكسبير عن يوم الحب أو عيد الحب وقال: (نحن نعيشه كل يوم كل ساعة كل ثانية. فمن الطبيعي أن الإنسان يولد دائماً يحب أمه كثيراً لأن أمه لو ما لم تكن تحبه ما تعبت في حمله تسعة أشهر وولادته وتربيته فهو يكبر حتى يحبها! وبعد ذلك يبدأ في حب الحياة ، عندما تنظر عيناه إلى الضوء ، فيحب والده ومدرسته وعائلته وبيته وأصدقاءه. وبعد ذلك يذهب بالبحث عن الفطرة التي خلق بها وهي حب الجنس الآخر فيبدأ في البحث عن القلب الذى خلق لأجله والأنسب له ، فيحبه أيضاً ، ويتزوج من صاحبته وينجب الأطفال ويحبهم. فكيف لنا ان نجمع حب سنين في يوم واحد؟ من الممكن أن يحدث هذا بأن نحتفل به في يوم

مميز ذو طابع خاص!) ويقولون بأن الحب العذري خرافة وسخافة وأنها قصص خيالية ليس لها علاقة بالواقع! فمثلاً الأمير يتزوج من بنت الخباز الفقيرة! ولكن الواقع وهو عذر للوصول للرذيلة والإجرام والفجور ، فهل انقرض الحب بعد قيس وليلى؟ وأنا لي مدة طويلة أبحث عن معنى الحب العذري بشكله الحقيقي ومشاعره الحقيقية فلا أكاد أجد له وجوداً في زماننا! فهل انقرض أم لا؟ أنا لا أعرف ، ولكن هناك شيء بداخلنا ينبض فهل هو الحب العذري؟ وفي لحظة استجمعت المحطات التي علمتها من حياة بطلة قصيدتنا ، ورحت أتخيلها واقعاً يتجسد أمامي ككل عاشق لزوجته محب لها ، معتقداً أنني بدونها لا أعيش سعيداً ، وأن الحياة بدونها ضرب من ضروب العذاب! فما وجدتُ لبطلة قصيدتنا مثالاً اليوم! ، فلقد أعطتْ واحتسبتْ ، ولم تمن ولم تنل من زوجها ، ولم تأخذ عليه أي ضمانات. فتخيلتُ هذه المحترمة الكريمة المتصدقة تشفع المال – وهي تُهديه لزوجها - بكُليمات لطيفة رقيقة ، صُغتها قصة تحمل العبرة للغير!)

5 - حب الوطن من الإيمان

(عن إبراهيم الحربي قال: من تعدون الغريب في زمانكم هذا فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه ، وقال آخر: الغريب من فارق أحبابه ، وقال كل واحد منهم شيئاً ، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجلٌ صالح عاش بين قوم صالحين إن أمر بالمعروف آزروه ، وإن نهى عن المنكر أعانوه ، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا ما نوه ، ثم ماتوا وتركوه. شقاء الغربة الغربة مبنى آيلٌ للسقوط ، أسقفه قديمةٌ ، ولا تدري متى سينهار على رؤوسنا. في الغربة لا تدّعي امتلاكك لشيء ، في الغربة لا تملك إلا حلمك. خبز الوطن خيرٌ من كعك الغربة. وتبقى الغربة غربةً ، والهجرُ هجراً ، ويبقى ترابُ الوطن المسلم خيراً من الغربة وذهبها. هناك ثلاثة أشياء تغيّر نظرتك للحياة: فقدان القريب ، والغربة ، والمرض. لا تحاول أن تأخذ شجرتك معك إلى الغربة لتحظى بظلها ؛ لأن الأشجار لا تهاجر. وعن أبي العباس محمد بن إسحاق السراج قال: ما الذي حملك على الخروج منها قال: أقام بها أخي إسماعيل خمسين سنة فلما توفى ورفعت جنازته سمعت رجلاً على باب الدرب يقول لآخر: من هذا الميت قال: غريب كان هاهنا ، فقلت: إنا لله بعد طول مقام أخي بها ، واشتهاره بالعلم والتجارة يقال غريب كان هاهنا ، فحملتني هذه الكلمة على الانصراف إلى الوطن (دار الإسلام). وعندئذ يكون حبه من الإيمان والموت في سبيله شهادة في سبيل الله! وأجمل ما في الغربة أنها تجعل من الغرباء أصدقاء ، وتجعل من الأصدقاء إخوة. وأكبر عملية إعادة إنتاج يعيشها المرء ، تكون في أدق لحظات الوحدة والغربة وأكثرها هدوءاً. المدينة التي لا تعرفني ، أصبحت مدينتي ، وغربتي التي وجدت بعضاً من بعضها ، أصبحت وطناً. ورغم آلام الغربة وأشجانها ، لا يسع المرء إلا أن يغامر أحياناً مستعذباً العذاب في سبيل بقائه حراً ، وعزيزاً موفور الكرامة ، تهون الغربة وتهون أحزانها ما دامت في سبيل المقام العزيز. والغربة تجعل قلوبنا رقيقة كنسيج عتيق ، تتسرب المياه منه بسهولة ، ولا حصانة لمشاعرنا في الغربة ، دائماً ما يهزمنا الوهم. والغربة أن تبتعد عن الوطن ، أو أن تفارق أرواحاً كان لك فيها وطن. في الغربة ، كأن لنا حباً في أرض غير أوطاننا. والغربة هي أن تفقد حديث من تحب. وليست الغربة فقط مغادرة الوطن ، بل هي أيضاً مغادرة أوطان صغيرة من حياتنا كقلوب من نحب. واكتشفتُ في غربتي حقيقة أهلي!)

6 - الغربة خير معلم!

الغربة حزن كلهيب الشمس ، يبخّر كل ذكرى من القلب ليسمو بها. وأيّ غربة أشد من غربة المشاعر! فغربة الأوطان تهون بأمل العودة ، وغربة الأهل تهون بأمل. ولقد افترشتُ الغربة ، والتحفتُ بها ، فوَجدتني في وَطَني ، وقد اكتشفت معها طائراً نَسيته قبيلتنَا منذُ دُهورٍ ؛ اسمهُ الفرح. والغربة عمّن يراك وطناً ، صعبة وقاسية. ولقد علمتني الغربة أننا نملك أشياء كثيرة ، لكننا لا ندرك قيمتها. وعلمتني الغربة أن أكتم ألمي داخلي ، وإن كانت ستفضحه عيناي ، فلعلَّ الذي آلمني في تلك اللحظة ليس هو الذي عرفته أعواماً طويلة. وعلمتني الغربة الكثير ، والكثير ، وكان من بين ما علمتني أنها أخبرتني من أنا. وعلمتني الغربة أنها تعطيك كثيراً حين تكون فرداً ، وتأخذ منك أكثر حين تصبح عائلة.)

7 - أبتاه! أسعِدْني بردك!

(تغيب عن أبيه زماناً ، وسعى الواشون فأفسدوا ذات بينهما ، والأصل أن الناس يصلحون ذات البين بدلاً من إفسادها! فإذا لم يصلحوا فكان عليهم أن يحايدوا الأب وابنه! فتخيلتُ ذلك الابن يعتذر لأبيه ويرسل دموع الاعتذار شفيعاً له على تقصيره وتفريطه في حق والده عليه ويطلب منه المسامحة والعفو والصفح. وكأني به يستثمر مناسبة العيد ويستغلها قبل رحيلها ، وكأني به يقول لأبيه: تجاوز عني واجعله يوم جائزة لي عند ربي في الأرض والسماء! فقال يخاطبه في العيد: انتهز معي الفرصة يا أبي فإنها سانحة اليوم! وكنتُ أتوقع أن تأخذ الـ[الشفقة ويستجيب وينتهز الفرصة ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه! فما كان من الابن إلا أن ذهب إليه مصطحبا بعض الهدايا من التي يحبها والده! وأحسن الأب استقباله ، وأزالت هذه الزيارة الكثير من غبش التصورات التي أوجدها حقد الحاقدين وحسد الحاسدين وتغرير الوشاة! وتحت عنوان: (أعينوا أبناءكم على بركم) كتبت أديبتنا الفذة الأستاذة أميرة عسيري) تقول ما نصه بتصرف زهيد: (أليس للولد حقوق على أبيه؟ سؤال طرح قبل ألف عام ونيف! وحقيقة القصة أن رجلاً جاء إلي الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله ، يتباكى ويشتكي عقوق ولده ، فأحضر الولد العاق بدعوى والده ، وأنبهُ «الفاروق» على عقوقه - كلنا يعرف ماهية عقوق الوالدين - لكن الولد سأل ذاك السؤال ، الذي قلب الميزان وأدار دفة الحق: أليس للولد حقوق على أبيهِ؟! فأجابه «الفاروق»: بلى ، فسأل الولد العاق: وما هي يا أمير المؤمنين؟! قال «الفاروق»: إن ينتقي أمه ويُحسن اسمه ويعلمهُ الكتاب ، فقال الولد مفجوعا بأبيهِ: أما أبي فلم يفعل شيئا من ذلك ، أما أمي ، فإنها أمة كانت لمجوسي قبله ، وقد سماني «جعَلاناً» - أي خنفساء - ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلي الرجل ، وقال: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك ، وقد عققتهُ قبل أن يعقك ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك! فكم من ظالم هو المظلوم بعينه ، ودُعي الولد ليُقتص منه ، فسأل متعجباً متظلماً: أليس لي حقوق؟! أأنا هو الجاني أم المجني عليه؟! أأنا من عليه الحق أم أن الحق ليّ؟! فقيل لهُ: بلى! فسأل جاهلاً وقد نالهُ ما ناله: ما هي حقوقي؟! فسمع وأيقن باغتصاب حقوقه ومن الذي اغتصبها؟! من يُفترض بهِ أن يكون السند لا الخصم ، الحبيب لا العدو ، اليد الحانية ، لكنهُ كان الجلاد واليوم الأسود. لم لا نسأل قبل أن نصدر أحكامنا على الآخرين؟ لم

نصدر الأحكام جزافا دون استبيان الحق؟! كثير من الأبناء هم ضحايا لآبائهم ، فما الأبناء إلا اللبنة الرقيقة التي شكلها الآباء ، زرع ويأتي يوم حصاده. بر الوالدين واجب ، ولا يعنيني أبداً القول بعكس ذلك ولله الحمد. قال تعالى: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}. لا تدرون أيهم أقرب! وأيهم أكثر نفعاً؟! لكنها علاقة طردية تبادلية بالقوة والضعف ، فضعيف اليوم قوي الغد ، وقوي الأمس ضعيف اليوم ، لكن ضعف اليوم يصنع قوة الغد. دائماً ما نسمع عقوق الأبناء ، فلان ابن عاق وفلانة ابنة عاقة ، لكن ما لا يُسمع عقوق الآباء ، فلا يُقال فلان عاق لولده ، إن كان يُمكن أن يُسمى «عقوقاً»! لكن يُخيل ليّ أن المصطلح الأنسب لذاك هو «إضاعة الحقوق» ، حق هذا الغرس الندي. ازرعوا الخير لتحصدوا خيراً كبيراً ، الحب وحده لا يكفي كما يقال ، فالعدل ليس كساء وغذاء فقط ، العدل باب كبير. وتضُج أروقة المحاكم بقضايا العقوق ، ولكن قلما أو في النذر اليسير نجد ابناً يشتكي أباه ، نحمد الله على هذه النعمة فأعينوا أبناءكم على بركم).هـ. وأشكر الأستاذة الأديبة الموفقة أميرة عسيري على رأيها!)

8 ـ أبتاه لا تفعلْ ولك الأجر!

(طلب ذلك الأب من معلم ما أن يعلم أبناءه على اتفاق بينهما. وبدأ المعلم دروسه منتظراً أجره آخر الشهر ، فإذا بالأب يُدخل الشهر في الشهر الذي يليه ، إلى أن صار المعلم مَديناً بمبلغ كبير لدائن لا يرحم! وطالب المعلمُ الأب أكثر من مرّة بالوفاء ولكن لا فائدة. وذلك رغم غنى الأب ولعبه بالملايين. ولمّا لم تفلح المحاولات ، عمد إلى أحد أبناء الرجل من الذين يدرسّهم ، وكان قد آنس فيه رُشداً ورجولة ، فطالب الابن أباه فماطل كعادته. ثم في نهاية المطاف دفع الابن المبلغ كاملاً من مصروفه الخاص ليشتري سُمعة أبيه موهماً المعلم أن أباه كان مشغولاً طيلة الوقت وأنه أعطى أجر المعلم له ويعتذر له! فسُر المعلم بذلك أيّما سرور ، وعاد الابن يقول لأبيه: أبتاه لا تفعل مثل هذا بعد اليوم ، لقد أدّيت عنك من مصروفي الخاص! فكانت صفعة على جبين الأب المليونير لا ينساها الدهر إن كان لديه بقية من شعور أو أريحية! وهنا تخيلت الابن يرسل رسالتين الأولى لأبيه يعظه ويرجو منه أن لا يماطل في دفع أجر المعلم! والثانية للمعلم يحثه فيها على أن يستمر في عطائه ولا يجعل مماطلة الأب مبرراً لعدم إتقان العمل! قال الأستاذ أبو وهيب في (منبر العرب) ما نصه بتصرف زهيد: (يعمل العامل الفني أو المهني عند صاحب البيت أو المشغل وإذ بصاحب البيت أو المشغل يماطل في دفع الحقوق لهذا العامل كالبنّاء أو الكهربائي أو القصّار وغيرهم من المهنيين وغير المهنيين (في أكل الحق) من خلال المماطلة ، وينسى قول الله تعالى للذين ظلموا والذين يأكلون الحقوق وينسون الآخرة حيث لا يملك أحد لأحد فيه نفعاً ولا ضراً: (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم به تكذبون) ، ويقول عليه الصلاة والسلام: "كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمّن يملك قوته)" ، اعلم أيها الحابس لقوت من يعمل عندك أن المُطل من غير عُسر آفة الجود. لهذا يجب عليك أيها المماطل أن تدفع الحقوق لأصحابها ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعط الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه". وهذا الحديث يتردد على ألسنة الناس كثيراً ويعرفونه حق المعرفة ، ولكن لا يعملون به إلاّ ما رحم ربي. إن هذه الحقوق أمانة في أعناق آكليها ، فيجب أن تُرد الأمانة لأصحابها والوفاء بالعهد هو أيضاً في الأعناق "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له". هذا ما وصّانا به الرسول صلى الله عليه وسلم. إن الدّيْن همٌ قاتل ومَذلّة وخِزي وعارٌ وقاهرٌ للرجال! ومن أدعية

الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال". وفي حديث آخر "نفس المؤمن مُعلقة بدَيْنه حتى يُقضى عنه". لهذا أذكرك أيها المماطل بقولي: وحاسبْ نفسك قبل أن تُحاسب ، وزنْ أعمالك قبل أن توزن عليك ، واتق الله في أبنائك وأطفالك وفي نفسك ورزقك ، اعلم أن الله لا يخفى عليه شيء فهو سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور وما تعلن! إياك والمماطلة وأكل الحقوق. اتق دعوة المُعْسر المظلوم ، فإنها لا تُرد! قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالاً من غير حلّة فدخل به النار". وقال: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، رجل أعطي بي ثم غدر ، (أعطي بي أي أعطى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه. إن ظلم الأجير أجره من الكبائر).هـ. إن هذه الأخلاقيات البسيطة قد أرشدنا إليها ديننا الحنيف! فلماذا غابت اليوم عن الكثيرين؟!)

9 - ابتسامات الأسى الملتهب

(والدٌ كم قسا على ولده وجرّعه الآلامَ والمِحن! والتي كان آخرها أن صفعه على وجهه وبعد صلاة العشاء في المسجد أمام الرفاق. فابتسم الفتى ابتسامة الأسى الممزوج بالصبر والاحتساب والمسامحة والتماس الأعذار! وغادر المجلس مستعبراً حزينا باكياً! فرُحتُ أعبّر عن هذا شعراً ، فقد رثيتُ لحالهما. أما رثائي لحال الابن فلأنه قد صُفع وجهه بدون حق وأمام أصدقاء له وأصحاب! وأما رثائي لحال الأب فلأنه لم يستطع أن يملك نفسه حال غضبه! ألا وإن الإنصاف يقتضي أن يحلم الأب ريثما تواتي فرصة يستطيع عبْرها إيصالَ فكرته لولده بدون اللجوء للضرب مرة واحدة! وهذا سلوكُ أب مع ابنه حال خروجهما من المسجد مهما كانت الأسباب والمبررات ، فكيف إن خرجا من سينما أو مسرح والعياذ بالله؟ فليكن الإفهام باللسان والكلام وليس بالضرب والصفع والإيلام! وما أجمل الابن لا يرد على أبيه أمام الناس ليزيد من تفاقم المشكلة! إنه الأدب الجم الذي عدمناه في زماننا هذا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! والدكتور أحمد الفرجابي الباحث العظيم يخطيء هذا الأسلوب القاسي في التربية عندما اشتكى إليه شاب قسوة أبيه ، فيقول ما نصه بتصرف يسامحنا عليه: (إن ما حصل من الوالد من قسوة ليس هو الطريق الصحيح للتربية ، وليست هي الطريقة المقبولة من الناحية الشرعية ، وكم تمنينا أن يكون في الآباء عفو وشفقة على أبنائهم والبنات ؛ لأن هذا هو هدي رسولنا -عليه صلوات الله وسلامه – الذي كان شديد الشفقة على الصغار ، والذي استنكر على من أنكر عليه أن يُقبّل الصغار ، عندما قال: (عندي عشرة من الولد ما قبلت منهم واحدًا) فنظر إليه النبي - عليه الصلاة والسلام – فقال: (من لا يرحم لا يُرحم)! وبعض الروايات قال: (أوَ أملك إن كان الله قد نزع من قلبك الرحمة). فإن القسوة في التربية بهذه الطريقة حتى مع الطفل وهو دون السادسة مخالفة للمنهج الإسلامي في التربية ، ولكننا مع ذلك ندعوك إلى أن تلتمس العذر لهذا الأب ؛ فقد يكون من الجاهلين ، والأمر كما ذكرت في السؤال أنه يعتقد أن هذه هي الوسيلة الصحيحة للتربية ، وهذا من الخطأ الذي ربما توارثوه جيلاً عن جيل ، والتربية بالقسوة والضرب بهذه الطريقة هي المسؤولة عن وجود جيل من المنهزمين الضعاف الذين ضاع في عهدهم وعصرهم سنوات عمرهم ، ضاعت فلسطين، وضاع كثير من أراضي هذه الأمة ؛ لأن التربية على القسوة الشديدة تورث التبلد والسلبية ، وعدم القدرة على اتخاذ القرار والتردد

والضعف والكراهية ، والنفاق الاجتماعي ، إلى غير ذلك من المعاني - بكل أسف - السيئة التي يمكن أن تظهر في مجتمع يعتمد هذه الطريقة القاسية في تربية أبنائه وبناته. ولكننا مع كل هذا نتمنى أن تغير هذه الفكرة ، وأن تُقبل على هذا الوالد ، وأن تحترمه ؛ لأنه والد ، ولأنه أيضًا عندما فعل ذلك كان يريد الخير ، فمشاعره نبيلة ، وهو يريد لك وبك الإحسان ، لم يكن القصد أنه يريد أن يؤذيك أو يلحق بك الضرر أو يوصلك إلى الموت – والعياذ بالله – ، ولكن كان هدفه من ذلك أن تكون رجلاً ناجحًا ، أن يراك ناجحًا موفقًا ، وكان هو يفعل ذلك يظن أنه يفعل الصواب ، وأنه يؤدي ما عليه بالطريقة الصحيحة ، ولكنه بلا شك أخطأ الطريق الصحيح. فنحن نوقن ونزكي هذه المشاعر النبيلة عند الوالد ، ولكنه أخطأ الطريق ، فكم من مريد الحق لا يصيب الحق ، وكم من مريد للحق لا يصل إليه ، وستعرف حقيقة هذه المشاعر لاحقاً عندما تصبح أبًا ، فإنه لا يوجد إنسان على وجه الأرض يتمنى أن يكون الآخر أفضل منه سوى الآباء والأمهات والصالحين من المعلمين والمعلمات ، فالوالد يريد أن يراك ناجحًا ، وعندما يرى منك بعض التأخر فإنه يشتد ويقسو عليك ويستخدم هذه الوسائل القاسية – بكل أسف – في ضربك وعقوبتك ، فعليك أن تنسى هذا الضرب - وقد ذهب الآن - وتذكر الدوافع الفعلية لهذا الأب ، هل كان يريد أن يُلحق بك الأذى؟ بلا شك هذا لم يكن في باله ، ولا يمكن للوالد أن يقصد هذا ، هل كان يريد أن يفضحك أمام الناس؟ بالطبع لا يوجد والد يرضى هذا لولده ، لكن كان يريد شيئًا واحدًا هو أنك تنجح وأنك تتقدم في هذه الحياة ، لكنه كان يُخطئ الطريق).هـ. ألا ما أجمله من منهج! ألا ما أعذبها من فلسفة نورانية تنبثق من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -! نفحنا بها الدكتور الفيلسوف المسلم أحمد الفرجابي! الأديب الواعي الذي انطلق في ردّه من تصور إسلامي قويم ، وعندما نقول عن الرجل بأنه فيلسوف نعني أنه رجل حكيم! لأن الفلسفة في معناها الأصلي: (حُب الحكمة)! والدكتور الفرجابي نراه حكيماً بهذا التحليل الرائع الذي أنصف الوالد والولد والوالدية والبنوة! وانطلق في تحليله وتشخيصه وعلاجه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - ، ولم ينطلق من فلسفات أرسطو الوثني المشرك ولا من هرطقات سقراط الغنوصي المشرك! ولا م تخاريف أفلاطون عابد الأصنام! إنما انطلق من قال الله تعالى ، قال رسوله – صلى الله عليه وسلم -! وهذا يكفي في وصف الرجل بالفيسلوف الحكيم! ولا نزكي على الله ربنا أحدا! أقول ذلك لأن أحدهم عاب عليّ وصفي لعالم ما من علماء المسلمين أو لأديب ما من أدبائهم أو لكاتب من كُتابهم بأنه فيلسوف! واستهجن وصفي هذا بقوله: أعوذ بالله! وكأنني قلتُ منكراً من البقول وزوراً!

10 - ابتهال (اللهم إليك أشكو)

(يقول الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) ويقول: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) ويقول: (وقال ربكمُ ادعوني أستجب لكم) ويقول: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء). وروى البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني). وروى ابن حبان والحاكم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (لا تعجزوا في الدعاء ، فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد). وخرّج أبو يعلى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدرّ لكم أرزاقكم؟ تدعون الله في ليلكم ونهاركم

فإن الدعاء سلاح المؤمن). وخرّج الترمذي أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: (الدعاء هو العبادة). وفي رواية أخرى: (الدعاء مخ العبادة). وروى الحاكم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله رحيم كريم يستحيي من عبده أن يرفع يديه ثم لا يضع فيهما خيراً). ومن هذا المنطلق كان للدعاء شأنه ومنزلته في إسلامنا. وإنه عندما يرى موحد قانت مخبت حرمات الله تنتهك وشعائر الله يستهان بها ، وأولياء الله منفيين أو مأسورين أو مقتولين أو مضطهدين ، وأعداء الله مقربين منعمين ، وحدود الله معطلة مغيبة ، ويرى نفسه ومن هو على شاكلته من أهل التوحيد أذل من الشاة وأقل قدراً في المجتمع بين الناس من الأمَة ، وأحط وأدنى من الذباب ، ولا حول ولا قوة ولا منعة ولا ظهور ولا أمان ولا عز لأهل الحق والخير ، فإنه والحال هكذا يتألم الألم الشديد ، ويكاد قلبه يذوب كما يذوب الملح في الماء. ذلك أنه يرقب الأمل الداني في أهل الخير من الذين يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، فإذا به يجدهم إلا من رحم الله أعداء يضرب بعضهم رقاب بعض ، ويبيع بعضهم بعضاً للشيطان من أجل عرض من الدنيا قليل ، فهم بذلك في أحبابهم وأصفيائهم من الزاهدين ، هنا يتسرب اليأس إلى قلبه لولا الأمل في الله تبارك وتعالى ، ومن هنا يضرع إلى الله ويبتهل ويشكو ما يعاني ، فعسى الله أن يصرف عنا سيئ الأحوال والأوضاع! لا يصرف عنا سيئها إلا هو سبحانه! وعلى هذا الأساس فإنه لا ينبغي لليأس أن يكسر على المؤمن القانت أسوار نفسه المنيعة ، لعلمه اليقيني أن الله يسمع ويرى ، ولإيمانه بمبدأ: (ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون)! إن هناك فرقاً كبيراً جداً بين مؤمن يعيش على الأمل في تحقيق موعود الله وسنته في الظالمين ، ومؤمن آخر يردد: (لا فائدة!) وقد أخذ منه اليأس والقنوط مأخذاً عظيماً! تقول الأستاذة سلوى العضيدان في بحثها العظيم: (هكذا هزموا اليأس!) ما نصه: (اليأس قيد ثقيل يمنع صاحبه من حرية الحركة ، فيقبع في مكانه غير قادر على العمل والاجتهاد لتغيير واقعه ؛ بسبب سيطرة اليأس على نفسه ، وتشاؤمه من كل ما هو قادم ، قد ساء ظنه بربه ، وضعف توكله عليه ، وانقطع رجاؤه عن تحقيق مراده ، إنه عنصر نفسي سيء ، لأنه يقعد بالهمم عن العمل ، ويشتت القلب بالقلق والألم ، ويقتل فيه روح الأمل. إن العبد المؤمن لا يتمكن اليأس من نفسه أبداً ، فكيف يتطرق اليأس إلى النفس وهي تطالع قوله تعالى: (وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ). أم كيف يتمكن منها الإحباط وهي تعلم أن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقدر الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). فإذا أيقن بهذا فكيف ييأس؟ إنه عندئذ يتلقى الأمور بإرادة قوية ورضا تام ، وعزم صادق على الأخذ بأسباب النجاح).هـ. وجزا الله خيراً الأستاذة سلوى العضيدان على هذه الفكرة! وعسى الله أن ينفع بها وبكِتاباتها وأبحاثها الجيدة المفيدة! إنها تضرب دائماً على وتر التفاؤل ونبذ التشاؤم ، وتحث مراراً وتكراراً على إحسان الظن بالله تعالى!)

11 - إباءُ المؤمنة المُحصنة

(تخيلتُ الأختَ المسلمة المؤمنة الوضيئة الطاهرة العفيفة ، وهي تردّ على زير النساء أخي زوجها الذي استغل سفر أخيه وراح يراود زوجة أخيه عن نفسها! بكل إباء وشموخ واعتزاز في إيمان الواثقة وثقة المؤمنة. وتبين أنها ليست من الفاسقات المتخذات الأخدان ، ولا هي من الخائنات لأزواجهن ، بل إنها تؤثر الموت على أن تلوث فراشها وتمتهن عِرضها

بمثل هذه الممارسات الدنيئة القذرة. وآثرتُ أن أورد قصتها بتفاصيلها الدقيقة. هذا كله حتى تتضح الصورة أمام القارئ ، ولتكن آية من الآيات وعِبرة من العبر ، من أننا وإن كنا في زمن الإباحية والإنترنت والتويتر والفيس بوك والتهتك والفجور ، فلا يزال في جيلنا العفيفات الطاهرات. ولأثبت كذلك أن تأثير القرآن والسنة في أهلهما لا يزال له بصماته في الكلمات والسلوكيات. يا قوم لا بد من كبح جماح النفس البشرية بكل سبيل! وتحت عنوان: (نوازع الخير والشر) يشاركنا الدكتور علي الطرّاح الرأي فيقول ما نصه: (إن النفس تحتوي على النوازع البشرية من خير وشر ، والتحكم في النوازع وظيفة العقل ، والنفس إما أن تكون أمارة بالسوء أو ميالة للخير. والنفس البشرية تحمل الصفتين معاً ، ونحن من يقوم بتهذيبها إذا ما كان العقل مدركاً لدوره البناء. والشر نزعة إنسانية تهاجمنا ولا تخلو النفس منه ، والفرق هو التمادي وتغليب الشر على الخير. ولعلنا نتذكر قول الخالق جل وتعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة" ، وهذه الآية توضح دور العقل في كبح جماح النفس وتوجيهها ومسؤولية الفرد نحو الشر والخير ، حيث هي خيارات نحن نملكها. احتار الكثيرون في فهم القلب ، وما إذا كان مجرد عضو مثله مثل باقي أعضاء جسم الإنسان ، لكن الآية الكريمة تقول: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" ، أي أن للقلب دوراً في الاستقبال والتحسس للسلوك ، لكن لا نعرف حقيقة ما إذا كان يخزن الأحاسيس أم لا! وكثير من المفاهيم قد تكون معقدة ، لكن لعل التشبيه الأنسب هو أن النفس والجسد مثلهما مثل الصندوق الأسود الذي يخزن كل المعلومات. وعندما نتأمل الإنسان ، تسيطر علينا الحيرة في فهم سر هذا المخلوق وقوة ترابط أجزائه ، فالجسد يستجيب عن طريق الحواس ، سواء الخارجية أم الداخلية ، ويقوم بالاستجابة المناسبة وفق ما هو مخزن في الذاكرة أو ما نطلق عليه الموجات الكهرومغناطيسية التي يستجيب لها الدماغ. والنفس البشرية في هذا المشهد تتفاعل مع المؤثرات ، وهي تحس ، ومن هنا قد تحزن أو تفرح أو تشعر بالطمأنينة).هـ. ولذا وجدنا هذه الأخت تتأبى وتصمد ، رغم غياب زوجها ، وكونها صارت حرة تفعل ما تشاء. ولكن رقابة الله دونها كل رقابها ، ونار الله دونها كل نار ، وعذاب الآخرة دونه كل عذاب. فتخيلتها في عباءتها السابغة وإبائها الفريد وعزتها القعساء الشامخة تصفع النذل على قفاه بهذا الرد الجميل الرائع!)

12 - اسمَعي يا سوزي

(ابتليت سوزي الفتاة الصالحة بزميلةٍ راحت تشككها في ثوابت العقيدة. وبدأت سوزي تسأل أسئلة غريبة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأسئلة أغرب عن جبريل والأرواح ، وأسئلة أشد غرابة عن الأحاديث النبوية فنصحتها قائلاً: ارجعي يا بنية إلى سبب نزول الآية: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}. إلى قوله تعالى: {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً}. وهو ما أورده السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس – رضي الله عنه – (أن أبا مُعيط (عقبة ابن أبي مُعيط) كان يجلس مع النبي – صلى الله عليه وسلم ـ بمكة لا يؤذيه وكان رجلاً حليماً وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه ، وكان لأبي مُعيط خليل غائب عنه بالشام ، فقالت قريش: صبأ أبو مُعيط. وقدم خليله من الشام ليلاً ، فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمراً ، فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ ، فبات بليلة سوء ، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحيّاه فلم يرد عليه التحية. فقال: مالك لا ترد عليّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت؟ فقال: أو قد فعلتها قريش! قال: فما يبري صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه ،

وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم. ففعل فلم يزد النبي أن مسح وجهه من البزاق ، ثم التفت إليه فقال: إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضربُ عنقك صبْراً ، فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه أبَى أن يخرج. فقال له أصحابه: أخرج معنا. فقال: وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبْرا. فقالوا: لك جمل أحمر لا يُدْرَك فلو كانت الهزيمة طِرْتَ عليه. فخرج معهم ، فلما انهزم المشركون وحَلَ به جمله في جُدَد من الأرض. فأخذه رسول الله – صلى الله عليه وسلم - أسيراً في سبعين من قريش وقدم إليه أبو معيط ، فقال: تقتلني من بين هؤلاء ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم -: نعم بما بزقتَ في وجهي.) وإذن فمجالس الأشرار وأهل الفساد مجالس نحسٍ مستمر. وها هو أبو طالب عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم - الذي طالما نافح عن النبي – صلى الله عليه وسلم - حتى أنه قال:

والله لن يَصلُوا إليك بِجمْعِهِمْ حَتَّى أوَسَّدَ في التراب دفِينَا

ودعْوتَني وَعَلِمْتُ أنّكَ صادِقٌ ولَقَدْ صَدَقْت وكُنْتَ قَبْلُ أمينا

انظر إلي جلساء السوء وكيف أرْدَوا صاحبهم (أعني: أبا طالب) في الجحيم. شؤمٌ ما بعده من شؤم أضلاه في حياته ومازالا به حتى أسلماه إلي النار والعياذ بالله. فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فوجد عنده أبا جهل ، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: يا عَمِّ قُلْ: لا إله إلا الله ، كلمةٌ أشهد لك بها عندَ الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب: أترغب عن مِلة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب ، وأبَى أن يقول : لا إله إلا الله. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك ، فأنزل الله: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}. وأنزل الله على رسوله – صلى الله عليه وسلم -: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}. يا بُنيتي: لا يزال الصاحب السيئ بصاحبه حتى يورده المهالك! فاختاري صويحباتك.)

13 - أسمى آيات التهاني

(إن المنشدين الإسلاميين على ثغر من ثغور الإسلام. ولا يجب أن يؤتى الإسلام من قِبلهم ، لأن الأمة كلها تتطلع إليهم وترتقب فيهم الآمال المنشودة. وإنني أحيي من أعماق قلبي كل عروس مسلم موحد وكل عروس مسلمة موحدة ، إذ آثرا مرضاة الله – سبحانه وتعالى – ولم يرضخا للفقه الجاهلي المعاصر بعُهره وخروجه السافر على الشريعة المطهرة السمحاء. إن الواحد منهما يجاهد في سبيل الله بإعلان التوحيد في قطعان المجاهرين بالمعاصي والموبقات ، ويجهر بالحق في دنيا الباطل ، ويُشهر سيف الحنيفية السمحة في وجوه أهل الجاهلية المعاصرين. إن كل عروس قصر ماله على إقامة الشرع سيبارك الله له في نفسه وأهله وماله وعروسه وولده. إن أهل الجاهلية في عِزة بالجاهلية اليوم ، وعما قريب سيعضون أصابع الندم ولات ساعة مندم! (يا قوم لكمُ الملك اليوم ظاهرين في الأرض). ويوم أن يعلوَ الإسلام عقيدة وشريعة ، مصحفاً وسيفاً ، قيادة وعبادة ، أقوالاً وأفعالاً ، سنرى أين هؤلاء يوم تزول الغربة

الجاثمة على صدور المؤمنين من مئات السنين؟! ولقد أثر في نفسي أحد أناشيد الأفراح الإيمانية الطاهرة ، وكم أثلج صدري نبرة الأداء الرقيق وعذوبة اللفظ الشفيق ، فأخذت أردد اللفظ واللحن ، ونسجت على ذات البحر والروي والقافية قصيدة أشارك بها في البديل الإيماني الحاني في هجير الجاهلية اللافح. فإن ير القارئ أني أفلحت ، فمن فضل الله تعالى ، وإن ير غير ذلك وأني أخفقت ، فلي شرف المحاولة. هذا ، وإنني لأقدم أسمى التهاني لكل عروس مسلمة آثرت حياض التوحيد على مستنقعات الجاهلية. ولله الحمد أولاً وآخراً ، وأنتهز الفرصة وأدعو لكل عروس بقولي: بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينك وبين زوجك في خير. ومن هنا وجب علينا أن نفوّت الفرصة على أعدائنا الذين حولوا أفراح المؤمنين وأعراسهم إلى مواخير فساد ورقص وغناء وعُهر ورذيلة! والناظر لأعراسنا وأعراس أعدائنا يدرك أن الفرق ليس بكبير! ذلك الفرق الذي كان ينبغي أن يكون أكبر مما بين السماوات والأرض من البُعد! والحمد لله على نعمة الإسلام ، وكفى بها نعمة! يقول أستاذنا محمد الخضر حسين: (إن الأمة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها في تاريخ نضالها العنيف ، هي مرحلة تقرير المصير ، وهذه المرحلة ـ بما لها من الخطر والأثر في مستقبل الأمة وحاضرها ـ تقتضي منَّا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا ، سواء من العدو الغاصب ، أو من أعوانه ، وأن نحذر دعاة الفتنة والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الأمة ، ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً ، ويعملون لغاية واحدة ، هي تمزيق الشمل ، وتشتيت الجمع ، وتفريق الكلمة ، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها ، فإذا ما تحققت غايتهم فإن الفتنة تصيب الأمة بأسرها).هـ. ألا وإن الشكر موصول للمنشد الكبير محمد بن رشيد المساعد حيث يرجع الفضل إليه بعد الله تعالى في انفعالي بالنشيد الإسلامي!)

14 - إشاراتٌ غالية الثمن

(إلى كل متزوجة تعشق على زوجها وتخون أمانتها وتتبع خطوات الشيطان حتى تسقط في الإباحية والرذيلة ، هاتكة بذلك الستر الذي بينها وبين الله تعالى ، تقول الدكتورة إلهام شاهين أستاذة العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر: (لقد وردت الآيات التي تحذر من الخيانة بعدة سياقات ، فمنها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور) ، وأيضاً يقول تعالى ذكره: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) ، والمعنى: (وإما تخافنَّ يا محمد من عدوٍّ لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر. فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء. يقول: فناجزهم بالحرب ، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنَّك قد فسخت العهد بينك وبينهم ؛ بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم ، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر. كما أن الخيانة تذهب البركة وتعجل عقوبتها فى الدنيا قبل الآخرة للخائن وعن أنس بن مالك قال: (إذا كانت في البيت خيانة ذهبت منه البركة). وعن خالد الربعي قال: كان يقال: (إنَّ من أجدر الأعمال أن لا تؤخِّر عقوبته ، أو يعجل عقوبته ، الأمانة تُخان ، والرحم تُقطع ، والإحسان يُكفر).هـ. وإنه لأحرى بكل خائنة ألا تستمر في خيانتها ، بل تطلب الطلاق من زوجها ، وتتزوج من الصعلوك زير النساء هذا الذي

عشق امرأة في عصمة رجل! أوَلم يجد إلا هذه الهازلة؟ إنها كما عشقت على زوجها يا صعلوك ، يا تافه ، يا سفيه سوف تعشق عليك ، وهكذا دواليك! ذلك أن العشق مرض يصيب النفس المنفلتة من عقال القيم والأخلاق والمبادئ! أعني العشق المحرم! ولست أعني العشق المباح الذي يكون بين الزوجين المتحابين! العشق مرض عضال ذكره الإمام ابن القيم – رحمه الله – واستفاض في الحديث عنه تشخيصاً وعلاجاً! وذلك في كتابه القيم: (الطب النبوي) ، فاذهب يا هذا وطالع تشخيص مرضك وعلاجه قبل أن يدركك الموت ، وأن تمارس العشق المحرم! وأنت أيتها الخائنة ضعي حداً لعشقك المحرم لأنك في عصمة زوج ، وأراى خيانتك لزوجك من أعتى أنواع الخيانات ، لأنها تمهد الطريق إلى الزنا أو الجنون كما قال ابن القيم! فهل تسرك نفسك مجنونة أو زانية؟! وتقول الدكتورة ملكة زرار ، الداعية الإسلامية وأستاذة الشريعة الإسلامية: (الخيانة هي عدم نصح صاحب الأمانة بتضييعها والغدر بصاحبها الذي يعتقد أن من ائتمنه سيحفظ أمانته. ففي لسان العرب لابن منظور: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، خانه يخونه خوناً وخيانة وخانة ومخانة. والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء ، ومنه: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة. خرّجه النسائي عن أبي هريرة. وأضافت زرار ، من صدرت منه خيانة ، فالواجب عليه أن يتوب إلى الله توبة صادقة ، ومِن صدْق توبته رد الحق إلى صاحبه. قال تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى... ونزلت هذه الآية في الخائنين الذين ذكرهم الله في قوله: (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) لما أبى التوبة مَن أبى منهم ، وهو طعمة بن الأبيرق ، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتداً ، فالواجب على الزوجين كليهما أن يتقيا الله تعالى وأن يتحفظا مما حرمه الله وأن يستغنيا بالحلال الطيب عن الحرام الخبيث).هـ. لا شيء يصلح به الإنسان في حياته الدنيا إلا الحلال المشروع! ولقد كانت قصيدتي هذه ترجمة لقصة حقيقية أعرف أصحابها معرفة وثيقة وحاولت الإصلاح نسبياً ، ولكن العشق المحرم من جانب الحرم غير المصون وغير المحترم حالت بيني وبين الإصلاح التام بينها وبين زوجها! وعندما طرقتُ باب العشيق الوبش المرذول وجدته لا يبالي مطلقاً! ورحتُ أخوفه بالله تعالى ، ولكن سلطان العشق كان أقوى من وازع الدين! ذلك أن ضعف العقيدة والتوحيد لا يجعل القلب يستقيم على طريق الهداية! فاحترتُ عمن أكتب قصيدي؟ هل أكتب عن العاشق المرذول السفيه الذي تعلق قلبه بامرأة متزوجة وهو يعلم؟ أم أكتب عن الزوج الغافل الذي لم يستطع أن يجعل زوجته عاشقة له وحده؟ أم أكتب عن الساقطة الفاشلة المنحلة المتهتكة التي عشقت على زوجها؟ وأخيراً – وبعد تفكير عميق – استقر الرأي على الكتابة عن هذه الزوجة مُحبباً لها طريق التوبة ومُرغباً في الإنابة وحمل النفس على ترك الخيانة!)

15 - أبٌ للبيع يا قوم!

(وأما هذا العنوان فلم أختَرْه. إنما اختاره الكاتب الذي كتب قصة هذا الفتى في مجلة: (دار الملاحظة) في عددها الثاني. ومختصرُه أن ابن وأخته تموت أمهما ، ويتزوجُ الأب من خالة الأولاد ظناً منه أنها الأصلح. فأساءت معاملة الصبي وأخته ، وجعلت منهما خادمين: الابن خارج البيت وأخته داخله. وكانت نهاية الابن الانحراف والانسياق مع قرناء السوء. ثم

النجاة التي كتبها الله له هناك في دار الملاحظة. لقد اهتممت جداً بمثل هذه القضايا الاجتماعية التي تعطينا العظات والعبر والدروس ، وذلك للاستفادة منها في واقع الحياة. وأورد القصة فأقول: يروى أحد المدرسين في دار الملاحظة - وهي دار مخصصة للأحداث الذين يرتكبون الجرائم الأخلاقية أو غيرها من الجرائم المعروفة - يقول: من أعجب الحالات التي قابلتنا في ميدان العمل الاجتماعي حالة (حدث) كان موجوداً لدينا في الدار محكوماً عليه في قضية (أخلاقية). فبعد انتهاء مدته في الدار قمت بإبلاغها بانتهائها ، وأنه سيطلق سراحه في الأسبوع القادم ، ومطلوب منه إبلاغ أهله بالزيارة لإحضار الكفالة اللازمة. فانخرط الحدث في بكاءٍ شديدٍ جداً. ظننت في البداية أنها دموع الفرح لخروجه من الدار. ولكن استمرار البكاء وتعبيرات الحزن والقلق على وجهه جعلتني أتنحى بعيداً عن إخوانه وأسأله عن سبب ذلك. فإذا به يقول: لا ، لا أريد أن أطلع من الدار ، أرجو إبقائي هنا! فقلت له متعجباً: ماذا تقول؟ قال: أريد أن أبقى في الدار ، فالدار بالرغم مما فيها من قيود لحريتي إلا إنها أفضل من بيت أبي! قلت له: لا شك أنك مخطئ ، فلا يوجد مكان أفضل من منزل الأسرة. فرد قائلاً: اسمع قصتي واحكم بنفسك. قلت هات ما عندك. بدأ الحدثُ ابن الثالثة عشرة يروي قصته ، فقال: توفيتْ والدتي منذ حوالى ثمانية أعوام وتركتني أنا وشقيقة أصغر مني بعامين. وبعد وفاتها بعدة شهور أبلغني أبي بأنه سيتزوج ، وستكون لي خالة في مقام أمي ، لم أستوعب هذا الكلام جيداً لصغر سني. وبعد حوالي أسبوع أقام والدي حفل عُرس كبير وجاءت زوجة أبي التي هي خالتي في الأصل إلى المنزل. عاملتنا خالتي في بداية الأمر معاملة طيبة للغاية ثم بدأت معاملتها تتغير بالتدريج ، فكانت دائمة الشكوى لوالدي كلما عاد إلى المنزل من عمله ، فتقول له غاضبة: ابنك فعل كذا وابنتك فعلت كذا. ولم يكن أبي الذي يعود مرهقاً من عمله لديه استعداد أبداً لسماع المشكلات وحلها ، كما إن صغر سننا وضعف قدرتنا أنا وشقيقتي على التعبير لم يكن يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا أمام القصص التي تختلقها خالتنا زوجة أبي وتجيد حبكها وروايتها. في البداية كان أبي ينصحنا وأحياناً يوبّخنا ، ثم تطوّر الأمر مع استمرار القصص والشكاوى إلى الضرب والسباب والإهانات ، وازداد الأمر سوءاً بعد سوءٍ عندما رزق أبي بثلاثة أولاد من زوجته. وبمرور الأيام تحوّلتُ أنا وشقيقتي إلى خادمين بالمنزل ، علينا أن نلبي طلبات خالتي وأبنائها ، فأنا مسؤول عن شراء كل ما يحتاجه البيت من السوق ، وشقيقتي مسؤولة عن التنظيف والعمل بالمطبخ. وكنا ننظر بحسد شديد إلى أبناء أبي الذين يتمتعون بالحب والتدليل ، وتستجاب رغباتهم وطلباتهم. وكان أبي يشعر بأنني أنا وشقيقتي عبءٌ عليه وعلى سعادته ، وأننا دائماً نتسبب في تكدير جو البيت بما تقصه عليه خالتي من قصص مختلقة عنا ، وكان رد فعل أبي السباب الدائم لنا ، ونعتنا بالأبناء العاقين ، وأنه لن يرضى عن إلا إذا رضيتْ عنا زوجته وأبناؤه ، كما أطبق علينا النعوت السيئة. وكان الجميع بالمنزل ينادوننا بها ، حتى كدنا حقيقة ننسى أسماءنا الحقيقية. وكنا محرومين من كل شيء – حتى المناسبات التي تدعى إليها الأسرة – كنا نحرم منها ولا نذهب معهم. ونجلس وحدنا في الدار ننعي سوء حظنا. وهناك حادثة لا أنساها حدثت في الشتاء الماضي ، فقد أحسستُ بتعب شديدٍ في بطني ، وطلبت مني خالتي أن أخرج لشراء خبز للعشاء ، وكانت البرودة شديدة ، فقلت لها: إنني مريض ولا أستطيع الخروج الآن. فقالت لأبي: أنني أتمارض حتى لا أقوم بما هو مطلوب مني ، فانهال أبي عليّ ضرباً وصفعاً وركلاً ، حتى سقطت من المرض والإعياء ، واضطروا إلى نقلي إلى المستشفى عندما ساءت حالتي ، ومكثت في المستشفى خمسة أيام.

وعلى الرغم من الألم والتعب فقد استبشرت خيراً بهذه الحادثة ، وقلت لعلها توقظ ضمير أبي وتجعله يراجع نفسه ، إلا أنه استمر على ما هو عليه. وبدأتُ بعد ذلك أعرف طريق الهروب من المنزل ، والتقطني بعض الشباب الأكبر مني سناً ، وأظهروا لي بعض العطف الذي كنت في حاجةٍ شديدةٍ إليه. وفي خلال هذه المشاعر المزيفة استطاعوا خِداعي ، وانزلقتُ معهم في الانحراف الأخلاقي ، ولم أكن أدرك بشاعة ذلك لصغر سني وعدم إدراكي ، إلى أن قبض عليّ في قضية أخلاقية وأدخلت الدار ، وعرفتُ مقدار الخطأ الذي وقعت فيه ، وأحمد الله على توبتي....وإلى هنا انتهى الفتى من قصته. والقصة واقعية مؤثرة في كل من قرأها. والحقيقة التي يجب علينا أن نؤمن بها أن الأب الذي يبتلى بتطليق زوجته التي له منها الولد أو يبتلى بموتها عنه ، ثم هو يشرع بعد ذلك في الزواج من أخرى ، فإنه يجب عليه أن يتحرى ويُحسن الاختيار قبل أن يدمر أولاده باختيار امرأة لا تصلح بالمرة. وإذا كان عليه أن يتحرى ويحسن الاختيار عندما يتزوج للمرة الأولى ، فإنه يجب أن يضاعف جهوده في التحري وحسن الاختيار في حالة كهذه. ولقد أورد القصة كذلك الأستاذ / محمد السيد رشاد الخولي في موسوعته الموسومة بالقصص الواقعية ص 56. وفي جريدة الجزيرة الصادرة يوم الخميس 6 ذو القعدة 1439هـ - 19 يوليو 2018م. تقول الكاتبة أمل الحسين تحت عنوان: (زوجة الأب) ما نصه: (كثيراً ما تنادى زوجة الأب من قبل الأبناء بما تنادى به الأم الحقيقية ، وتعيشان الزوجة الجديدة وضرتها كأنهما أختان ، وإن غضبت إحداهما من الزوج ساندتها الأخرى بهذا الغضب ، حتى يضطر الزوج لأن يرضي الأولى لترضى الثانية ، وكأن الأخرى بموقفها هذا تدافع عن أختها ، وليس عن منافستها في زوجها. ولذلك قال البعض بأن العدل بين الزوجات يكنّ هن أساسه ومستقره وليس الأزواج. وهناك زوجات إن لم يذكر لك أنها زوجة أب لم تعرف الحقيقة وذلك لمَا تراه من تصرفات لا تصدر إلا من أم حقيقية. وهذه إحدى زوجات الأب وهي عقيم ، عاشت مع زوجها مع ما يقارب من العشرة من الأبناء من ذكور والإناث ، ووالدتهم الحقيقية مازالت على قيد الحياة ، يعيشون مع بعضهم في منزل واحد رغم وفاة الأب منذ أكثر من عشرين عاماً ، ومع قدرة زوجة الأب على العيش إما بمفردها أو مع أحد إخوانها ، حيث هذا ما يراه ويختاره الجميع على أنه أمرٌ طبيعي ، خاصة بعد وفاة الزوج الذي يعتبر حبل الصلة بين الزوجة وزوجته الثانية وأبنائه! إلا أن مشاعر الأم التي تربي الطفل حتى يصبح رجلاً ، والطفلة حتى تتزوج وتنجب ، يختلف عما يعتقده البعض. هذا الاختلاف ألزم هؤلاء الأبناء أن يراعوا الأم الثانية أثناء مرضها لسنوات دون ملل أو تذمّر ، وكأنهم يخدمون والدتهم التي أنجبتهم. وهذا الاختلاف أيضاً جعل زوجة الأب وهي تصارع الآلام المبرّحة ، وتشعر بدنو أجلها ان تحرص على وجود جميع أبنائها حولها لتخرج نفسها براحة بعد أن قرّت بقرب أحبابها).هـ. فأعجبتُ بالقصة بعد قراءتها ، ولفت انتباهي هذا العنوان: (أب للبيع) ، وأوردتُها هنا لعلها توقظ ضمائر الغافلين من الآباء المتنصلين من المسؤولية والسادرين في غي البعد عن أبنائهم. فعسى أن يعلم هؤلاء أن الآباء لا يباعون في الأسواق ، وإلا لكان سهلاً يسيراً على المحسنين الميسورين من المسلمين أن يشتروا من الأسواق آباء لأيتام حُرموا آباءهم. ولعل هذا العنوان أن يهمس في آذان بعض الأمهات أو اللائي أخذن أماكن الأمهات من زوجات الآباء أن يعلمن أن الأيام دول: يوم لك ويوم عليك ، وأنه كما تدين تدان ، وأن الكأس الذي تسقي منه أبناء زوجها اليوم يمكن أن يشرب منه أبناؤها بموتها مثلاً أو بموت أبيهم ، أو على أيدي أبنائها وبناتها يوم يجعلهم الله عاقين لها فلا يطيعونها ، بل يذيقونها العذاب بكل ألوانه ونيرانه. وأعجبني أكثر أن تكون على لسان الفتى ليُوجهها إلى أبيه باعتباره المسؤول الأول عن كل ما جرى له ولأخته ، عندما كان يصدّق الأكاذيب والأغاليط دون تحقيق ودون متابعة. ولتكون أوقع في التأثير على قلوب القراء قدر المستطاع.)

16 - أوشكتُ أن أبيع الإسلام بعشرة جنيهات

(وهذا موقف لأحد المسلمين العرب الأفذاذ يعيش في بريطانيا (حكاه الدكتور محمد راتب النابلسي) ، والعُهدة عليه في الرواية! ذلك أنني عهدتُ على الدكتور النابلسي عدم تثبته لما يروي من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ! فهو بذلك متساهل في رواية الحديث! وإذا كان ذلك كذلك ، فيكون فيما يرويه عن غير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أشد تساهلاً! وهو يذكرنا بالإمام الحاكم – رحمه الله -! وإذا كان العلماء لم يعذروا الإمام الحاكم فأولى بها النابلسي اليوم! وأنا أحب النابلسي ، ولكن حبي للحق أكثر من حبي له! وليس هذا قدحاً في نيته ، ولا مطعناً على طويته ، ولا وصولاً على كتفيه للتميز والتفرد! ولكنه بذلك حاطب ليل في الحديث ، وهذا يكفي للتوقف عند الرواية عنه! وأعتقد أن حاطب الليل ليس هذا زمانه! لماذا؟ لأنه يمكن أن يتثبت من أي حديث في لحظة واحدة ودون أن يتكلف مشقة العناء في البحث ، ودون أن يتجشم عناء الذهاب إلى أحد من أهل الحديث! بل من هاتفه الشخصي يمكن أن يفعل ذلك! ولله الفضل والمنة! وعسى الله أن يتثبت النابلسي ويتحقق من صحة ما يورده! يقول النابلسي: ركب رجلٌ مسلمٌ إحدى الحافلات في بريطانيا وهو إمام مسجد هناك. وأعطى الأجرة للمحصّل ، وتبقى بعض الجنيهات ، فمدّ يده ليأخذها فإذا هي تزيد عما يستحق بعشرة جنيهات إسترلينية ، فجاءه الشيطان وقال له: هؤلاء كفار وتلك دولة غنية ومؤسسة المواصلات تلك تملكها الدولة ، فخذ الجنيهات العشرة واستحلها! ثم حدثته نفسه المطمئنة بالإيمان أن ردّها ولك الأجر من الله! فهداه الله إلى ردها للمحصل فقال المحصل له: لقد كانت اختباراً لأعرف هذا الدين (الإسلام) هل له أثر في تربية معتنقيه ومن يدينون به! ومن سمتك ولحيتك أردتُ أن أتبين ، وكنت قد انتويت الدخول في الإسلام منذ أيام ، وعلقت دخولي على هذا الموقف ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله! ودخل الرجل في الإسلام طواعية بسبب هذا الموقف العظيم البسيط! فتخيلتُ الأخ المسلم يرسل له رسالة يهنئه فيها ، ويهنئ نفسه على النجاح في الاختبار!)

17 - قصتي مع الشاعر أبي عاصم القارئ

(أحيي الشاعر أبا عاصم القارئ على ديوانه: (شجون غريب) حيث جسّم آلام الغربة تجسيماً في غاية الإبداع. وكانت قصائد ديوانه سلوى كل غريب بائس وعزاء كل شريد معذب. قال يحي بن معاذ الرازي: (يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له إليها ، والدنيا قد كُفيتها وإن لم تطلبها ، والأخرة بالطلب منك تنالها فاعقل شأنك). وعَن أَبِي هُرَيْرَة - رَضِي اللَّه عَنْه - أَن النَّبِي - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم - قَال: (طُوبَى لِعَبْد آخِذ بِعِنَان فَرَسه فِي سَبِيل اللَّه ، أَشْعَثٌ رَأْسُه مُغْبَرَّة قَدَمَاه ، إِن كَان فِي الْحِرَاسَة كَان فِي الْحِرَاسَة ، وَإِن كَان فِي السَّاقَة كَان فِي السَّاقَة ، إِن شَفَع لَم يُشَفَّع ، وَإِن اسْتَأْذَن لَم يُؤْذَن لَه). وعَن أَبِي أُمَامَة عَن النَّبِي - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم – قَال: (إِن أَغْبَط النَّاس عِنْدِي عَبْد مُؤْمِن خَفِيف الْحَاذ ، ذُو حَظٍ مِن صَلَاة ، أَطَاع رَبَّه ، وَأَحْسَن عِبَادَته فِي السِّر ، وَكَان غَامِضاً فِي النَّاس ، لَا يُشَار إِلَيْه بِالْأَصَابِع ، وَكَان عَيْشُه كَفَافاً! قَال وَجَعَل رَسُوْل اللَّه - صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم - يَنْقُر بِأُصْبُعَيْه وَكَان عَيْشُه كَفَافاً ، وَكَان عَيْشُه كَفَافاً ، فَعَجَّلْت مَنِيَّتُه ، وَقُلَّت بَوَّاكِيْه ، وَقَلَّ تُرَاثَه). قال محمد بن الحسن الآجُرِّي: من ألزم نفسه العمل بالحق بين ظهراني من قد جهل

الحق ، بل الغالب عليهم اتباع الهوى ، ثقل ذلك عليهم فمَقتوه وخالفوه وطلبوا له العيوب ، فأهله به متضجرون ، وإخوانه به مُثقلون. وأهل الأهواء له على مذهب الحق مخالفون ، فصار غريباً في دينه لفساد دين أكثر الخلق ، غريباً في معاملته لكثرة فساد مَعاش أكثر الخلق ، غريباً في جميع أمور الدنيا والآخرة ، لا يجد على ذلك مساعداً يفرح به ، ولا مؤانساً يسكن إليه. فمثل هذا غريبٌ مستوحش ، لأنه صالح بين فساق ، وعالم بين جهال ، وحليم بين سفهاء يصبح حزيناً ويمسي حزيناً ، كثيرٌ غمه ، قليلٌ فرحه ، كأنه مسجون كثير البكاء ، كالغريب الذي لا يُعرف ، ولا يَأنس به أحد ، يستوحش منه من لا يعرفه. فلو تشهده في الخلوات يبكي بحُرقة ، ويئن بزفرة ، ودموعه تسيل بعبرة ، فلو رأيته وأنت لا تعرفه ، لظننت أنه ثكلى قد أصيب بمحبوبه ، وليس كما ظننت ، وإنما هو خائفٌ على دينه أن يصاب به ، لا يبالي بذهاب دنياه إذا سلم له دينه ، قد جعل رأس ماله دينه ، يخاف عليه الخسران! كما قال الحسن البصري: (رأس مال المؤمن دينه ، حيث مازال زال معه ، لا يخلفه في الرحال ، ولا يأتمن عليه الرجال). قال الأستاذ / عبد الجواد خفاجي تحت عنوان (الغربة والاغتراب) ما ملخصه: (إن الاغتراب يتخذ مفهوماتٍ عِدة ، متسعة حسب سياقات التوظيف ، فهو يستخدم في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب ، وفي العلوم الإنسانية عموماً ، وسوف يظل مفهوماً نامياً ومتطوراً ، تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والتصور الفكري والفلسفي ، وإن ظلت الذات الفردية مرتكزاً للاغتراب إذ ينبثق منها التنافر بين الإنسان وذاته ، وبين غيره إنساناً ومجتمعاً ، كوناً وطبيعة ، فهو مفهوم يؤكد التجاذب النفسي بين الرضا والرفض ، بين الحرية والقهر ، بين الانفتاح والانغلاق ، بين الرجاء والإحباط ، بين سقوط الإنسان ومحاولة تجاوز هذا السقوط ، بين التوازن والاضطراب. إنه تعبير عن التوتر والقلق النفسي ، وضياع الذات أو استشعار الخوف من فقدان الأمن والأمان. ويمكننا أن نخلص إلى استعمالات أربعة ، أجمع عليها الباحثون تشير إلى المعاني اللغوية لهذا المصطلح ، حسب تحديداته وتجريداته اللغوية في المراجع اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية هي: 1- الانتقال غير الشرعي للملكية من إنسان لإنسان أو من شعب إلى شعب آخر. 2 ـ فقدان القدرة العقلية أو غياب الوعي. 3 ـ اضمحلال العلاقات الوديَّة بين شخص وآخر. 4 ـ ابتعاد الإنسان عن الله تعالى)هـ. فليعلم كل غريب أن الغربة خير معلم بفوائدها الست التي أشار إليها الشافعي إمام المذهب – رحمه الله -! والأمر كما وصفه ابن الوردي الشاعر عندما قال: (اغترب تلق عن الأهل بدل)! وإذن فالغربة ليست مذمومة في كل أحوالها! بل لها بعض الإيجابيات التي لا يُدركها إلا من اغترب لأجل دينه وحرصاً على عقيدته وصيانة لشريعته! ولا ينبئك مثل خبير! فقد اغتربتُ ثلاثة عقود أتمَّ الله عليّ فيها ديواني: (السليمانيات)! وكتابين في النقد الأدبي الأسلوبي! وكتاباً في السيرة الذاتية الأسلوبية! فلله الفضل والمنة! ومنه سبحانه العون والسداد والتوفيق! وأنا حقاً أكتب في مواساة كل غريب مؤمن وفي تعزية كل شريد مُوحدٍ لأصبره ولأواسيه ولأرفع من معنوياته!)

18 - جوزيت خيراً يا ابنَ منصور

(إنه الأستاذ المهندس / عاطف أحمد منصور. مؤلف سلسلة (مكتبة الأسرة) في الرياضيات وهي 3 أجزاء ، وفى الكيمياء ، وفى الفيزياء 3 أجزاء ، وكتاب آخر هو (الرياضيات المسلية: متعة وفن وذكاء). والهدف من هذه السلسلة هو تنمية المهارات الأساسية في هذه العلوم للناشئين! بأسلوب سهل ممتنع ومبسّط لأبعد حد ، ليساعد فيه الوالدان الأبناءَ على التعلم بدون تكاليفٍ ولا دروس خصوصية عند المرتزقة الذين لا يرحمون. وإنما جعلوا من وظيفة التعليم والتدريس والتربية وسيلة للابتزاز والارتزاق الرخيص لا تزيد. وتفضلتْ مكتبة (ابن سينا) بالقاهرة بطباعة السلسلة العلمية تلك لتقطع الطريق على المعلمين المرتزقة سالفي الذكر. وأشكر معلمة العلوم (الأستاذة / زينب الهوّال) التي درسّتني العلوم في المرحلة الابتدائية ، وكذلك أشكر (الأستاذ / محمد الصحفي) الذي درسني الرياضيات في ذات المرحلة. ثم درسني بعدهما هاتين المادتين قومٌ مرتزقة لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة حتى كرهتهما معا (المادة ومن يدرّسها). يقول الأستاذ الكاتب أسامة طبش عن المعلم الناجح ما نصه: (المعلم الناجح يحبُّ عمله حبًّا جمًّا ، فكلُّ صباح يستيقظ باكراً ليحضر محفظته ويضع فيها كلَّ ما يلزمه ؛ إذ هو السلاح الذي سيستعمله في تقديم درسه ، والوجبة الطازجة التي ستُقدَّم لتلاميذه ، والماء الزلال الرقراق الذي سيروي ظمأهم وعطشَهم. يقضي ليله إلى ساعة متأخِّرة في التحضير ؛ فالأوراق كثيرةٌ ، والمراجع متعدِّدة والفكر متوقِّد ، يبحث عن أفضل السُّبل لرسم درسه الذي سيعرضه ، يضع خطَّةً محكمةً خاليةً من الثغرات ؛ حتى تسير الحصَّة بسلاسةٍ ، ولا يُحس تلاميذُه بالملل ، يجعل كلَّ دقيقةٍ خاصَّة بالدرس ، فيخرُجون وقد امتلأت عقولُهم بالمعلومات ، ويحس هو بالنشوة ولذَّة الانتصار. يَلقَى الاحترام مِن كلِّ مَن هو بالمؤسَّسة ؛ لأنَّه مِن السبَّاقين إلى أَخْذ تلاميذه إلى قسمهم ؛ فهو متشوِّق إلى التدريس ، وإفادتهم بما لديه من معلومات ، أمَّا تلاميذه فيُلقُّون عليه التحيَّة باحترام ؛ لأنَّهم يقدِّرون المجهود الذي يبذله لأجلهم ، ويعلمون أنَّ التحسُّن الذي يعتريهم سيكون بانتباههم وتطبيق ما يطلبه منهم ، فيُحصِّلون العلاماتِ الجيدة ، وتتحقَّق لهم الفائدة المرجوَّة. ينصحهم خلال الدَّرس ويحثُّهم على الاجتهاد والعمل واعتبار العلم مرتقًى يرتقون به إلى المراتب العُليا ، فتعجبهم كلماتُه ، فما يقوم به لم يذهب هباءً منثوراً ؛ بل هو صائبٌ وفي الصميم ، وكم هي رائعة العلاقة التي تجمعه بهم ، ودٌّ وتقدير ومهابة ، لا يجرؤ أحدهم على تجاوز حدوده معه ؛ لأنَّه أستاذهم ومعلِّمهم ومربِّيهم ، هو القدوة التي يقتفون أَثَرَها ، ويذكِّر نفسَه بالمسؤولية الثقيلة ، وأنَّ عليه أن لا يدَّخر جهدًا لأجلِهم).هـ. وجاء شكري وخالص تقديري واحترامي للأستاذ / عاطف أحمد منصور ترجمة لهذا الشعور القديم الجديد. ألا إن الطلاب أمانة عند المعلمين. ولسوف يسألهم الله عز وجل عن هذه الأمانة يوم القيامة. وأظن أنه قد آن الأوان جداً لمنطق الرتبة والراتب أن يرتفع من قاموس المعلم القدوة. ذلك أننا نرى الأمم تُقيم كل نهضتها على العلم المادي البحت. ونحن كان ينبغي أن نكون إلى الأفضل ، لأن العلم عندنا مرتبط كل الارتباط بالشرع والدين. فنحن نتعلم من أجل الدنيا والآخرة. لأن حضارتنا حضارة روحية تجمع بين الجسد والروح وبين الآخرة والدنيا!)

19- دموعك يا أختاه دموعي

(إن الشاعر يجب أن تقع دموع أهل التوحيد منه بمكان. وإلا يكنْ ذلك كذلك فليس هو بالشاعر ذي الإحساس. إن الأخت التي أعني هي السيدة الفاضلة الجَمّة المناقب والباذلة التضحيات (نائلة بنت الفرافصة) ، رحمها الله ، زوج الخليفة الراشد الثالث ذي النورين عثمان بن عفان – رضي الله عنه. بعد أن ضربت أروع الأمثلة في البذل والتضحية بالنفس. ويكفي ما أورده الإمام السيوطي في (تاريخ الخلفاء) في فضائل ومناقب عثمان – رضي الله عنه -. يقول السيوطي: (أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال: ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة. وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال: أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها؟ فصدقوه بما قال. وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال: شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتبها في سبيل الله. ثم حض على الجيش فقال عثمان: يا رسول عليّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. ثم حض على الجيش فقال عثمان: يا رسول الله عليّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء! وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال: يقتل فيها هذا مظلوماً لعثمان وأخرج الترمذي والحاكم وصححه وابن ماجة عن مرة بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال: هذا يومئذ على الهدي فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت إليه بوجهي فقلت: هذا؟ قال: نعم. وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني. وأخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه. وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال: اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة. وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان من أشبه أصحابي بي خلقاً وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال: لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: زوجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته وما زوجته إلا بالوحي من الله).هـ. إننا كلنا حزن وشجن وفي العيون دموع لما أصاب عثمان وأصاب نائلة زوجته. ودموع أهل الإيمان واحدة لوناً وطعماً وبذلاً ومناسبة وسبباً. إن المرأة المخلصة لزوجها عقيدة وسلوكاً وعملاً لجديرة بأن تذكر بالخير دائماً وأبداً ، ولقد خلد التاريخ ذكرياتٍ لأزواج كن آياتٍ في الإخلاص والوفاء ، وإنْ كان ليُعجبني جداً موقفُ السيدة العظيمة نائلة زوج عثمان – رضي الله عنهما -: تحكي لنا تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف أنها قالت لعثمان بن عفان رضي الله عنه – ذات يوم: هل لك ابنة عم لي بكر ، جميلة ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد ، أصيلة الرأي ، تتزوجها؟ فقال عثمان لها: نعم. فذكرت له نائلة بنت الفرافصة الكلبية ، فتزوجها وكانت نصرانية فأسلمتْ وتحنفت

وحُملت إليه ، من بلاد كلب ، فلما أن دخلت عليه قال لها ، لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ فقالت: لا. والله يا أمير المؤمنين ، إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل. فقال: إني قد جزت الكهول ، وأنا شيخ. فقالت: أذهبت شبابك مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم - في خير ما ذهبت فيه الأعمار. قال: أتقومين إلينا أم نقوم إليك؟ قالت: ما قطعت إليك أرض السماوة. وأريد أن أنثني إلى أرض البيت ، وقامت إليه ، فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل ، فلما دخل عليه دافعت عنه بيدها ، فجذمت أناملها ، نعم: لمّا تسوّر الثائرون في المدينة له وقاء من الموت ، ولكن ضرب عثمان بالسيف وجاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته لتمنعه من زوجها وأخذت السيف فانتزعته الخبيث وقطع أصابعها وفصلت عن يدها – وعندما أرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه تسأله: ماذا تريد من امرأة جذماء؟ وقيل أنها قالت لما قتل عثمان: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبي ، فدعت بفهر فهتمت فاها ، وقالت: والله لا قعد أحد مني مقعد عثمان أبداً. ومن هنا رُحْتُ أقول لها مقدماً عزائي لها ولأهل الحنيفة السمحة في الخليفة الراشد عثمان – رضى الله عنه -: دموعك يا أختاه دموعي ، ونعم الزوج المخلصة الوفية كنت! ألا ليت نساء زماننا يتعلمن من سيرتك الفذة كيف يكون الوفاء للزوج!)

20 - في رثاء أريج الطفولة

(الطفولة حلم تراود الإنسانَ ذكرياتُه حتى يموت. والآن أرثي أريج طفولتي وأعيش هزيعًا من ذكرياتها الجميلة. يقول الدكتور عبد الفتاح إدريس في بيان مسؤولية الوالدين تجاه الطفل ما نصه: (إذا كان الشارع قد كفل للطفل حق النفقة له علي والده إلي أن يتمكن من كسب المال بنفسه ، فقد أوجب الشارعُ علي الوالدين أن يعدلا بين أولادهما في العطف والرعاية والحنو والعطايا ، حتي لا توغرَ التفرقة بينهم في ذلك صدورهم ، أو تنشئ بينهمُ العداوة والبغضاء. وأوجب علي الوالدين أن يُعَلما أولادهما ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، ومن ذلك تعليمُهم كيفية الطهارة والصلاة ، فقد رَوَى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - قال: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر). بل إن الشارع حرّم علي الوالدين الدعاء علي أولادهما ، خشية أن يوافق الدعاء ساعة إجابة فيصيبَ الولدَ ما دُعيَ به عليه. إذ رُوي عن النبي - صلي الله عليه وسلم - أنه قال: لا تدعوا علي أنفسكم ، ولا تدعوا علي أولادكم ، ولا تدعوا علي أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عَطاءً فيستجيبُ لكم!).هـ.

21 - أرشيف الانهزام

(لا يزال المؤمن في بلاء. فمن محنةٍ إلى محنة. ومن كربةٍ إلى كربة. وهكذا يُبتلى المرء على قدر إيمانه. ولكن عندما قلّبَ ذلك المؤمن أوراق الانهزام شعر باليأس ، وكان نبينا – صلى الله عليه وسلم – يُحِب الفأل ويكره التشاؤم. ومن هنا وجب اتباعه في كل أمور الحياة (وإن تطيعوه تهتدوا) ، (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) ، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). وإذا كان ذلك كذلك فإنه

يجب على كل مؤمن موحّد قانت أن يتفاءل ويُحسن الظن بالله. كما يجب عليه أن يعلم أن الأمور تجري بمقادير ، وأن الله غالب على أمره ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَزَال الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمِنَةِ في نَفْسِهِ وَولَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّه تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ رواه التِّرْمِذيُّ وَقالَ: حديثٌ حسنٌ صحِيحٌ. وَعَنْ ابْن عَبَاسٍ رضي اللَّه عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَة بْنُ حِصْنٍ فَنَزلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُر بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِن النَّفَرِ الَّذِين يُدْنِيهِمْ عُمرُ - رضي الله عنه - ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحابَ مَجْلِسِ عُمَرَ - رضي الله عنه - وَمُشاوَرَتِهِ كُهولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فاستَأذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمرُ. فَلَمَّا دخَلَ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّاب، فَوَاللَّه مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالْعَدْل ، فَغَضِبَ عُمَرُ - رضي الله عنه - حتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّه تعَالى قَال لِنبِيِّهِ ﷺ: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ، وإِنَّ هَذَا مِنَ الجاهلينَ ، وَاللَّه مَا جاوَزَها عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا ، وكَانَ وَقَّافاً عِنْد كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى رواه البخاري. وعَن ابْنِ مسْعُودٍ - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرونَها ، قَالُوا: يَا رسُولَ اللَّهِ فَما تَأمرُنا؟ قالَ: تُؤَدُّونَ الْحقَّ الَّذي عَلَيْكُمْ وتَسْألونَ اللَّه الَّذِي لكُمْ متفقٌ عَلَيهِ.

22 - قصة زينب بيرة جكلي

(الدكتورة / زينب محمد صبرة بيرة جكلي ، عندما كتبت (النحو القصصي) كانت قد حققت سبقاً نحوياً فريداً بكل نجاح. وللتعريف بها أقول: هي الدكتورة زينب محمد صبري بيره جكلي دكتوراه في الأدب العربي في عصر الدول المتتابعة 1995م - ماجستير في الأدب العربي الحديث 1977م - أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة الشارقة منذ 1999 م ولغاية 2008– 2009م . - أستاذة مساعدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي منذ 1995م - ولغاية 1998م - 1999م . - مدرسة مساعدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي منذ 1988-1995م. - مدرسة في ثانويات حلب واللاذقية منذ 1971-1988م. - عضو رابطة الأدب الإسلامي - فرع الرياض منذ 1997م . - عضو جمعية حماية اللغة العربية في الشارقة منذ 2001م اللجنة النسائية. - عضو رابطة أدباء الشام منذ 2003م. - عضو لجنة القضايا الطلابية في جامعة الشارقة . - مقررة لجنة ضبط سلوك الطالبات في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة الشارقة. - عضو لجنة الاعتماد والإرشاد الأكاديمي في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة. - عضو اللجنة الثقافية في الجامعة والقسم. - منسقة الملتقى اللغوي الأول بين جامعة الشارقة ووزارة التربية والتعليم تحت شعار لغة قويمة لتربية سليمة الذي عقد في 2007/4/26م. - عضو في لجنة تطوير المناهج في القسم. - عضو في لجنة تحكيم القصة لمسابقة القصة القصيرة التي تعقدها عمادة شؤون الطلاب في جامعة الشارقة. - مرشدة جمعية اللغة العربية في جامعة الشارقة. - عضو لجنة الإشراف على تعديل مناهج مهارات الاتصال باللغة العربية (1) و(2) في القسم. - مراقبة دوام الموظفات في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي في العام الدراسي 1994- 1995م. - مدققة لغوية لمجلة كلية

الدراسات الإسلامية حينما كانت تعمل فيها. - عضو اللجنة الثقافية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي. - مشرفة على مكتبة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي ومصنفة لكتبها. ومن منشوراتها البحثية: - استدعاء التاريخ في الشعر العربي خلال العهد العثماني. - من رحلات العهد العثماني نشوة الشمول و نشوة المدام للآلوسي. - الزمن في قصيدة الشاعر مصطفي العلواني في مديح الوزير العثماني عبد الله الجته. - الصورة الفنية في شعر ابن منجك الشاعر العثماني. - أنواع الوحدة في القصيدة العربية في العهد العثماني. - حث ظاهرة فن المفاخرات العربية في العصر العثماني: دراسة مقارنة مع الفنون الأدبية الأخرى. - مسرحية القضية دراسة فنية. - المسمطات العربية في العهد العثماني. - مظاهر الرثاء في العصر العثماني. - بحث المرأة في الحضارتين الإسلامية والعربية من خلال الشعر العربي. - الوطن في شعر سالم بن علي. - المديح النبوي في العصر العثماني. - بحث المرأة في الحضارتين الإسلامية والتغريبية في الرواية العربية. - بحث فن المديح في الشعر المملوكي. - بحث القصة القصيرة عند شيخة الناخي رائدة فن القصة في الإمارات. - بحث الصورة الفنية في الشعر العربي خلال العهد العثماني. - بحث صورة المرأة في القصة الإسلامية الحديثة. - بحث ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي. - بحث المرأة في شعر عمر بهاء الدين الأميري. - بحث حكم اشتراك المرأة في الأعمال السياسية والمجالات العسكرية. ومن كتبها المؤلفة: - الشعر العربي في عصر الدول المتتابعة. - النثر العربي في عصر الدول المتتابعة. - شعر الثورات الداخلية في العهد العثماني. - فتح الله بن عبد الله النحاس دراسة موضوعية وفنية. - الحركة الشعرية في حلب في القرن الحادي عشر الهجري. - محمد سعيد العريان حياته وفن المقالة والسيرة عنده. - فن القصة عند محمد سعيد العريان. - أدب الأطفال عند محمد سعيد العريان. - أدب الأطفال في العصر الحديث. - المرأة بين الرصافي والأميري. - ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي. - النحو القصصي لتلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية. الأسس الحضارية في العصر الراشدي. - الشعر الإسلامي المعاص. - جماليات الأساليب الموضوعية والفنية في القرآن الكريم دراسة أدبية. ومن إبداعاتها المنشورة: * أربع مجموعات قصصية هي: (عندما يتوب الملك) ط دار ابن حزم بيروت لبنان 1995م - (علمتني زوجتي) ط دار ابن حزم 1995م والطبعة الثانية منها في دار أم القرى في المنصورة 2000 م. – (قدر أم حذر) - ابن حزم 1998م. (شريد عفيفٌ) في دار ابن حزم 1998م.) * خمس قصص قصيرة متفرقة هي: (داهية أجنادين ، جند الله ، خليفة ومجاهد ، قد أحييت الأمة) ، وهي مطبوعة في هيئة الأعمال الخيرية في عجمان - الإمارات 1999م. مسرحية ذات الصواري - دار ابن حزم 1995م. ومن ندواتها ومؤتمراتها: - ندوة أدبية في مركز الأمير عبد المحسن جلوي في 8/ 3/ 2012م بعنوان الأدب الإسلامي ، وقد شاركت فيها بورقة عمل تحت عنوان الأدب الإسلامي سبيل للنهوض بالأمة. - ندوة المشروع الحضاري الإسلامي إلى أين؟ أقامها مركز الأمير عبد المحسن آل جلوي في 2009/12/24م ، قدمت فيها بحث "المشروع الحضاري الإسلامي ، الأسس والمرتكزات" ونشر في كتاب بعنوان خطوات على طريق المشروع الحضاري الإسلامي ص 9-34. - ندوة تدريس الشعر في الجامعات نموذج جامعة الشارقة في 10 / 2/ 2009م في بيت الشعر بالشارقة. - شاركت في حلقة نقاش بعنوان لغة القرآن الكريم ، الواقع وسبل النهوض بها بمحورين هما جماليات اللغة العربية ، والحداثة والعولمة وأثرها في اللغة العربية وكانت في مركز الأمير عبد المحسن جلوي في 2008/4/3م ونشرا في كتاب يحمل اسم

الندوة. - مؤتمر وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة حقائق وآفاق قدمت له بحث المرأة في الحضارتين الإسلامية والعربية من خلال الشعر العربي ، عقد في كوالالمبور، ماليزيا من 14-2007/8/16م في المعهد العالمي لوحدة الأمة ، ونشر البحث في كتاب يجمع وقائع المؤتمر ج 3 ص 265 . - ندوة الأدب الإسلامي والمذاهب النقدية الغربية في 2007/2/5م أقامها بيت الشعر في قصر الثقافة في الشارقة في 2007/2/5م ، وقدمت فيها ورقة عمل يحمل العنوان نفسه . 8- حلقة نقاش في مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي بعنوان " الدعوة النسائية : الأسس والمنطلقات "شاركت فيها بورقة عمل صفات الداعية" في 2006/10/7م ونشرت في كتاب يحمل الاسم نفسه. - مؤتمر اللغة العربية في عالم متغير أقامته كلية الآداب والعلوم في جامعة الشارقة ، وقد شاركت فيه ببحث مصطلح الأدب الإسلامي والالتزام ، وكان في 2005/4/19م. ندوة "اللغة العربية والتحدي" في جمعية حماية اللغة العربية في2003م ، بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني للغة العربية. - ندوة اللغة العربية والإعلام في جامعة الشارقة قسم اللغة العربية ، وعنوان بحثي اللغة العربية والتحدي الإعلامي ، وكانت في 2002/5/7م. - التعقيب على ورقة عمل بعنوان "المكتبة المدرسية وتنمية الميول القرائية لدى الطلاب" مقدمة من د. زينب العضب إلى مؤتمر "المكتبة المدرسية وآفاق تطوير التعليم وتحديثه. - شاركت في مؤتمر رابطة الأديبات المسلمات الأول الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي في القاهرة في صيف 1999م ، ببحث: صورة المرأة في القصة الإسلامية الحديثة ، ونشر في كتاب يجمع وقائع المؤتمر بعنوان أدب المرأة دراسة مقارنة شر مكتبة العبيكان السعودية – الرياض 2007م. ومن محاضراتها التخصصية: - رمضان في الشعر العربي: في بيت الشعر في الشارقة في 2010م. - القيم التربوية والجمالية في شعر الأطفال في بيت الشعر في الشارقة في 2010م. - النزعة الإنسانية عند محمد سعيد العريان ، جامعة الشارقة في2008م. - محاضرات في دورة نظرية وتطبيقية لاستخدام مختلف المعاجم في الجامعة من 22-2008/10/24 م. - فن المفاخرات الأدبية في عصر الدول المتتابعة في الجامعة 2007م. - المسرح في العصر العثماني في جامعة الشارقة في 2005م. - السيرة الشعبية بين التاريخ والفن الملحمي والروائي 2005م. - القصة الرمزية في نثر الدول المتتابعة في جامعة الشارقة 2004م. - أصل الموشحات بين الشرق والغرب: في جامعة الشارقة في2003م. –"تفعيل المسرح المدرسي" في 2002م لمدرسات المنطقة التعليمية في الشارقة. - القصة في الإمارات بين الواقعية والحداثة في جمعية حماية اللغة العربية في الشارقة في 2002م. - العلاقة بين الإبداع الأدبي والدين في جامعة الشارقة في 2002م. - بدء ونهاية عصر الدول المتتابعة في2001م. - موسيقا الشعر العربي في العهد العثماني: جامعة الشارقة 2001م. - صورة المرأة في القصة الإسلامية الحديثة: جامعة الشارقة في 1999م. ومن محاضراتها غير التخصصية: - محاضرة المرأة المسلمة في مركز الأمير عبد المحسن آل جلوي في رمضان 2012م. - دورة في مركز أترجة لتحفيظ القرآن الكريم "في عجمان بعنوان": القرآن الكريم فصاحة وبيان" في 2002م. - محاضرة بعنوان "العلاقة بين الرجل والمرأة في العمل" في جامعة الشارقة ، مكتب التوجيه الوظيفي. - محاضرة "الاحتشام أو زوال الأمم" في جامعة الشارقة في 2001م. - محاضرة ثقافة المرأة المسلمة: في أندية فتيات الشارقة في 1999م. إن امرأة بهذا الحجم وبهذا المستوى من العطاء ، لجديرة بأن نتناولها في أكثر من قصيدة. وبالطبع جميع أبواق الإعلام مشغولة عنها وعن مثيلاتها من العالمات

المجيدات! مشغولة عنها بأخبار الراقصات والمغنيات ، عليهن جميعاً من الله الجبار ما يستحققن إلا من تابت وآمنت! فلا أحد يتناول مشوارها العلمي ولا يتحدث عن ندواتها وأنشطتها واهتماماتها! كما أن جريدة أو صحيفة أو مجلة من هنا أو من هناك لا تتناول الشيء القليل فضلاً عن الكثير عن الدكتورة زينب! ومن هذا المنطلق أردتُ أن أوفيها بعض حقها علينا ، فكانت هذه القصيدة ترجمة لإرادتي هذي! وأدعو لها بالبركة والاستمرار في إثراء المسيرة الأدبية والعلمية والذود عن الإسلام والدفاع عن العقيدة والتوحيد ، مهما كلفها ذلك وأسأل الله أن يجزيها عن العربية والعلم والدعوة خير الجزاء!)

23 - أسماء

(كان اسمها سانجو ، وكانت نصرانية. ثم منّ الله عز وجل عليها بالإسلام. وكانت لا تحسن غير لغة قومها ، فمنّ الله عليها بتعلم العربية وفقهها. فأبلتْ في الإسلام بلاءً حسناً. ودعتْ إلى الله بلغتها القومية. وجاءتْ ديار العرب وعلمتِ العربيات. ويُسأل الأستاذ إبراهيم الفارس سؤالاً هو: (هل المرأة كالرجل في وجوب الدعوة إلى الله تعالى؟ فيجيب: (لا بد أن يعلم الإنسان أن كل مخلوق قد يُسر له أمر ويُسر له منهج ، والإنسان مطالب بهذا المنهج ، فالرجل له مجالاته الدعوية التي لا يمكن للمرأة أن تقوم بها ، فالجهاد في سبيل الله مجال دعوي قوي ، لكن المرأة لا تطالب بالجهاد ، كذلك للرجل أن يخطب على المنابر أمام الناس! والمرأة لا تستطيع أن تفعل ذلك ، لكنها تستطيع أن تكمل هذا العمل بما تستطيعه أمام النساء ، والمرأة في هذا الجانب مساوية للرجل تماماً).هـ.)

24 - لعل أبي يسمع

(من الأبناء من إذا نظر إليه أبوه قال: (اللهم أجُرني في مصيبتي ، واخلف لي خير منها). ومنهم من إذا نظر إليه أبوه قال: (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماماً). أورد قصة كفاح ابن في هداية أبيه ، الأستاذ الخولي في قصصه الواقعية صـ 678. كان ذلك الابن شديد الحرص على إجابة النداء وإدراك الصف الأول ، بل والصلاة خلف الإمام مباشرة وبين كبار السن ، لاحظ الإمام أن هذا الطفل يطيل المد في التأمين (كلمة آمين) خلفه في الصلاة الجهرية ، وبصوت جهوري ومميّز ، لدرجة أن من كان خارج المسجد يسمع تأمين الطفل ويميزه عن غيره ، أراد الإمام أن ينصحه كي يخفض من صوته ، فكانت المفاجأة عندما قال له الطفل مزيلاً الشبهة: إنني أعلم بخطئي في ذلك ، ولكن أبي لا يصلي ، ولا يستمع لنصحي ، فأردتُ أن أرفع صوتي بالتأمين لعله يسمعني ويتذكرني ، فيرق قلبه ويرجع إلى الله ، فأكبر الإمام همة هذا الطفل الصغير وحرصه على هداية والده ، فأخذ بعض من كان فى المسجد وزاروا أباه ، وحكوا له الحكاية ، فتأثر الأب وتاب إلى الله ، وأصبح من رواد المساجد. فكان هذا التصرف من الابن فاتحة خير على أبيه الذي تاب إلى الله وأناب. والحقيقة إنها الشهوات تصرف العبد عن طاعة ربه! يقول الإمام ابن الجوزي: "قدرت في بعض الأيام على شهوة النفس ، هي عندي أحلى من الماء الزلال في فم الصادي ، وقال التأويل: ما ههنا مانع ولا معوق إلا نوع ورع ، وكان ظاهر الأمر امتناع الجواز ، فترددت بين الأمرين فمنعت نفسي عن ذلك فبقيت حيرتي ، فقلت لها: يا نفسي ، والله ما من سبيل إلى ما تودين ولا ما دونه ، فتقلقلت فصحت بها ، كم وافقتك في مراد ذهبت لذته ، وبقي التأسف على فعله ، فقدري بلوغ الغرض من هذا المراد ، أليس الندم يبقى في مجال اللذة أضعاف زمانها. فقالت: كيف أصنع؟ فقلت: ها أنذا أنتظر من الله عزّ وجل حسن الجزاء على هذا العمل فأسطره إن شاء الله ، فإنه قد يعجل

جزاء الصبر ، وقد يؤخره ، فإن عجل سطرته ، وإن أخر فما أشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه ، فإنّ من ترك شيئاً لله ، عوضه الله خيراً منه. والله إني ما تركته إلا لله تعالى ، ويكفيني تركه ذخيرة ، حتى لو قيل لي: أتذكر يوماً آثرت الله على هواك؟ قلت: يوم كذا وكذا. وكان هذا في سنة 561 هجرية ، فلما دخلت سنة 565 هجرية عوضت خيراً من ذلك ، فقلت هذا جزاء الترك لأجل الله سبحانه في الدنيا ولأجر الآخرة خير والحمد لله. ويقول في مقام آخر: يقول: تراءنت عليَّ نفسي في طلب شيء من أغراضها ، بتأويل فاسد فقلت لها: بالله عليك تصبري ، إذا هممت بفعل فقدري حصوله ثم تأملي عواقبه ، وما تجنيه من ثمراته فأقل ذلك الندم على ما فعلت ، ولا يؤمن أن يثمر غضب الحق عزّ وجل وإعراضه عنك ، ثم اعلمي أيتها النفس أنه ما يمضي شيء جزافاً ، وأنّ ميزان العدل تبين فيه الذرة ، فتأملي الأموات والأحياء ، وانظري إلى من نشر ذكره بالخير أو الشر. يقول ابن الجوزي: وقد رأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاة لأجل نيل ما في أيديهم ، منهم من يداهن ويرائي ، ومنهم من يمدح بما لا يجوز ، ومنهم من يسكت عن منكرات إلى غير ذلك من المداهنات ، وسببها الفقر ، فعلمنا أنّ كمال العز والبعد عن الرياء يكون في البعد عن الولاة الظلمة ، ولم نر من صحّ له هذا إلا في أحد رجلين: * الأول: من كان له مال كسعيد بن المسيب كان يتجر في الزيت وغيره ، وسفيان الثوري كانت له بضائع ، وكذلك ابن المبارك. * الثاني: من كان شديد الصبر قنوعاً بما رزق وإن لم يكفه كبشر الحافي ، وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجد الإنسان كصبر هذين ولا كمال أولئك ، فالظاهر تقلبه في المحن والآفات وربما تلف دينه. ويقول ابن الجوزي: ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً ، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل وجه ، فما رأيت طريقاً للخلاص ، فعرضت لي هذه الآية: "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب" فعلمت أنّ التقوى سبب للمخرج من كل غم ، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج فلا ينبغي أن يتوكل المؤمن إلا على الله ، فالله عزّ وجل كافيه ، فيقوم بالأسباب ولكن لا يعلق قلبه بها. فأعجبتني قصة الصبي مع أبيه ، وأحسست بأنها تجسد شيئاً من طفولتي!)

25 - أتيناكم أتيناكم

(تمر الأيام ، وتتعاقب السنون ، ويزداد إعجابي بهذا النشيد الجميل. وكنت أعجبت به للمرة الأولى منذ مطلع الثمانينات من القرن المنصرم. وعندما تزوجت وضعت شريطه بصوت المنشد المصري المحبوب (أبو عابد). ومرت أيام عُرسي الأولى على أنغام أبي عابد مصحوبة بالدف بغير جلاجل. وذلك بالإضافة إلى أناشيد أفراح أخرى مثل: (زوّجْ من ترضى أخلاقه – أفراحْنا شكرْ لربنا – وغيرهما) وأما نشيد (أتيناكم) فقد تصدر الجميع وأخذ المقام الأول والمنزلة العليا! وخاصة بعد الإضافات التي زوّده بها أبو عابد – حفظه الله -. وكنت قد دعيت إلى أحد الأعراس ، وتذكرت ما عليه التوحيد من غربة ، فأخذتُ أنتحب ، وتذكرتُ حديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم – عن غربة الإسلام: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء. وتذكرت قول النبي – صلى الله عليه وسلم – يُعلم الصحابة ماذا يقولون في الأعراس ، وتذكرتُ أن هذا المقطع قد نسج على منواله شعراء في القديم والحديث:-

أتينـــــــــــــاكم ، أتينـــــــــــــاكمْ فحيونـــــــــــــا نحيـــــــــــــيكمْ

ولـــــــــولا الحبـــــــــة الســـــــــمرا لمـــــــــا سَـــــــــمُنت عَـــــــــذاريكم

ولـــــــــولا الـــــــــذهب الأحمـــــــــرْ مـــــــــا حُلـــــــــتْ بـــــــــواديكم

فرُحتُ أتغنى بهذا المطلع ، فصغته مكرراً وأضفتُ إليه وحذفتُ منه! مرة سنة 1983م ، ومرة أخرى سنة 1993م ، أي بفارق زمني بين الصياغتين والتعديلين والإضافتين هو عشر سنين. وقمت عام 1996م بدمج الصياغتين في قصيدة واحدة متجانسة ، والحكم للقراء وللتاريخ!)

26 - أريج البطولة

(كتب الاستاذ / محمود عبد الرؤوف القاسم كتابه: (الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) ذلك البحث الذي طال انتظاره. وكان قد دعمه بالأدلة القوية من كلامهم. ويقع الكتاب في 900 صفحة. وميزة هذا الكتاب أنه يستشهد كثيراً بأقوال الغلاة منهم! مما يجعل القارئ في غنيةً عن أن يرجع للمصادر والمراجع! وأراه بذلك قد أقام عليهمُ الحجة وفصّل المحجة! وعلى الباحثين أن يهتموا بهذا السبق العلمي تحقيقاً وتنقيحاً! ولقد طالعته كله رغم طول متنه وعمق مادته فألفيته سفراً علمياً عظيماً فذاً! ومن هنا حييته وحييتُ صاحبه.)

27 – لن أبتسم أبداً!

(يعرف الكل قصيدة الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي ، التي عنون لها في ديوانه بذات العنوان: (ابتسم) داعياً صديقه المتشائم إلى التفاؤل ، ولعل له حقاً في ذلك من زاويتين: الأولى أنه يجب على الإنسان أن يتفاءل دائماً ، والثانية أنه يجب عليه أن يحسن الظن بالله. وأنا لا أخالفُ عن إحسان الظن بالله. وإن كان لا يوجد ما يبعث على التفاؤل من حولنا! يقول الأستاذ أسامة الشبانة ما نصه: (إيليا أبو ماضي الشاعر المهجري الذي أسماه بعض النقاد بشاعر التفاؤل ، نلتقي معه هنا في دراسة لقصيدته التي تبعث التفاؤل والسعادة ، وتبرز شيئا من جمال الدنيا المُشرق. فهي قد خاطبت النفس البشرية بشكل فيه من النقاء والصفاء. نجد هذه القصيدة تحمل كماً هائلاً من الروح العالية عند الشاعر ، فهو قد جعل المتلقي يعيش في بحر السعادة بشكل مقنع ورائع. إن الخطاب الشعري بشكل عام لا بد أن يحوي على مقصد ما ، فنجد إيليا أبو ماضي في هذه القصيد قد وضح مقصده وبان ، وذلك بجعل اليائس متفائلاً ، والحزين سعيداً ، بجُمل متراكبة وحوار شعري بارع. نجد الشاعر في هذه القصيدة قد جعل الخطاب لفرد واحد فكأن كل قارئ لهذه القصيدة يتصور أن الخطاب له شخصياً ، وهذا من أبلغ وأجمل المعاني التي تحملها القصيدة. أضف إلى ذلك أنه لم يغفل عن ضمير الغيبة ، فقد أتى به لينوّع في الخطاب ، لئلا تفقد القصيدة نشاطها وحيويتها. فإن التنوّع في الخطاب يجعل القارئ لا يفتر عن متابعة قراءة القصيدة ، وبيان ما فيها من معان. أيضاً نجد الشاعر استخدم أسلوب الاستفهام بشكل واضح وبين ، والإجابة الدقيقة على أي شخص في الخطاب العادي بأسلوب الاستفهام ، يجعل الآخر يستلهم مراد المجيب ويقتنع به ، وهذا ما وجدناه في هذه القصيدة ، فالشاعر يُجيب بأسلوب الاستفهام مع شيء من الحكمة. نجد إيليا أبو ماضي في قصيدته قد أجاد في سبك هذا الحوار الرائع ، فإن ما يشدّ القارئ في هذه القصيدة الحوار الجميل المشتمل

على بعض الحكمة وكثير الإقناع. وقد سخر لبنائها عدة سمات أسلوبية أضفتْ على القصيدة صِبغة جمالية ، وهذه السمات تجمع بين بلاغة الشعر وبلاغة التمثيل الخطابي ، لأن غاية الشعر منها الحمل على الإقناع والجمال ، وقد حقق الشاعر هنا هذين الهدفين).هـ. وتخيلتُ صديق الشاعر إيلياء أبو ماضي المتشائم دائماً يرد عليه دعوته متسائلاً: ما الذي يدعو للابتسام يا أبا ماضي؟ النفوس مقهورة والأراضي مسلوبة والأقوات منهوبة ووسد الأمر إلى غير أهله منذ زمن بعيد! وتكاليف المروءة والنجابة والكرامة باهظة جداً! وزاد حبات الطين بلة الأواصر المتقطعة بين الأهل والأقربين ، وافتقاد كثير من الناس إلى معاني الإنسانية من حب وعطف وحنان وتعاطف وتراحم وتواد! والإقبال الشديد على أمر الدنيا ، والإهمال والتغافل التامان عن أمر الآخرة! وتطلب مني أن أبتسم؟! وتحملني على التفاؤل والتفاعل مع الحياة على عِلاتها؟ إنه المستحيل بعينه!)

28 - أسماء وألقاب

(ينفخ أهل الجاهلية في بعض الشخصيات التي تعضّد منهجهم. ولا تعدو عن كونها أسماء وألقاب لماعة فقط. فكم من مستشعر ساقط جعلتْ منه الجاهلية شاعر الجيل! وكم من مدع للكتابة وليس يدري عن الكتابة أي شيء ، صنعت منه الجاهلية كاتباً عملاقاً! وكم من عديم أخلاق وفكر ، صنعتْ منه الجاهلية مفكراً كبيراً! والله يشهد إنهم لكاذبون. بل كانت هذه أسماء وألقاب تتداول بين الناس ليس إلا.)

29 - يا ناس احترموا التخصص

(لقد أصبح الدِين اليوم كلأ مباحاً لكل من هبّ ودبّ. ودعوى الناس أن الإسلام ليس حِكراً على أحدٍ وليس به كهنوت ولا يعرف طبقة رجال الدين ، أقول: إن هذا القول صحيح ، ولكنه في غير موضعه. وبمعنى آخر هو كلمة حق أريد بها باطل! نعم الإسلام لا يعرف الكهنوت ولا رجال الدين ولكن يعرف علماء الدين المتخصصين! ومن هنا فإنه لا يكون حِكراً على أحدٍ بشرط العلم والتخصص. * إن لكل عِلم أهله ، ولكل فن رجاله. فكما أنه لا يجوز للطبيب أن يدرّس ولا يجوز للمدرس أن يُطبّب ، بل يلتزم كل إنسان تخصصه! بل ليس لكائن مَن كان من أهل الطب مثلاً أن يتجاوز تخصصه في فرع من فروع الطب إلى آخر! فطبيبُ العيون لا يعالجُ القلب! كما أن معلم اللغة الإنجليزية لا يعلم الكيمياء أو الفيزياء! وهذا شيءٌ دَرَجنا عليه وألِفناه! وإذن فالمسألة مسألة تخصص. فلماذا إذن عندما جاءت للدين اختلفت؟! وأصبح الدينُ هو الذي لا يتخصص فيه أحد؟ يقول الله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ، ويقول: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ، ويقول: (ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى العلم منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، ويقول: (فاسأل به خبيرا). ويقول: (ولا ينبئك مثلُ خبير). ونبينا قال في صاحب الشجّة الذي أفتاه بعض الناس بوجوب الغسل رغم جرح في رأسه بالغ ، فأطاعهم ، فاغتسل فمات. قال النبي: (قتلوه قتلهم الله ، هلا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإن شفاء العي السؤال!) * والحقيقة أن للناس اليوم جُرأة رهيبة على الفتيا على عكس السلف. قال ابن أبي ليلى: أدركتُ مائه وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول. وما منهم من أحد يُحَدّث بحديثٍ أو يسأل عن شيء إلا ود أخاه لو كفاه. وقال عطاء بن السائب: أدركتُ أقواماً إنْ كان أحدهم ليسأل عن شيء فيتكلم فيه ويرعد. * وسئل الإمام مالك أربعين مسألة فقال في ثمان وثلاثين منها

وقيل تسع وثلاثين: لا أعلم. ومن هنا أنشدتُ من شِعري هذه القصيدة لكل إنسان لا يحترم التخصص في العلم ، ويتجرأ على الفتيا بغير دليل ولا هدى من الله ولا كتاب منير. وكان الباعث على القصيدة رؤيتي لمجموعة من الحدّادين كلٌ منهم يُفتي بغير علم! يقول الدكتور المحترم أحمد بن عبد العزيز الحداد وتحت عنوان: (احترام التخصص) ما نصه: (إن مما اتفق عليه عقلاء البشر أن التخصصات العلمية محترمة ، فلا يقبلون من غير المتخصص في فن أن يتصدّر لتقرير أو إفتاء أو تأليف أو توجيه في غير فنه ؛ لما في ذلك من الجناية على العلم ، وفتنة الناس وتضليلهم ، ثم ليكون هو نفسه مصوناً عند غيره فلا يُستهدف بالنقد أو الرد. وقد جاء الإسلام فأرسى هذا المبدأ المعرفي الإنساني يوم أن دعا الناس إلى التوجه بالسؤال لأهل الاختصاص دون غيرهم ، فقال في محكم التنزيل: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ، أي أهل التخصص في المجال المسؤول عنه لا غيرهم ، يأمر بذلك مرتين في الكتاب العزيز ، وهو أمر إيجاب في مسائل الدين ، وندب في غيرها! ذلك أن من لا يعرف يكون فاقداً للإفادة ، وفاقد الشيء لا يعطيه كما تقوله القاعدة المسَلمة بين الناس ، فإن سأل من لا يعرف فإنه يكون مقصراً ولا يعفيه ذلك من المسؤولية ، ولترسيخ هذا المعنى التخصصي كان النبي صلى الله عليه وسلم يُنوّه بتخصصات أصحابه الكرام إشادة بهم فيقول: «أرأف أمتي أبوبكر ، وأقواها في أمر دين الله عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأقضاها عليّ ، وأقرأها أُبَيٌّ ، وأفرضها زيد ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»! ليكون الناس على بيِّنة من هذه التخصصات حتى يلجأوا إليها عند الحاجة ، أو لترجيح قول صاحب التخصص عند التعارض. وهكذا سار عمل الناس وعرفهم تالداً وتالياً ، فالمهندس لا يحسن أن يتكلم في غير فنه ، والطبيب كذلك ، والأديب والمؤرخ واللغوي والفقيه والمحدّث ، كلهم لا يُقبل منهم قول إلا في ما عانوه وتخصصوا فيه ، حتى إنه عيب على المحدثين عيباً شديداً وقاسياً إذا تحدّثوا في الفقه ـ بما لا يحسن ذكره هنا ـ مع أن الحديث هو مصدر الفقه الثاني ، ولكن المحدّث الراوي قد لا يُحسن الاستنباط الفقهي ، فلم يعتد بفقههم ، فكيف إذا أتى غيره من ذوي التخصصات البعيدة ليتحدث في غير فنه؟! إن حديثه يكون سَمِجاً عند أهل الفن ، ويُضربُ به عُرض الحائط ، مع شدة النكير ، وقد يكون الأمر سهلاً ، ولكن العلم أمانة ، حتى لا يضيع بين تقريرات أو تأليفات غير المتخصصين. وقد سُنَّت قوانينُ رادعة لمن يتطبب وهو غير طبيب لأن الطب يحفظ الأبدان ، وغير الطبيب يؤذي الناس ويضر بأبدانهم بوصفاته غير الصحيحة ، وقد ورد في الحديث: «من تطبب ولم يعرف منه طب فهو ضامن». وليس ضرر هذا المتعالم في الطب بأكثر من المتعالم في الدين ، فإن الإضرار بالدين أشد خطراً وأكبر أثراً ، فما أصاب الناس من ويلات ونكبات في أبدانهم وأوطانهم وأرزاقهم إلا بسبب أولئك الذين تكلموا في الدين وهم ليسوا من أهله ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ، والشعوب تعرف ذلكم الخطر لذلك تهب عندما يقتحم حمى المعارف من غير المتخصصين ، فترفع القضايا ويقضى على المتعالمين ، ويحملون التبعات الكثيرة ، كل ذلك في قضايا المعارف العلمية من طب أو هندسة أو نحوها مما يمس الحياة الإنسانية ، إلا أننا نجد تهاوناً كبيراً في القضايا الدينية الخطيرة التي تمسّ المعتقدات أو الثوابت النصية أو الفقهية. وقد دخل رجلٌ على ربيعة ـ شيخ الإمام مالك ـ فوجده يبكي ، فقال: ما يُبكيك؟ أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا ، ولكن استُفتي من لا علم عنده ، وظهر في الإسلام أمر عظيم. ثم قال ربيعة: ولَبعض من يُفتي ها هنا أحقُّ بالحبس من السُّرَّاق. أي: أحق بأن يحبس ويسجن من اللصوص. وقال الحافظ ابن حزم رحمه الله تعالى: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء وهم من غير أهلها ، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون. والمقصود هنا هو التنبه لمن يتصدى لمسائل الدين تفسيراً أو حديثاً أو فقهاً أو فكراً وهو من غير أهله ، فيقال له ما قيل في المثل السائر: مكانك تحمدي أو

تستريحي).هـ. ولقد سُئل الأستاذ الدكتور الشريف حاتم بن عارف العوني عن مثل ذلك فأجاب وأوجز فأعجز ، ويحسن بنا أن نورد السؤال والجواب! (أما السؤال فهو: ما الفرق بين المطالبة باحترام التخصص في العلوم الشرعية والكهنوت؟ أليست مطالبة غير المتخصص في الشريعة بالرجوع إلى المتخصصين كهنوتاً واضحاً؟! وأما الجوابُ فهو: * أولاً: نحتاج أن نثبت للمسلمين أن علوم الشريعة علومٌ تخصصية كبقية العلوم ؛ حيث إني أعترف أن أدعياء حملة الشريعة من المتصدرين للإفتاء والوعظ في العصر الحديث هم أول من أساء إلى علوم الشريعة ، وهم أول من بثّ في الناس القناعة بعدم عمقها وبسطحيتها! وذلك بسطحيتهم وعدم عقلانيتهم وبسوء أخلاق بعضهم حتى ظن الناس أن العلوم التي يحملونها هي معارف الأغبياء الحمقى ومباحث الدراويش ودروس الجامدين فكرياً! وعزّزنا هذا الانطباع السيء عن علوم الشريعة في كلياتنا وأقسامنا الشرعية! عندما أصبحت تقبل من الطلاب من ترفضه الأقسام العلمية الأخرى لانخفاض مستواه التحصيلي ، ومن يعجز عن السير فيها لعدم استعداده للتعلّم الجادّ! فمع الانطباع الأول الذي يُخلّفُه هذا التصرف من أن العلوم الشرعية سهلة سهولة السطحية وقريبة قُرب العبث ، فهذا التصرّفُ أيضا سيكون خطةً مستقبلية لتخريج الحمقى والمغفلين من الأقسام الشرعية ، وبشهاداتٍ عُليا فيها ، وهم بهذا المستوى المنخفض من الذكاء ، فضلا عن العلم! فكيف نريد من بعض الناس بعد هذه التصرفات أن يقتنعوا بعمق العلوم الشرعية وبدقتها وبأنها تخصص لا يصح أن يلجه أحد إلا بحقه من العلم به ، كأي علم آخر يحترمه الناس؟! إذن فأول حلول هذا الإشكال: أن علينا معشر الشرعيين أن نعيد للعلوم الشرعية هيبتها ، بالتزامنا نحن بالتعمق فيها ، وأن نحترمها قبل أن نطالب غيرنا باحترامها ، وأن يكون خطابنا عنها وبها خطابا يحترم العقل ويحسن الإقناع ويثبت جدارتنا بحملها دون المتسورين عليها. * ثانيا: لا شك أن بعض الرفض من الخوض في العلوم الشرعية كهنوت ، ولكن بعضه ليس كهنوتا أيضًا ، وهو كرفضنا من أن يتكلم الجاهل بأي علم بجهله فيه ، ولذلك: لن يُقبلُ ادِّعاءُ مدَّعٍ (من علماء الشريعة) عدمَ أهليَّةِ مخالفِهِ لنقدِهِ أو الاعتراضِ عليهِ في مسألَةٍ ما ، بغيرِ أحدِ أمرينِ: * الأوَّلُ: أن يُثْبِتَ المدَّعِي بالدليلِ أنَّ مخالفَهُ لا يَستَطِيعُ معالجَةَ المسألَةِ العلميَّةِ هذِهِ ولا يعرفُ طريقَةَ التعاملُ معها بأدواتِهَا. كأنْ يعترضَ معترضٌ جاهلٌ على متخصصٍ في التفسيرِ حيالَ تفسيرِ آيةٍ ما ، فيثبت لهُ المفسِّرُ أنَّهُ عاجزٌ عن فهمِ لُغةِ النصِّ القرآنيِّ ، من خلالِ اختبارِهِ إيَّاهُ في القاعدَةِ اللغويَّة التي يتوقفُ على فهمِهَا واستيعابِـهَا فهمُ الآيةِ. * الثَّاني: أن يكون دليل المتخصِّص على المسألة الجزئية مما يمكن أن يفهمه غير المتخصص ، وحينئذ على المتخصص أن يُظهر لغير المتخصص الحجة وأن يبين له البرهان وأن يقنعه بهما ، من خلال تفهيمه وتيسير الفهم عليه ، لكي يبين له أنه لعدم تخصصه غاب عنه الدليل وأخطأ طريق الفهم والاستدلال. فإنْ كانَ منعُ مدعي العلمَ اعتراضَ المعترضِ غيرَ قائمٍ على إحدى هاتينِ الدِّعَامتينِ فهُو مجرَّدُ وصايَةٍ وكهنُوتٍ لا أكثَر).هـ. وأخيرا تقول الدكتورة نبيلة شهاب عن احترام التخصص ما نصه: (التخصص مفهوم واضح ومهم جداً في المجتمعات المتقدمة ، واحترامُه والتمسكُ به أمرٌ مفروغ منه ، وكل فردٍ يتفانى في اكتساب الخبرة في مجال تخصصه ، ويحاول أن يواكب التطور في ذلك. لا يشعر أي فرد بالحرج أو الخجل أو الخرف مهما علا مركزه من أن يقول: "لا أعرف" أو "لا يوجد لديّ معلومات ومعرفة كافية في هذا المجال" ، وقد يرشح بعض الأسماء في المجال الذي استفسرت عنه أو يدلك عليها. هناك تخصصات معينة وهي المتصلة اتصال مباشر بالفرد وحياته الشخصية والنفسية والاجتماعية وصحته تخضع لمراقبة الدولة مراقبة مستمرة وصارمة وقد تم وضع قوانين حازمة دقيقة لها لا يتعداها أحد كائناً من كان! على سبيل المثال لا الحصر الطبيب والمعالج النفسي والمعلم وغيره. الالتزام بالتخصص ليس شيئاً لا هدف من ورائه ، بل هو أساس العمل وأساس إتقانه والإبداع فيه ، فحين ينصب

اهتمام أي فرد على عمل معين يبدع فيه ، ينحصر التركيز عليه ومن ثم تتقلص الزوايا وتصغر مساحات التعلم ليزداد التركيز على هذا المجال فقط ويتفوق الفرد في هذا التعلم ليبدع بعدها في مجال عمله وتخصصه ، لأنه اكتسب وتعلم كل تفاصيله بكثافة وبعمق ، على خلاف لو أن الفرد شتت انتباهه واهتمامه على أكثر من تخصص أو عمل مما يزيد من مساحة التعلم وينعكس ذلك سلباً على التبحّر في هذا العلم وكشف جميع أسراره ودقّ تفاصيله. في مجتمعاتنا للأسف بعضنا علماء في كل شيء ، فلو صادفنا مريضاً أو زرناه نصبح أطباء نشخص ونعالج ، وهذه أهم نقطة ، في الأكل - الشرب - الملابس ، ولو صادف صديق مشكلة زوجية أو اجتماعية نصبح المرشد النفسي ونغرقه بالنصائح "العلمية"، متخصصون في كل شيء وننقل خبراتنا للكل ، والبعض يغضب إن لم يؤْخَذ برأيه! وللأسف عند البعض كلمة "لا أعلم" مرادفة لـ "أنا غبي" على الرغم من أن لفظ "لا أعلم" هي دلالة على العِلم وعمقه!).هـ. فنقول: احترموا التخصص يا قوم! ولا تفتوا بغير علم ، ولا تنصبوا من أنفسكم علماء وأنتم أجهل من الجهل ذاته! وأعود لمجموعة الحدادين الذين هم سبب كتابتي لهذه القصيدة فأقول لهم: لماذا تركتم ساحة الحدادة إلى ساحة الفتيا في شرع الله تعالى؟ هل نافسكم علماء الشريعة ، واقتحموا عليكم ساحة حدادتكم؟ اتقوا الله واحترموا التخصص ، والزموا حدودكم قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله! واعلموا جيداً أن احترام التخصص ينم عن حضارة روحية عميقة فضلاً عن كونه التزامٌ بأمر الله – تعالى – وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم -. ولا يُفتين أحدكم في دين الله بجهل فإن هذا من كبائر الذنوب لأنه يدخل في القول على الله بغير علم! وقد قرنه الله تعالى في كتابه بالشرك به – سبحانه -!)

30 - أسلِموا إذن!

(إن كل من مدح الرسول والإسلام من الكفار ، وهو مقيم على ما هو عليه من الكفر ليس بشيء ، حتى يترك ما هو عليه ويُسْلم لله رب العالمين. وإلا فما قيمة مدحه؟ ولا يجب أن تخدعنا أقوالهم البراقة الخادعة التي يحاولون بها الضحك علينا. ولسوف أضرب بعض الأمثلة التي قد ينخدع بها البعض! (فهذا جوستاف لوبون يقول: إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ولا ديناً سمحاً قبل الإسلام الحنيف. وأون كول يقول: لقد مُنحت المرأة العربية في دين الإسلام مكانة سامية على عكس ما كان قبل الإسلام ، حيث كانت جد مثل البهائم التي تباع وتُشترى. ولقد أكد محمد النبي على أهمية المرأة والزوجة في تكوين المجتمع الإنساني الكريم. وأرنولد يقول: إن مبادئ التسامح الإسلامي قد حرمت كل أنواع الظلم ، فلقد عامل المسلمون النصارى بالعدل والعطف. وهيوستين سميث يقول: إن الإسلام متهم في الغرب بأنه أهان المرأة بتعدد الزوجات ، ولو عدنا إلى التاريخ الصادق لوجدنا أن الإسلام رفع شأن المرأة مقارنة بالجاهلية الأولى. والمؤرخ ويلز يقول: لقد أسس الإسلام دعائم العدل وحارب الظلم وأقام مجتمعاً تغمره العدالة والحب والسلام الحقيقي. وهذا هو السياسي المشهور مونتجومري يقول عن نبينا محمد: 'إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم ، إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصلة في شخصه. فافتراض أن محمدًا مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد'. وهذا بوسورث سميث يقول عن الرسول: 'لقد

كان محمد قائدًا سياسيًا وزعيمًا دينيًا في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين ، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد ، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها'. وهذا هو جيبون أوكلي يقول عن النبي: 'ليس انتشار الدعوة الإسلامية هو ما يستحق الانبهار وإنما استمراريتها وثباتها على مر العصور. فما زال الانطباع الرائع الذي حفره محمد في مكة والمدينة له نفس الروعة والقوة في نفوس الهنود والأفارقة والأتراك حديثي العهد بالقرآن ، رغم مرور اثني عشر قرنًا من الزمان. لقد استطاع المسلمون الصمود يدًا واحدة في مواجهة فتنة الإيمان بالله رغم أنهم لم يعرفوه إلا من خلال العقل والمشاعر الإنسانية. فقول 'أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله' هي ببساطة شهادة الإسلام. ولم يتأثر إحساسهم بألوهية الله (عز وجل) بوجود أي من الأشياء المنظورة التي كانت تتخذ آلهة من دون الله. ولم يتجاوز شرف النبي وفضائله حدود الفضيلة المعروفة لدى البشر ، كما أن منهجه في الحياة جعل مظاهر امتنان الصحابة له (لهدايته إياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور) منحصرة في نطاق العقل والدين'. وهذا هو القس الدكتور زويمر يقول عن الرسول: 'إن محمدًا كان ولا شك من أعظم القواد المسلمين الدينيين ، ويصدق عليه القول أيضًا بأنه كان مصلحًا قديرًا وبليغًا فصيحًا وجريئًا مغوارًا ومفكرًا عظيمًا ، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات ، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء'. وهذا هو سانت هيلر يقول عن النبي: 'كان محمد رئيسًا للدولة وساهرًا على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعيًا إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة'. وفي دراسة له تحمل عنوان (غربيون مدحوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – يذكر الدكتور عمار علي حسن قوله: (الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون من أن الإمبراطورية التي أنشأها المسلمون كانت الأقل سفكاً للدماء فى تاريخ الإنسانية، رغم ادعاء البعض انتشار الإسلام بحد السيف. ويقول لوبون عن القرآن «حسب هذا الكتاب تقديساً وخلوداً أن القرون التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف ولو قليلاً من أسلوبه الذى لا يزال نقياً ، كأن الأمس هو عهده بالوجود». وفى كتابه العمدة «تاريخ الأدب العربي» يقول المستشرق النابه كارل بروكلمان إن محمداً جاء لينير الدرب لمن كانوا يسيرون في الظلام. أما كتاب «ألف شخصية عظيمة» لبلانتاجيت سومرست فراي فيشهد بأن «الكثير من المغرضين طمسوا معالم شخصية نبي الإسلام ، حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، إنه شخصية كبرى في تاريخ العالم ، فضلاً عن أنه نبي مرسل». ويهاجم الكونت دي بول نيفيلييه رجال الدين النصراني الذين تعمدوا التغاضي عن فضل الإسلام والمسلمين على الإنسانية جمعاء ، فيما يتخذ المستشرق الفرنسي ألفونس إينين دينييه ، الذى أعلن إسلامه عام 1927، الموقف نفسه ، مدافعاً عن الإسلام والرسول الكريم. وها هو الروائي الفرنسي العظيم أناتول دي فرانس ، يتحدث على لسان أبطال إحدى رواياته قائلاً: «أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بواتييه عام 732 عندما وقف الزحف الإسلامي ، حيث توقفت الفنون والحضارة العربية أمام البربرية الأوروبية». ويذهب الأديب الألماني الخالد جوته في الاتجاه نفسه ، معظماً مكانة الرسول في تاريخ الإنسانية جمعاء ، ومستشهداً في

أعماله بالقرآن الكريم والسيرة النبوية ، حتى قيل إنه قد أسلم سراً. والأمر نفسه تكرر في أدب روائي وكاتب الأرجنتين العظيم خورخي بورخيس ، الذى هام عشقاً في حضارة الشرق وأدبه ، وظهر تأثره البالغ بالقرآن الكريم. وينصف العلامة رودينسان حضارة المسلمين قائلا: «إن علوم أوروبا فيما تلى الحروب الصليبية ، والقرون الوسطى هي كلها علوم عربية الأصول إسلامية المصادر». ويؤكد العالم الفرنسي جوزيف كالميت أن المسلمين هم الذين قدموا الثقافة المثمرة للحضارة المعاصرة ، بينما كان غير المسلمين يتلقون هذه الثقافة العربية الإسلامية بكل فخرٍ واعتزاز. ويقول الشاعر الأمريكي الكبير واشنطن إيرفينج: «كانت أمية محمد إحدى دلائل معجزة النبوة عند هذا الرجل الأمين الصادق ، الذى بعثت به السماء لمهمة مقدسة ، وكان حريصاً لإيصالها بالحب ، بعد أن علمته السماء. كان يحارب من أجل العقيدة ، لا من أجل مصلحة شخصية». وهذا هو الزعيم الهندي المهاتما غاندي يقول عن النبي: 'أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر. لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته ، بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول مع دقته وصدقه في الوعود ، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه ، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق ، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة'. وهذا هو راما كريشنا راو يقول عن النبي: 'لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها ، ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة. فهناك محمد النبي ، ومحمد المحارب ، ومحمد رجل الأعمال ، ومحمد رجل السياسة ، ومحمد الخطيب ، ومحمد المصلح ، ومحمد ملاذ اليتامى ، ومحمد حامي العبيد ، ومحمد محرر النساء ، ومحمد القاضي ، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً'. وهذه هي ساروجني ندو شاعرة الهند فتقول عن الإسلام: 'يعتبر الإسلام أول الأديان مناديًا ومطبقًا للديمقراطية ، وتبدأ هذه الديمقراطية في المسجد خمس مرات في اليوم الواحد عندما ينادى للصلاة ويسجد القروي والملك جنب لجنب اعترافًا بأن الله أكبر. ما أدهشني هو هذه الوحدة غير القابلة للتقسيم والتي جعلت من كل رجل بشكل تلقائي أخًا للآخر'. وهذا هو المفكر الفرنسي لامارتين يقول عن النبي: 'إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في عبقريته؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات. فلم يجنوا إلا أمجادا بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم. لكن هذا الرجل محمدًا (صلى الله عليه وسلم) لم يقد الجيوش ويسن التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط ، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ. ليس هذا فقط ، بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة. لقد صبر النبي وتجلد حتى نال النصر (من الله). كان طموح النبي (صلى الله عليه وسلم) موجهًا بالكلية إلى هدف واحد ، فلم يطمح إلى تكوين إمبراطورية أو ما إلى ذلك. حتى صلاة النبي الدائمة ومناجاته لربه ووفاته (صلى الله عليه وسلم) وانتصاره حتى بعد موته ، كل ذلك لا يدل على الغش والخداع بل يدل على اليقين الصادق الذي أعطى النبي الطاقة والقوة لإرساء عقيدة ذات شقين: الإيمان بوحدانية الله ، والإيمان بمخالفته تعالى للحوادث. فالشق الأول يبين صفة

الله (ألا وهي الوحدانية) ، بينما الآخر يوضح ما لا يتصف به الله تعالى (وهو المادية والمماثلة للحوادث). لتحقيق الأول كان لا بد من القضاء على الآلهة المدعاة من دون الله بالسيف ، أما الثاني فقد تطلّب ترسيخ العقيدة بالكلمة (بالحكمة والموعظة الحسنة). هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم) الفيلسوف ، الخطيب ، النبي ، المشرع ، المحارب ، قاهر الأهواء ، مؤسس المذاهب الفكرية التي تدعو إلى عبادة حقة ، بلا أنصاب ولا أزلام. هو المؤسس لعشرين إمبراطورية في الأرض ، وإمبراطورية روحانية واحدة. هذا هو محمد (صلى الله عليه وسلم). بالنظر لكل مقاييس العظمة البشرية ، أود أن أتساءل: هل هناك من هو أعظم من النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ وهذا إدوار مونته يقول عن النبي: 'عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم ، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق ، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره ، وأشدهم حفاظًا على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل ، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم'. وأما برنارد شو فيقول عن النبي: 'إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد ، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات ، خالدًا خلود الأبد ، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة ، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا). إنّ رجال الدين في القرون الوسطى ، ونتيجةً للجهل أو التعصّب ، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً ، لقد كانوا يعتبرونه عدوًا للنصرانية ، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل ، فوجدته أعجوبةً خارقةً ، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًا للنصرانية ، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية ، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم ، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها'. وهذا هو السير موير يقول عن النبي: 'إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه ، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمدًا أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمدًا في طليعة الرسل ومفكري العالم'. وهذا هو سنرستن الآسوجي يقول عن النبي: 'إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا ، فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية ، مصرًا على مبدئه ، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين ، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع وهو فوق عظماء التاريخ'. وأما المستر سنكس فيقول عن الرسول: 'ظهر محمد بعد المسيح بخمسمائة وسبعين سنة ، وكانت وظيفته ترقية عقول البشر ، بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة ، وبإرجاعها إلى الاعتقاد بإله واحد ، وبحياة بعد هذه الحياة'. 'إن الفكرة الدينية الإسلامية أحدثت رقيًا كبيرًا جدًا في العالم ، وخلّصت العقل الإنساني من قيوده الثقيلة التي كانت تأسره حول الهياكل بين يدي الكهان. ولقد توصل محمد ـ بمحوه كل صورة في المعابد وإبطاله كل تمثيل لذات الخالق المطلق ـ إلى تخليص الفكر الإنساني من عقيدة التجسيد الغليظة'. وأما آن بيزيت فتقول عن النبي: 'من المستحيل لأي شخص يدرس حياة وشخصية نبي العرب العظيم ويعرف كيف عاش هذا النبي وكيف علم الناس ، إلا أن يشعر بتبجيل هذا النبي الجليل ، أحد رسل الله العظماء ، ورغم أنني سوف أعرض فيما أروي لكم أشياء قد تكون مألوفة للعديد من الناس فإنني أشعر في كل مرة أعيد فيها قراءة هذه الأشياء بإعجاب وتبجيل متجددين لهذا المعلم العربي العظيم. هل تقصد أن تخبرني أن رجلاً في عنفوان شبابه لم يتعد الرابعة والعشرين من عمره بعد أن تزوج من امرأة

أكبر منه بكثير وظل وفيًا لها طيلة ستة وعشرين عامًا ثم عندما بلغ الخمسين من عمره ـ السن التي تخبو فيها شهوات الجسد ـ تزوج لإشباع رغباته وشهواته؟! ليس هكذا يكون الحكم على حياة الأشخاص. فلو نظرت إلى النساء اللاتي تزوجهن لوجدت أن كل زيجة من هذه الزيجات كانت سببًا إما في الدخول في تحالف لصالح أتباعه ودينه أو الحصول على شيء يعود بالنفع على أصحابه أو كانت المرأة التي تزوجها في حاجة ماسة للحماية'. وأما مايكل هارت فيقول: 'إن اختياري محمدًا ، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ ، قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ، ولكنهم ماتوا دون إتمامها ، كالمسيح في النصرانية ، أو شاركهم فيها غيرهم ، أو سبقهم إليهم سواهم ، كموسى في اليهودية ، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية ، وتحددت أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة ، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا ، وحّد القبائل في شعب ، والشعوب في أمة ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضًا في حياته ، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية ، وأتمها'. وأما تولستوي فيقول: 'يكفي محمدًا فخرًا أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم ، وأنّ شريعةَ محمدٍ ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة'. وهذا شبرك النمساوي يقول: 'إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ إنّه رغم أُمّيته ، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع ، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون ، إذا توصلنا إلى قمّته'. لا يسعني إلا أن أقول بعد أن عرضت لبعض أقوال الغرب عن رسولنا الكريم يكفي شريعة الإسلام فخرًا وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها ، واعتراف الأعداء بحيويتها وخلودها. وهذا هو آينشتاين ، أشهر عالم عرفه القرن العشرين قال وهو في بيته في نيويورك ، مخاطبا أحد الفلسطينيين واسمه أبو الفضل: لو سلكتم مع اليهود في هذا العصر مثلما فعل آخر الأنبياء وهو محمد ، والذي لو سلكتم مسلكه مع اليهود ، لأصبحوا في أيديكم ، بدلاً من أن تكونوا في أيديهم. فالذي أعرفه أن النبي محمد استطاع أن يمتص كل سلوكياتهم الشاذة ، ضده وضد رسالته وبالحكمة التي عامل بها الناس جميعاً ، فلم يستطيعوا أمام سلوكه الإنساني. وفكره البسيط والعالمي في نفس الوقت إلا أن يرضخوا له فأصبحوا في يده حتى أن بعضهم آمن بمحمد ورسالته وانخرط في طريقه مؤمناً بكل ما يأتي به محمد. أعتقد أن محمد استطاع بعقلية واعية ، مدركة لما يقوم به اليهود أن يحقق هدفه ، في ابعادهم عن النيل المباشر من الإسلام ، الذي مازال حتى الآن هو القوة التي خلقت ليحل بها السلام. أعتقد لو أن محمد كان موجوداً لما كانت هناك على أرضكم مشكلة ، فلماذا وأنتم المحمديون لا تنهجون طريق رسولكم ، ربما تستطيعون حل هذه المشكلة (القضية الفلسطينية) التي ستزداد تعقيداً على مر الزمن. وأما هتلر الزعيم الألماني يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا الوحيد في هذا العالم الذي استحق اليهود أن يعذبوا على يديه ، استخفوا برسولهم موسى حتى ضاق بهم ، أمام أطماعهم وجشعهم ، وكان ضيق موسي يتحول الى بعد عنهم ، أعتقد أن الذي استطاع أن يتعامل مع اليهود ويكسبهم ويشل حركتهم في نفس الوقت هو رسول الإسلام محمد ، الذي فهم ما تدور به عقولهم وقلوبهم. لذا كان محمد حريصاً منهم حريصاً عليهم ليبلغ رسالته ، فاستقطبهم بطريقته التي لم ولن يصل إلى مرتبتها أحد. فالتعامل مع يهود مشكلة غير عادية. إنهم لا يستحقون الحياة. إلا أن محمداً كان واسع الصدر

يملك منطقاً غير عادى ، تأكدنا منه لتعامله معهم بالود الذي لم يألفوه ، وبالقوة التي شهدوها. أعتقد لو أنه كان محمد في عصرنا هذا ، لما فعل ما فعلت مع يهود ، لكنهم لا يستحقون إلا ما قمت به معهم. ومن ألمانيا يكرر الدكتور شوميس ما قرره كارليل: (يقول بعض الناس إن القرآن كلام محمد وهو حقاً محض افتراء ، فالقرآن كلام الله الموحى على لسان رسوله محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ، ويهدي الناس من الظلمات إلى النور). ثم يردف كلامه الأول بقوله رداً على المتعجبين من موقفه: (وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة. إني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة ، وتلك البلاغة التي لم أجد مثلها قط في حياتي. إن جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات. هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه). وسميث يقول: لا يجب أن نتصور أبداً أن الإسلام الحنيف دين الإرهاب ، أو أن المسلمين إرهابيون. إنه دين السلام ، بل ودين إكرام الإنسان وخاصة المرأة. وقد حقق من الكرامة لهذا الإنسان وللمرأة على وجه الخصوص ما لم يحققه أي دين آخر من يهودية ظالمة أو نصرانية حائدة. وأخيراً هذا هو جون نوس يقول: حقا إن بساطة الإسلام ووضوحه كان الدافع الحقيقي لاعتناق هذي الملايين له. ولم يثقل العقول بحشد هائل من الأسفار المقدسة المبهمة ولا العقائد الغامضة)هـ .إنني أعلنها شعراً لكل المستشرقين والفلاسفة الأحياء طبعاً من غير أهل ملتنا ويمتدحونها: أسلموا إن كنتم صادقين!)

31 - أسماءُ الله الحسنى

(نشرت مجلة (الضياء) هنا بالإمارات العدد 32 في سبتمبر 1993م ، ص39 قصيدة لأستاذنا الشاعر مليجي علي غانم. وهى حوالي 70 بيت من الوافر. وكان عنوانها (أسماء الله الحسنى) ، وقام كل بيت باسم من أسماء الله الحسنى. ولما كانت دون الـ 99 اسم الواردة في حديثه - صلى الله عليه وسلم - ، رأيت أن أنظم في مدح الله رب العالمين قصيدتي هذى. ذلك أنه ليس هناك من يحب المدحة أكثر من الله رب العالمين؟ وإن مدح الله عز وجل من صميم العبادة. وكثير من الشعراء مدحوا النبي – صلى الله عليه وسلم - ، وكانوا في ذلك بين المقل والمكثر ، وبين المنصف والغالي! ألا وإن الله – عز وجل – أولى بالمدحة. فوجدت - بعد دراسة استقرائية واسعة النطاق في القديم والحديث - أن قليلاً من الشعراء كانوا قد مدحوا الله – عز وجل -. فواعجباً: الشاعر يكتب فيبالغ في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – فيأثم عندما يخرجه عن بشريته ، ويخلع عليه – صلى الله عليه وسلم - بعض الصفات الربانية ، ولا أضرب أمثلة على ذلك ، فهي كثيرة ومعروفة! على حين إن هو أنشد فبالغ في مدح رب البرية فإنه يؤجر! ذلك أنه مهما بالغ في وصف ربه تبارك وتعالى ، فالله تعالى أعلى وأجل وأسمى من وصفه! ومن ذا الذي استطاع أن يصف الله نثراً أو شعراً؟! ويجدر بنا أن نلحق بالقصيدة هذا الفاصل الذي نقتبسه بتصرف من ابن عثيمين: (يقول الله عزَّ وجل: "وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" ، يعلم كلُّ مسلم أن الله سبحانه وتعالى جعل لنفسه أسماءً وصفات كاملةً وخاليةً من النُّقصان ، حيث إنَّ المسلِّم يتعبَّد الله سبحانه تعالى ويتقرَّب إليه ويدعوه بها. كما أنه لكلِّ اسمٍ من هذه الأسماء معنى متكامل ، فأسماء الله هي أعلامٌ مشتقَّةٌ من صفات وتدل على معنى ، وأما أسماء المخلوقين فهي أعلامٌ مجرَّدة لا تدل على صفةٍ بهذا المخلوق ، فهي جامدة من غير أية دلالة معنى أو صفة. أسماء الله تعالى توقيفية معنى توقيفية ، أي أنها موقوفة على ورود الشَّرع بها ، فهي التي يتوقف

إثباته أو نحوه على قول الشَّرع ، إذاً لا يجوز لنا أن نسمِّي الله بما لم يُسَمِّ به نفسه ، والأدلَّة على ذلك تأتي من الأثر والنَّظر ، كالتالي: الدليل من الأثر ، قوله سبحانه وتعالى: "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" ، فإثبات اسم لله لم يُسَمِّ به نفسه ، يعتبر من القول على الله بلا علم وهو حرام ؛ وذلك لقول الله تعالى: "وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً". الدليل من النَّظر ، من طبيعة الإنسان أن يستاء إن سمَّيناه بما لم يُسَمِّ به نفسه أو ما لم يُسمِّه به أبوه ، فمن باب الأولى أن نتأدَّب مع الخالق سبحانه وتعالى وأن لا نتعدَّى عليه بتسميته بما لم يُسَمِّ به نفسه ، وكما أن الله تعالى قال: "وللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى" أي أنها بلغت كمال الحُسْنِ ، فهي خاليةٌ من النُّقصانِ ، فمن أين لنا أن نعلم إن سمَّيْنا الله باسمٍ من عندنا أن هذا الاسم بلغ كمال الحُسْنِ ، كما يريده الله سبحانه وتعالى لنفسه؟ رأينا مما سبق أنه من الواجب علينا التَّعرُّفُ إلى أسماءِ الله وصفاته الدَّالة عليه! حتى نكون أكثرَ علماً بخالقنا من غير مُبالغةٍ بذلك ولا تقصير ، فما ورد بالشَّرع نأخذه كما هو من غير زيادةٍ أو نُقصان ، كما أننا نأخذ هذه الأسماء والصِّفات بفهم الشَّرع ، ولا نتعدَّى بالسؤال عنها ، فما سأل عنه الصَّحابة رضوان الله عليهم نأخذه ، وما سكتوا عنه نتركه فلا يأتِ سائلٌ ويسأل عن أمورٍ لم يتكلم بها لا الشَّارع ولا الصَّحابة من قبل).هـ. حفظ الله ابن العثيمين ونفع بعلمه. ومن هنا آثرت أن يكون من بين أشعاري هذه المدحة الربانية التي تستغرق أسماءه الحسنى ، تباركت أسماؤه ، وجلت صفاته ، وتقدست ذاته – عز وجل -. وأعرف جيداً أنني لم أبلغ مستوى الأستاذ الشاعر القدير مليجي على غانم ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني في كل مرة ، وأرجو أنْ لا أحرم عند الله أجر اجتهادي ومحاولتي. كما أنني أذكر هنا أن السبق دائماً للأول مهما بلغ الذي يليه من شأن وشأو ومنزلة. وأعرض ابتداء بشيء عن قصيدة الأستاذ مليجي فإنه بدأ قصيدته بأفضل اسم فقال:

تعـــــــالى اللهُ ربُ العالمينـــــــا نُوحـــــده ونســـــأله اليقينـــــا . الـــــله

ويـــــا رحمـــــن بـــــالأكوان هبنـــــا لكـــــل أمورنـــــا فتحـــــاً مبينـــــا . الـــــرحمن

رحـــــيم بـــــالخلائق كـــــن معينـــــا وثبتنـــــا وكـــــل المســـــلمينا . الـــــرحيم

واستمر هكذا أستاذنا الشاعر الفذ المحترم في ذكره الأسماء الربانية العظيمة الحسنى فقال:

ومقتـــــــدر تولانـــــــا بهـــــــدي ونـــــور منـــــك رب العالمينـــــا . المقتـــــدر

وأنـــــت مقـــــدم قـــــدّمْ شـــــؤوني إلـــى الخيـــرات واهـــد الســـائرينا . المـقـــــدم

32 - أسطورة الفاشلين

(العشق مرضٌ عضال ، احتار في عِلاجه الأطباء والاختصاصيون في الطب والعلاج والتداوي على مدار التاريخ ، كما احتار فيه الكُتاب والشعراء والأدباء على كر الدهور وتعاقب الأزمنة. واعتاد الكتاب المستنيرون بنور الوحيين القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، أن يُفردوا له الأبواب في كتاباتهم ، وإن هم كتبوا في الرقائق ، فلا ينبئك مثل خبير في الذي تركوه للإنسانية المشردة البائسة من الرصيد الضخم. فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، يضربان أروع المثل للذي أقوله الآن. وما ذلك كله إلا لأن مرض العشق ما يزال بصاحبه حتى يُجن ، أو يمل من حياته ، فيعتزل الناس ، وهو يعقل ما الناس وما العزلة. أو يهم باعتزال الناس وهو بينهم لا يدري ما العزلة وما الناس ، وبلفظ واحد يكاد يذهل في هذه الحياة فيُجن. إنني أسطر هذه القصيدة لعاشق ولهان. عاشق أضاع عمره سُدى ، وسار في طريق الغواية ، وكم نصحه الصالحون ، ولكنه أعرض ونأى بجانبه ، واختار طريقاً وعراً ، قل أن ينجو من مخالبه إنسان. ولقد عزم لنفسه أنه يستطيع تجاوز الأزمة التي يحدثها مرض العشق بصاحبه ، ولكنه ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وانحدر كما ينحدر كثيرون في وهدة الضياع السحيق ، ولو كان ناصحاً لنفسه لاستجاب لما نصح به من قبل. ولكن إبليس لا يزال بالإنسان حتى يوقعه فريسة سهلة لوسوسته ، ألا لعنة الله على أبالسة الإنس والجن! والاستقامة على الحق ليست بالأمر الهين ، والجنة حُفت بالمكاره أي بالمطلوبات التي لا ترغبها النفس بصفة عامة. والنار حُفت بالشهوات التي ترغبها وتشتهيها النفس بصفة عامة! كما أخبر الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم – وعموماً أنا في هذه القصيدة أعرِّض بالعاشقين الفاشلين الذين يرفعون معشوقاتهم فوق حقيقتهن. ويبدأ الشيطان يلعب بالواحد منهم في هذا الدرب السحيق ، حتى يوقعه في حبائله الدنيئة! وذلك بعد أن يكون قد نسج له خيوط الوهم والخداع والضياع!)

33 - أريج الذكريات

(كتب الأوزاعي إلى أخ له: (أما بعد ، فقد أحيط بك من كل جانب ، واعلمْ أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به ، والسلام). كتب بعض السلف إلى أخ له يقول له: يا أخي ! يخيل لك أنك مقيم ، بل أنت دائب السير ، تساق مع ذلك سوقاً حثيثاً ، الموت متوجه إليك ، والدنيا تطوى من ورائك ، وما مضى من عمرك فليس بكار عليك إلى يوم التغابن . قال بعض الحكماء: (من كانت الأيام والليالي مطاياه سارت به وإن لم يسر). إن لكل إنسان نظرة للحياة تنبثق من نظرته واعتقاده. وكل منا غريب على أرض هذه الدنيا ويوماً سوف يرحل ويودعها وتبقى الذكريات بأريجها العذب! والتاريخ حافل بأريج الذكريات. قال الشيخ محمد بن عثيمين: (الدنيا ليست دار مقر ، بل هي دار ممر ، سريع راكبه لا يفتر ليلاً ولا نهاراً ، فالمسافر ربما ينزل منزلاً فيستريح ، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل وهو دائماً في سفر كل لحظة فإنك تقطع بها شوطاً من هذه الدنيا لتقرب من الأخرة ، فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير أليس ينتهي بسرعة؟ بلى ولهذا قال الله سبحانه وتعالى (كَأَنَّهُم يَوْم يَرَوْنَهَا لَم يَلْبَثُوَا إِلَّا عَشِيَّة أَو ضُحاهَا). وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن في الدنيا مهموم حزين ، ومن كان في الدنيا كذلك فلا هم له إلا التزود بما ينفعه عند العود إلى وطنه ، فلا

ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم ولا يجزع من الذل عندهم). وقال الحسن البصري: (المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها للناس حال وله حال). وقال ابن بطال: لمّا كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال.هـ. عن عَبْد اللَّه بْن عُمَر رَضِي اللَّه عَنْهُمَا قَال أَخَذ رَسُوْل اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم بِمَنْكِبِي فَقَال: كُن فِي الْدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيْب أَو عَابِر سَبِيل! وَكَان ابْن عُمَر يَقُوْل: إِذَا أَمْسَيْت فَلَا تَنْتَظِر الْصَّبَاح ، وَإِذَا أَصْبَحْت فَلَا تَنْتَظِر الْمَسَاء وَخُذ مِن صِحَّتِك لِمَرَضِك وَمِن حَيَاتِك لِمَوْتِك. قال الطيبي: شُبه في هذا الحديث الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه. ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد. شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق ، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة ، ثم عقبه بقوله إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح. (وعُد نفسك في أهل القبور)! والمعنى استمر سائراً ولا تغتر ، فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية).هـ. فما أقسى الغربة المشفوعة بالابتلاء.)

34 - أشهرْ العقيدة

(دعِي إلى حفل جاهلي. وكان عليه أن يقاطعه. وهناك استحيا من الاعتزاز بدينه أمام بعض النصارى والعلمانيين من المتمسلمين. فقلتُ له: أشهرْ عقيدتك ، واجهر بتوحيدك ، حيث إنهم لم يستحْيوا من باطلهم. قال تعالى: "وقل الحق من ربكم" ، وقال: "فاصدع بما تؤمرُ وأعرض عن المشركين". فبتلك القيمة أيضاً خلد ذكر أولئك الناهين عن السوء في قصة أصحاب السبت. أولئك الذين حاول المثبطون تخذيلهم وإبطاء حركتهم الدعوية الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر متذرعين بهلاك الناس لا محالة ومدعين أنه لا سبيل لهدايتهم ولا قيمة لوعظهم ودعوتهم فقالوا: "لمَ تعظون قوماً اللهُ مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً". فكان الرد حاسماً ساطعاً براقاً: "قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ".)

35 - أريج الشعر

(فرق كبير بين الشاعر الصادق ، الذي لشعره أريجٌ عذب ، وبين المتشاعر المرتزق الوضيع ، الذي شعره تطويعٌ وارتزاقٌ ، ملئٌ كله برائحة النفاق والتكسب الرخيص المقيت. والشعر الصادق اليوم أصبح من الندرة بمكان. أو هو كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود. إذ السمتُ الغالب على الشعر اليوم هو التكسب الفج ، حيث أصبح الشعر من الهوايات التي يُتكسب بها اليوم علي حساب القيم والعقيدة. إن الشاعر المرتزق يشبه النائحة المستأجرة. وشعرُه يشبه إلي حدٍ بعيدٍ الورود الصناعية فلها شكل الورود ، ولكن لا رائحة لها تند عنها. والشاعر الصادق يؤثر الآخرة! عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم - جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: "إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هذَا الشَّيْخِ! يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم - ، عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله تعالى عليه وعلى

آله وصحبه وسلم - هُوَ الْمُخَيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمنَا بِه". البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وأصحابه إلى المدينة. ورواه مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر. إن الفرق كبير جداً بين الشعر الصادق والشعر الكاذب! وكل قصيدةٍ صادقةٍ صدق شاعرها في صياغتها وله من ورائها رسالة يريد إيصالها للقراء فإن الله يوفقه للخير وينشر شعره في العالمين! وكم طالعنا من قصائد عظيمة صح لفظها وعروضها ورسالتها وكنا فخورين بها وبشاعرها! بل وندعو للشاعر حياً وميتاً! وكم من قصائد إذا طالعناها لعناها ، ولعنا شاعرها ، لما تحمل من ضلال وكفر وخروج فج على الشرع!)

36 - طبيب القلوب ابن قيم الجوزية

(إنه صاحب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) وكتاب (الروح) وكتاب (الفوائد) و(الداء والدواء) وغيرها من كتب طب القلوب. العلامة ابن القيم الجوزية - رحمة الله عليه ، فهو طبيب القلوب في زمانه بغير منازع. وكتابة مثلي عن ابن القيم لا تُضيف له كبيرَ شرف. ذلك أنه جهبذ وعالم رباني قد ملأ صيته الحَسنُ الخافقين ، وعرفه القاصي والداني بكتاباته الجميلة وأسلوبه الطيب الوادع البديع ، وفقهه البسيط الواضح البعيد كل البعد عن تعقيدات الشروح وتفنيدات المذاهب ، وسلاسته في عرض أي قضية من قضايا الإسلام ، كل ذلك وغيره الكثير يجعله في غنىً عن ثناء مثلي! ولستُ أزكّي على الله ربي أحداً! والله حسيبه ووكيله ، وإنني لأحسبه كما حسبه ويحسبه وسيحسبه الكثيرون من أهل الإيمان والتوحيد هكذا! ولما كنتُ ولازلتُ مغرماً بكتاباته وأسفاره العظيمة ، وتحليلاته العبقرية وقناعاته الفذة ، تلك التي قرأتُ ودرستُ منها الكثير ، وتتلمذتُ عليها ونهلتُ مما حوتْ من الحق والعدل والخير والعلم الرباني المصفى. أسطر هنا هذه الكلمات فيه عِرفاناً بجميله واعترافاً بفضله.)

37 - أريج القرنفل

(السفر قطعة من العذاب. هكذا صرح النبي – صلى الله عليه وسلم –. وكان السفر قطعة من العذاب لما يعانيه المسافر من آلام السفر وعذاباته الجسام ومفاجآته الجمة ، ليس هذا فقط ، بل الذين فارقهم المسافر من الذين يحبونه ، حيث يحزنون عليه حزناً شديداً. فالسفر معاناة لكل من الطرفين: المسافر ومحبيه. والأصل أن تكون في السفر رفقة تعين على مثل هذه المواقف والمشاعر! فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده). رواه البُخَارِيُّ. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم – قال: قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (الراكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركب). رواه أبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ والنسائي بأسانيد صحيحة. وقال الترمذي حديث حسن. وعن أبي سعيد وأبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما – قالا: قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (إذا خرج ثلاثة في سفر ، فليؤمروا أحدهم). وهو حديث حسن رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ بإسناد حسن. وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ - عن

النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ـ قال: (خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفاً عن قلة). رواه أبُو دَاوُدَ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. والقرنفل الذي أعني في عنوان هذه القصيدة ، رمز إلى ثمرة أي زواج (الأطفال). فلقد كان من قدر الله تعالى أن سافر الزوج أبو الطفلتين ، وطالت غربته إلى حين. ثم اشتاق إلى الزهرة الأم والقرنفلتين (طفلتيه). ثم زادت لوعة الشوق. فدعا الله عز وجل أن يجمعه بهن: عاجلاً غير آجلاً. فلما أن كان ما تمناه ها هو ذا يعود فيحملهن جميعاً على الرحيل ، ويضطرهن إلى الفراق. فانفعلت بالموقف وصغته شعراً ، رغم أني على عادة من عرفتهم مجعول عندهم على هامش الأحداث والأحوال! فكان أريج القرنفل عزائي في هذا الموقف! وأوصي كل مسافر أن يوالي أهله وأقرباءه ومن يمت لهم بصلة بالاتصال والمكاتبة على الأقل ، إذا تعذر اللقاء والسفر إليهم ، فهذا أضعف الإيمان!)

38 ـ ازدواجية صريحة

(في إحدى البلاد كنت أسير أستعرض المحلات بحثاً عن سلعةٍ ما. فوقعت عيني على محلين أحدهما يبيع العباءات الساترة السابغة للنساء وعليه دعاياتها وصورها المحتشمة جداً. والثاني يبيع أزياء السهرات والشواطئ تلك الأزياء الفاضحة ، وعليه عُلقتِ الإعلاناتُ والدعايا والصور التي التقطت لنساء في أوضاع وخلفيات وأزياء تستحي منها الداعرات. وكان تناقضاً عجيباً يُذهل كل ذي لب ، ويحير كل ذي بصيرة ، ويُربك كل ذي فكر! وكانت ازدواجية يندى لها الجبين خجلا. محل يأمر بالستر والتحشم ، ويحضّ عليه ، ويغري برسوماته الحشيمة السابغة الناشرات الهدى والعفة والطهر! ومحل آخر مجاور له يأمر بالتهتك والتكشف والإباحية ، ويحض عليها ، ويدعو إليها ، ويُرغِب فيها ، ويحمل النساء على التعري برسومات وتصاوير فاضحة بهيمية! والمحلان في بقعة واحدة وشارع واحد ، وكل له رخصته التجارية ، وفق قانون يجمع بين النقيضين (الحشمة والفضيحة). وكأنه لا قيم ولا مبادئ تحكم ذلك المجتمع! والإنسان بدون المبادئ والقيم لا يساوي شيئاً! وترجح كفة البهيم إذا قورن به إنسان بدون قيم! في مقالها: (أهمية القيم في حياة الإنسان) تقول الدكتورة إيمان محمد رضا التميمي ـ عضو رابطة علماء الأردن ما نصه: (تلعب القيم دوراً بارزاً في حياة الأفراد ، فهي تشكل الجانب المعنوي في السلوك الإنساني ، والعصب الرئيس للسلوك الوجداني ، والثقافي والاجتماعي عند الإنسان. ويمكن القول إن القيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها ، والثقافة هي التعبير الحي عن القيم ، كما أنها تلعب دوراً بارزاً في تحديد سلوك الفرد ، ويمكن تلخيص أهميتها في حياة الفرد في الأمور الآتية: تلعب القيم دوراً مهماً في تشكيل الشخصية الفردية وتحديد أهدافها في إطار معيار صحيح ، ولقد كانت شخصية النبي عليه السلام نموذجاً حياً لمنظومة القيم التي جاء بها الدين ، ولهذا فقد قالت السيدة عائشة عندما سُئلت عن أخلاق النبي – صلى الله عليه وسلم ـ: "كان خلقه القرآن". كما تعمل القيم على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً ، وضبط دوافعه وشهواته ومطامعه كيلا تتغلب على عمله ، وتوجهه نحو الخير والإحسان والواجب. ولهذا تراجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قراره قطع النفقة عن مسطح بعد أن خاض مسطح في حديث الإفك الذي مس عائشة رضي الله عنها وذلك بعد نزول قوله تعالى: "وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ". فقال أبو بكر

الصديق – رضي الله عنه -: "والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فَرَجّعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا". وبمثل هذه المعايير تنتصر قيم الخير والفضيلة كقيمة الصفح والعفو على كل دوافع النفس الأمّارة بالسوء كالغضب والتشفي وحب الانتقام ، وتحقق للفرد الإحساس بالأمان ، فهو يستعين بالقيم على مواجهة ضعف نفسه والتحديات والمحن التي تصادفه في حياته. كما أن القيم تدفع الفرد إلى العمل وتوجه نشاطه ، وتعمل على حفظ نشاطات الأفراد وبقائها موحدة ومتناسقة ، وصيانتها من التناقض والاضطراب ، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: "إذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن يغرسها فليفعل". أما على المستوى الاجتماعي ، فالقيم تحفظ على المجتمع وتماسكه ؛ إذ تحدد له أهدافه ومثله العليا ومبادئه المستقرة ، وبالتالي يستقيم المجتمع في وحدة واحدة تحفظه من التشرذم والفرقة ، وتربط أجزاء ثقافة المجتمع بعضها بعضاً حتى تبدو متناسقة ، وتعطيها أساساً عملياً يستقر في أذهان أفراد المجتمع ، وذلك لكون الثقافة تحتكم لمعايير موضوعية منضبطة تقبل المتسق مع قيم المجتمع وتنبذ ما ينافرها ، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه ، وذلك بتحديدها الاختيارات الصحيحة التي تسهل على الناس حياتهم وتحفظ للمجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد ، وذلك لكون القيم بمثابة الميزان الذي توزن به الأشياء ، وبالتالي تعد معياراً لما يقبل أو يرفض من الأفعال والسلوكيات).هـ. وكم في الديار من التناقضات كما في الأشخاص ، تماما بتمام. فمكتب لمكافحة التدخين ومعالجة المدخنين والمدمنين ، ومحال تبيع الدخان والسجائر والنارجيلة! وغير ذلك من التناقضات العجيبة والغريبة. وإن مجتمعاً يجمع بين النقائض بتلك الصور لا يمكن أن يعكس صورة مثالية لحياة كريمة أبداً! ولمّا تأملت في ذلك الواقع الآسن وأدركتُ من تلك التناقضات والازدواجيات الكثير.)

39 - ازدواجية

(إن الكريم كريم مع كل ضيف أتاه ، بقطع النظر عن جنسيته أو عشيرته ، عن علوّه أو دنوّه. وأما إذا كان كرم الضيافة لزائر دون زائر أو لضيفٍ دون ضيف ، فإنها فعلاً الازدواجية الممقوتة والتكلف البغيض. والناس بتقواهم يتفاضلون: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فلا يتصدر أقوامٌ صدور المجالس وتكون لهم الصولة والجولة والسيادة والريادة لغناهم وقدرهم. ولا يحتقر آخرون ويستبعدون ويعاملون كطاعون دمشق لفقرهم وتواضعهم. والأصل أن المرء المسلم المؤمن القانت الموحد كلما ازداد من الله قرباً ، كلما ازداد لعباد الله تواضعاً واحتراماً وتقديراً. والازدواجية البغيضة في معاملة الناس حسب الفقر والغنى وعلو المقام ودنوه تنم عن همم حقيرة ووضاعة مذمومة مركوزة في نفوس أصحابها. في محاضرة عنوانها: (طريقنا للقلوب) يصل الشيخ إبراهيم الدويش إلى فقرة عنوانها: (الازدواجية في الأخلاق والمعاملات) يقول فيها ما نصه: (ومن الازدواجية في الأخلاق: ما نراه من بعض الناس من حسن الكلام ، وسعة الصدر والابتسامة ، فإذا جاء البيع والشراء والتعامل بالدينار والدرهم تراه مماطلاً مماكساً ، يجادل ويخاصم ، وربما ضاعت وتلاشت معاني الأخوة وحقوقها. وقيل لمحمد بن الحسن ألا تصنف كتاباً في الزهد قال: صنفت كتاباً في البيوع. يعني رحمه الله: أن الزاهد هو من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات وفي سائر المعاملات ، وهذا من فقه وذكاء محمد رحمة الله تعالى عليه. ويروى أن مسروقاً كان عليه دَينٌ ثقيل ، وكان على أخيه خيثمة دين ، فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو

لا يعلم ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم. وقال مطرف بن عبد الله لبعض إخوانه: يا أبا فلان! إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني ، واكتبها في رقعة ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال. عن رباح بن الجراح قال: جاء فتح الموصلي إلى منزل صديق له يقال له: عيسى التمار ، فلم يجده في المنـزل ، فقال للخادم: أخرجي لي كيس أخي ، فأخرجته ، ففتحه فأخذ منه درهمين ، وجاء عيسى فأخبرته الخادمة ، فقال: إن كنت صادقةً فأنت حرة ، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت. وعن جميل بن مرة قال: مستنا حاجة شديدة ، فكان مورق العجلي يأتينا بالصرة فيقول: أمسكوا هذه لي عندكم ، ثم يمضي غير بعيد ، فيقول: إن احتجتم إليها فأنفقوها. وقال سفيان بن عيينة: [سمعت مساوراً الوراق يقول: ما كنت لأقول لرجل إني أحبك في الله فأمنعه شيئاً من الدنيا]. مواقف أغرب من الخيال ، لكنها مكارم الأخلاق عند سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، وصدق الأخوّة والمحبة في الله ، نسأل الله الكريم من فضله ، ونسأل الله عز وجل حسن التأسي بهم رضوان الله عليهم. ومن مظاهر الازدواجية – أيضاً -: أن ترى بعض الشباب يعجبك حسن مظهره ، ويجذبك سحر عطره ، وتصفيف شعره ، ولولا الحياء لأطنبت في الوصف مما يرى ويشاهد على بعض شبابنا هذه الأيام من حرص على المظاهر والأشكال ، ومع ذلك انحراف في السلوك والأخلاق ، فلا مانع لديه أن يكذب ، وأن يلعن ويشتم ، وربما يزني ويسرق ، أو يغش ويخدع ، لا مانع لديه أن يتخلى عن دينه وأخلاقه من أجل شهوة فأفسد المسكين جمال الظاهر وجمال الباطن. أيها الشاب! ليس الإنسان إنساناً بجسمه وصورته ، لا والله! ولا بثيابه ومظهره! بل هو إنسان بروحه وعقله وخلُقه. وتجمل بمكارم الأخلاق والآداب فإنها زينة الرجال).هـ. ولا يلام إنسان قط يرفع من قدر العلماء لعلمهم ، إذ الله – عز وجل – قد رفعهم وأعلى منزلتهم بين الناس: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). ولكنني أشدد النكير على أمرئ يعمل العكس ، فيرفع غنياً لغناه ولو كان من أجهل الناس ، على حين أنه يضعُ عالماً مغواراً لفقره! إنني حقيقة أبغض تلك الازدواجية وذلك الكيل بمكيالين منتكسين!)

40 - أستاذي قال لي

(جلستُ وصحبي إلى أستاذٍ كان يُحفظنا القرآن صغاراً. وبينما نحن كذلك خرجتْ إحدى بُنياته من غرفة إلى أخرى في البيت. وكانت شابة رائعة الجمال. فأعجب أحد الطلاب بها فأطال النظرة ، ولاحظ الشيخ متابعته لها ، فلقد كان سريع الفهم ثاقب النظرة حاضر البديهة متوقد الحس صريح النصيحة. فعذره الأستاذ نسبياً ، إذ الافتتان بالنساء اليوم لا تكاد تخلو منه بُقعة في الأرض! واستجمع الأستاذ قوة تفكيره وسكت هنيهة وقال لابنته: أغلقي الستار واذهبي إلى أمك يا بُنية! ثم قال للكل: يا بني إذا أعجبك حُسن امرأة شابة أو غير شابة فتذكر مناتنها: هذا الفم المشقوق المرسوم لو غاب عنه الطعام سويعات أتطيق رائحته؟ وهذا الأنف العمودي الطويل الجميل إذا أصيب بالزكام وازداد إفرازه للمخاط أتطيق رائحته؟ وهذه الأذن الرائعة الحسن أتطيق الصماخ الذي تفرزه؟ وهاتان العينان أتطيق العماص الذي تفرزانه أو الدموع التي تهطل منهما؟ وهذا الجسم الميّاس القد والنحيل القوام إذا نامت صاحبته وعرقت أتطيق عرقها؟ أليست تحيض؟ فإن حاضت أتطيق رائحة حَيضها؟ إن ولدت أليس لها نفاس؟ أتطيق رائحة دم نفاسها؟ أليست تبول؟ أتطيق رائحة بولها؟ أليست تُخرِج؟ أتطيق رائحة إخراجها؟ ألا تستحيي من نفسك أن تستهويك مَن تُنتنُها حيضة أو بولة أو إخراج أو بخر أو صماخ أو مخاط

أو عرق أو عمصة أو بصاق؟ وأخذ الأستاذ يرغبنا في عرائس الجنان الحور المقصورات في الخيام اللاتي لم يطمثهن إنس ولا جان ، وراح يقارن بين الحور العين والحور الطين ، وأوضح أن الكلمات تعجز عن وصف الحور العين ، وأن الفرق بينهن وبين الحور الطين كالفرق بين السماء والأرض! فأخذتُ أحلل نصيحة المعلم لطلابه فألفيتها غالية وعزيزة للحدّ الذي يجب معه أن تصاغ شعراً يَقرعُ سمع الزمان ويُخالج مشاعرَ الشباب في كل مكان من هذه الدنيا. في زمان أصبحتْ فيه المرأة مادة إعلانية أو إعلامية رائجة وسلعة رخيصة لكسب ما تيسر من الأموال على حساب الفضيلة. المرأة التي لمّا غوتْ كانت سبباً رئيساً في تضليل كثير من المجتمعات ، وهوت بها إلى قيعان الفسوق والرذيلة ودرك البهيمية والعجماوية والانحطاط والسفول والضياع والتشريد والتهتك والإباحية. المرأة التي كانت سبباً رئيساً في فتنة بني إسرائيل ، وتعيد الكَرّة في هذه الأمة ، ونسأل الله العفو والعافية والسلامة. يا بني: إذا أعجبك حسن امرأة فتذكّر مناتنها ووسخها وأذاها. ما أجملها من وصية تزهّد من وعاها في أي امرأة كائناً ما كان جمالها وبالغاً ما بلغ حُسنها! وعنونتُ للقصة بـ (أستاذي قال لي) وكل الذي قمتُ به هو تحويل نصيحة الأستاذ من نثر عامي ، إلى نثر عربي!)

41 - أرشيف المعالي!

(ما كان هذا العبد الموفق ليقبل أن تكون يده السفلى ، برغم تضييق الطواغيت عليه. ولم يقبل أن يبيع دينه ليأكل. فكلفه ذلك الكثير. وذاد من رصيد أرشيف المعالي والسجايا التي تمتع بها الرجل. إن الذي يريد أن يحيا عزيزاً في هذا الزمان فليستعد لحرب لا يعلم إلا الله مداها. وخصومُه في هذه الحرب الطويلة المَدى متنوعون في درجة عدوانهم وفي درجة قرابتهم منه. وتكون الحرب أعتى عندما يقودها الأرحام وذوي القرابات. ولكن هذا لا يعني بالضرورة الرضوخ لضغط الواقع الأثيم الذي يعيشه. بل المواجهة والاستعانة بالله فإما حياة عزيزة ، أو موت في عزةٍ كذلك.)

42 - استر على نفسك يا هذا

(ص(68) من كتاب (حدث في المحكمة للعمري) جاء أحد الناس إلى المحكمة ، وقد أصاب حداً ، فطلب من القاضي إقامة الحد عليه. فنصحه القاضي بالتستر فلربما غفر الله له. دخل القاضي وقال له: أبك جنون؟! قال: لا. فقال: هل أنت عازم على أمرك؟! قال: نعم ، ولكنْ أريد أن لا يعلم أحد ، أريد أن تطهرني وتقيم عليّ الحد. دعاه القاضي إلى أن يتبع هُدى النبي - ﷺ - فيما رواه عُبادة بن الصامت قال ، قال النبي - ﷺ -: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته ، ومن استتر بستر الله عليه فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). [رواه البخاري]. وجاء عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: (من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله عليه ، فإنه مَن يبدِ لنا صفحته نعاقبْه). جاء عن النبي - ﷺ -: (إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع). ودعاه إلى الستر. ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أنه إذا جاءه مَن يُقر على نفسه بذنب ، أعرض عنه حتى يكرر السؤال ، ثم يلقنه الحُجة في رفع الحد عنه ، فقال لمن جاءه وهو يُقر على نفسه بالزنى: (لعلك قبّلت ، لعلك غمزت) ، ويقول لمن شهد على نفسه بالسرقة: (لا إخالك سارقاً)

ونحوها ، علَّه أن يذهب فيتوب ويستر على نفسه فيتوب الله عليه. قال أبو بكر: لو أخذتُ سارقاً لأحببت أن يستره الله ، ولو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله. وروى وكيع في الزهد (774/3) عن أبي الشعثاء قال كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب! فمن أصاب منكم حداً فليأتنا حتى نطهِّره ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب له: لا أمّ لك! تأمر قوماً ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم. يقولُ صلى الله عليه وسلم: (يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ). وروي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يعِس بالمدينة ذات ليلة ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس: "أرأيتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشةٍ فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟" قالوا: إنما أنت إمام ، فقال علي ـ رضي الله عنه ـ: "ليس ذلك لك ، إذن يُقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود". ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ، ثم سألهم فقال القوم مقالتهمُ الأولى ، فقال علي ـ رضي الله عنه ـ مثل مقالته الأولى. ولهذا مَن وقع في ذنب واعترف على نفسه عند الحاكم ليُطهرَه ، فله الرجوع قبل إقامة الحدّ عليه ، ولو هرب أثناء إقامة الحد فلا يتبّع كما حصل في قصة ماعز الأسلمي رضي الله عنه ، كما أخرج أبو داود في سُننه من حديث نعيم بن هذال أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لمّا بلغه أن ماعزاً هرب منهم وهم يرجمونه من شدة الرمي ، فلحقوه حتى قتلوه! قال: (هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه). وإذن فعلى المسلم أن يستر نفسه! أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كل أمتي معافىً إلا المجاهرين وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله تعالى فيقول: عملتُ البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه". ولما قالت امرأة لعائشة يا أم المؤمنين ، إن كريّاً أخذ بساقي وأنا مُحْرِمة! فقالت عائشة: حِجراً حِجراً ، وأعرضتْ بوجهها وقالت: يا نساء المؤمنين إذا أذنبتْ إحداكن ذنباً ، فلا تخبر به الناس ، ولتستغفر الله ولتتب إليه ، فإن العِباد يُعيّرون ولا يُغيّرون وإن الله يُغيّر ولا يُعير"!)

43 ـ استعطاف فوق الوصف!

(أساء الخليفة المأمون معاملة زوج أبيه هارون الرشيد زبيدة ، وذلك بعد توليه الخلافة. وساءت العلاقة كذلك مع ابنها الأمين. فأرسلت إليه برسالةٍ تستعطفه فيها ، وتناشده الرحمة والحِلم والأناة. وكان من بين سطور رسالتها: (تذكر أيها الخليفة مَن لو كان حياً اليوم لكان شفيعي عندك) ، وأضافت بعض العِبارات التي جعلته يَعدلُ عن منهجه في المعاملة عندما قالت: (أما إنني أمك وإن كنت زوج أبيك ، فلي حق الأم التي حرّمها الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم ـ تحريماً أبدياً! وإن لم أكن كذلك فلي حق عامة نساء الرعيّة ، فأنا من رعاياك أيها الخليفة. فاختر لنفسك المقامَ الذي تريد يوم يبعث الله الخلائق! وإني لجاعلة بيني وبينك الولي الحق – عز وجل ـ. فرقّ قلبه لها ، واستجاب لطلبها بعدما دمعتْ عيناه ، وطلب من جلسائه أن يتركوه ساعة. يترجم لها الكاتب العراقي الكبير الأستاذ عبد الواحد باش أعيان العباسي في مجلة الرسالة (العدد 984) فيقول ما نصه: (لينحن التاريخ برأسه إجلالاً لكثير من النساء النوابغ ، اللواتي سجلن أعظم الأعمال والمفاخر في صحائفه ، وللمرأة العربية نصيبٌ كبيرٌ في مفاخر التاريخ وروائعه ، فمنهن الملكات الحازمات اللائي رفعن ممالكهن للسؤدد والرفعة ،

ومنهن المحاربات البواسل ، ومنهن الشواعر والأديبات ، ومنهن من سجلن أعمال الخير والإصلاح في كثير من مرافق الحياة. ومن أشهر هؤلاء النساء النوابغ وأعظمهن أعمالاً للخير واهتماماً في الإصلاح والتعمير هي الملكة العباسية الهاشمية السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وأم الأمين وبنت جعفر بن (أبي جعفر المنصور). ولدت سنة 165 هجرية في أحضان العز ومهد الدلال ، وترعاها قلوب بني العباس ويحيطها حبهم ورعايتهم ولا سيما جدّها الخليفة الحازم أبو جعفر المنصور وكان يؤثرها بعنايته وحبه. وهو الذي سمّاها زبيدة لمَا رأى من نعومتها وبياض بشرتها ، وقد كانت تجمع إلى الجمال الباهر والأدب العباسي السامي عقلاً كبيراً وذكاء نادراً وعلماً وأدباً كبيرين. وفي خلافة عمها المهدي زفت إلى ابن عمها هارون الرشيد ، فكانت ليلة زفافها من الليالي المشهورة في بغداد يوم ذاك بالروعة والبهاء والفرح ، وقد نثرت اللآلئ في جنبات طريقها على البسط الموشاة بأسلاك الذهب. وقد ألقى عليها من غالي الجواهر واللؤلؤ ما أثقلها وعاقها عن السير ، فكانت عند زوجها وقد استأثرت بقلبه وخلص لها من دون جواريه وسراريه اللواتي يملأن قصره ، وقد شغف بها الرشيد ، واطمأن إلى رأيها وتدبيرها وكمال عقلها حين أصبح خليفة ، فأخذ يسترشد برأيها في حل المعضلات من أمور الدولة الإسلامية في ذلك العصر الذهبي ، وأطلق يديها في بيت المال تنفق ما تشاء ، وقد أنفقت أموالاً عظيمة في الإصلاح والخيرات ، تلك الأعمال التي خلدت اسمها بين أعظم نساء العالم كرماً وخلقاً وشرفاً ، وسبقت من تقدمها من نساء الإسلام في الأعمال. ولقد قيل إنها أنفقت فيما ابتنت في طريق مكة من مساجد ومنازل ومشارب مليوناً وسبعمائة ألف دينار زيادة على ما أنفقته (ويقدّر بأكثر من مليون دينار) حين أوصلت الماء إلى مكة في الحجاز من العين المعروفة بعين زبيدة ، فقد كان المكيون والحجاج ينقلون الماء من مسافات بعيدة مضنية لشربهم وريهم وسقي حيواناتهم ، وكان يتكلفون بذلك ويجهدهم ، فلما حجت الملكة المصلحة السيدة زبيدة أمرت بإحضار المهندسين والعمّال وأن يقدروا كلفة العمل وما يتطلبه من المال فبلغ مبلغاً كبيراً استثقله خازنها ، فقالت كلمتها الخالدة: (اصرف ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً) فلم تزل حتى تم لها ما أرادت ووصل الماء إلى مكة من مسافة اثني عشر ميلا في أرض وعرة المسالك. ولا زال منذ عهدها إلى اليوم. ولها أعمال أخرى لا تقل عما تقدم فخراً ومنفعة ؛ فقد ابتنت المساجد الكبيرة الواسعة في أطراف بغداد ليتعبد فيها المسلمون ، فابتنت مسجداً قبالة دار الخلافة يسمى مسجد زبيدة ، وآخر في أراضيها وأملاكها الخاصة المعروفة بقطيعة أم جعفر ، وثالثاً بين باب خراسان ودار الرقيق ، ورابعاً البيت الذي ولد فيه الرسول بمكة ويسمى دار ابن يوسف ، وكانت إلى كل هذا توزع العطايا والهبات على الفقراء والمحتاجين والأيامى ، كما كانت لا تتردد في مساعدة ذوي الحاجة من كبار رجال الدولة والمملكة. ولقد كانت أما رؤوماً تحنو على ابنها الوحيد محمد الأمين وتعني به عناية كبرى وتحبه حباً جماً ، فمن ذلك ما رواه خلف الأحمر وكان قد دعاه الرشيد لتدريس ابنه الأمين يقول: جاءتني جارية يوماً برسالة من أم جعفر (زبيدة) ، تعزم عليّ بالكف عن معاملته بالشدة في تعليمه وتأديبه وأن أجعل له وقتاً لاستجمام بدنه ، فقلت: الأمير قد عظم قدره وبعد صيته ، وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملان التقصير ولا يقبل منه الخطل ولا يرضى منه الزلل في النطق والجهل بالشرائع والعمى عن الأمور التي فيها قوام السلطان وإحكام السياسة! فقالت: صدقت غير أنها والدة لا تملك نفسها ولا تقدر على كف إشفاقها. وعلى ذكر ابنها الأمين ، فإنه لم يكن بين خلفاء الإسلام من كان أبوه وأمه من بني هاشم غير علي بن أبي

طالب وابنه الحسن والأمين بن الرشيد! وكان لها قصور عديدة جميلة تتناسب مع مكانة الملكة الشابة ، منها قصر السلام وقصر القرار وغيرها في ضيعاتها وأملاكها الواسعة. وكانت على جانب كبير من الكرم والسخاء فيقول المسعودي: (كتبت مرة تسأل أبا يوسف (رئيس القضاة في بغداد) تستفتيه في مسألة فأفتاها بما أوجبت الشريعة وكانت الفتوى مما يوافق مرادها ، فأكرمته بحق من فضة فيه ألوان من الطيب (الروائح) وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخت فيه ثياب وحمار وبغل. . . الخ). وذكر بعض المؤرخين أن لزبيدة يداً كبرى في نكبة البرامكة ، فقد كانت تخشى من جعفر البرمكي على ابنها الأمين ، وكان يقوم بأمر المأمون في ولاية العهد. ولكن في وصيتها التاريخية لقائد جيش الأمين علي بن عيسى حين خرج بجيشه يريد محاربة المأمون وأسره ، ففي تلك الوصية الخالدة تظهر النفس الكبيرة التي تتنزه عن الدنايا والقسوة الأحقاد وقد قالت له: (يا علي إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي فإنني على عبد الله (المأمون) مستعطفة مشفقة لما يحده عليه من مكروه وأذى ، وإنما ولدي ملك نافس أخاه في السلطان ، فاعرف لعبد الله حق ولادته وأخوته ، ولا تساوه في المسير ولا تركب قبله إذا ركب وإذا شتمك فاحتمل). وكانت على جانب كبير من الآداب والأخلاق كما كانت أديبة بارعة وشاعرة حساسة).هـ. ويضاف إلى ذلك كله أنها كانت شاعرة مجيدة ، فلقد وقعتُ على قصائد لها في كتب المغازي والسير والتراجم ، فألفيتها شاعرة عملاقة! فحاولتُ أن أصوغ رسالة (زبيدة العبّاسية) شعراً. في استعطاف المأمون لأن يرجع إلى سالف عهده من المعاملة الرقيقة الطيبة! وأن يُراعي مكانها ومكانتها! وأرجو أن أكون قد وُفقتُ في وصف شعوري - حيال رسالة زبيدة بنت جعفر - نثراً!)

44 - استعلاءٌ في دنيا البهتان

(ذهب ليدرس التربية الإسلامية ، فابتلي بالنساء ، وكان يأمل أن تتحقق أمنيته ، فيدعو ويربي وينشئ ويعلم ، وخاصة أن هؤلاء النسوة أغلبهن أمهات أولاد. فكانت الكارثة التي هي قاصمة الظهر ، عندما وجد الشرط الذي أخذ عليهن قد بدأ في التغير شيئاً فشيئاً. ذلك أنه اشترط الحجاب الكامل ، واشترط أن لا تكون هناك عطور ولا ميوعة ولا خضوع بالقول بالمرة! لكن سرعان ما انتفضت هذه الشروط ، فوجد نفسه الأستاذ أمام مفاتن وحرمات وروائح وزينات. وزاد حبات الطين بلة طلبُ البعض بأن يحكي الأستاذ بعض الحكايات (والسوالف) فأبى ، فكانت منهن التعليقات السخيفة والاستهزاء به وبلحيته وبأسلوبيته وحزمه وتمسكه. مما حدا به - في النهاية وبعد أيام عدة من استلام الوظيفة - أن يصر على الاستقالة رغم حاجته للمال. فساومته المديرة سائلة إياه الصبر والاحتساب ، وأفهمته أن وجوده أفضل من وجود غيره من الذين يسيل لعابهم لمثل هذا المكان. فاستعصم استعصام الصديق يوسف بن يعقوب - عليه وعلى أبيه وعلى نبينا محمد صلوات الله وسلامه – وعقب بقوله: وماذا أكسب إن خسرت آخرتي وعمّرت دنياي هذه؟ فقبلت المديرة استقالته آسفة. وخرج كأنه ولد في هذه اللحظة فقط على حد تعبيره لي. خرج من هذا المأزق لأنه يخشى على نفسه الفتنة والميل إلى الجاهلية والركون إلى ساقطات قد تؤدي التساهلات معهن إلى السقوط في أتون الرذيلة! وبخاصة أنه لا زاجر من دين أو عقيدة ، ولا رادع من أهل وعشيرة ، ولا وازع ديني قوي يحول دون ذلك! بل السمت العام هو الانحطاط والتردي والسقوط! وكان ذلك الترفع من

هذا المعلم شيئاً تستهجنه الفطر الغوية والهمم الحقيرة والنوايا الخبيثة بالطبع! والحقيقة أن المعلم كان واهماً في تشخيصه للحالة: حيث إنه كان يزعم أن المرأة عندما تكون أم أولاد تكون أحرص على العلم والتعلم والفقه والتفقه في العموم والغالب. فإذا به يكتشف أن الفتاة في مقتبل العمر في الغالب الأعم أحرص على العلم والتعلم والفقه والتفقه. فكانت مفاجأة عجيبة ، أربكت المشهد ، وسربلت الحسابات! فكتبت أحيي ابن بورسعيد المعلم الشيخ عبد المنعم عبد المبدي عام 1996م على اعتصامه بالله سبحانه وتعالى ، وعلى ترفعه عن الرضوخ للإغواء وتأبّيه عن الركون إلى الإغراء هذه القصة ، فلقد حكى لي قصته هذه بنفسه والله شهيد على ما أقول.)

45 - يا أسفى على جميلة!

(اختارتْ أن تدرس في كلية الفنون الجميلة. فنصحتُها بالإقلاع عن هذا الاختيار وترشيح كلية أخرى أقل سوءاً وخطراً ، فأبتْ. ولمّا كانت إحدى المواد العملية وهي الطبيعة الحية ، جيء بامرأة عارية مستأجره ليرسمها الطلبة والطالبات ، فاستحت ، وقررتْ ترك الكلية. فتأسفتُ لترددها منذ البدء! إنه لا يجوز للإنسان تركُ الواجبات ، ولا الاستهانة بالمحرّمات فكذلك لا يليق به أن يتهاون بالطاعات اليسيرة ؛ بحجة أنه واقع في كبائر ؛ فقد يعمل عملاً يسيراً في نظره كإماطة الأذى عن الطريق ، وكصلة الأرحام ، فيكون ذلك سبباً لمغفرة ذنوبه ، خصوصاً إذا قام بقلبه الإخلاص ، وصدق الإقبال ؛ فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها ، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورتها العملية واحدة ، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض.)

46 - يا أسفى على الجمال

(كانت تدرّس التربية الفنية بفروعها. ولم يكن أجمل منها في القرية. وكانت متبرجة متهتكة متحللة بين الخلائق. كم فَتنت بجمالها! وكم صَرفت عن القيم بتبذلها! ولم يكن ذلك التلميذ يقوى على مواجهتها لينتقد ما هي عليه للفارق العُمري الكبير بينهما ، ولنقص العِلم الذي تقوم الحجة والمحجة به. فلمّا كبر التلميذ ، وآتاه الله العلم والحكمة ، وأدرك من شريعة الإسلام ومعاني الحياة ما أدرك ، وكان يؤمّل أن ينصح لها يوماً إن هو قّدر على ذلك ، وبيّت النية. وذات يوم زار القبور فقرأ اسمها على أحد القبور ، فراح يسترجعُ ذكرياتِ الأمس ، ويأسفُ على الجمال الموسّد في الثرى ، ويبكيها بالدمع والكلمة. ويذكر في نفسه أبيات الشاعر أبي نوَاس في قافيته المشهورة:

أيـــا رُبَّ وجـــهٍ - فـــي التـــراب – عتيـــقِ! ويـــا رُبَّ حُســـن - فـــي التـــراب – رقيـــقِ!

ويـــا ربُ حـــزم - فـــي التـــراب – ونجـــدةٍ! ويـــا رُب رأي - فـــي التـــراب – وثيـــق!

أرى كـــل حـــي هالكـــاً وابـــنَ هالـــكٍ وذا نســـب - فـــي الهـــالكين - عريـــق

فقـــل لقريـــب الـــدار: إنـــك ظـــاعنٌ إلـــى منـــزل نـــائي المَحـــل ســـحيق

إذا امـــتحن الـــدنيا لبيـــبٌ تكشـــفتْ لـــه عـــن عـــدو فـــي ثيـــاب صـــديق

فتذكر ذلك التلميذ معلمته المتبرجة تلك ، وكيف أسهمتْ فعلاً في إغراء وإغواء الكثيرين ، ثم ها هو القبر ضمّها فيمن ضمّ من الطائعين والطائعات والعاصين والعاصيات. فيا ترى ما حال معلمتنا هناك؟ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد. وكفى بالموت واعظاً. وليت الأمر يقف عند هذا الحد! بل هناك حشرٌ وبعثٌ وحسابٌ وثوابٌ أو عقابٌ وفضائحُ على رؤوس الأشهاد! ووالله لو لم يَرِدْ في شرع الإسلام من شيء يزجر ويردع عن التبرج والسفور إلا حديث الإمام مسلم المروي عن أبي هريرة لكفى: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صنفان من أهل النار لم أرهما بعدُ ، قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها وجوه الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحَها ، وإن ريحَها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

47 - أبشر بالخير يا وليم

(كان يهودياً ، ثم تحول إلى النصرانية بحثاً عن الحق. ثم أسلم في النهاية وحسُن إسلامه وأبلى في الإسلام الحنيف البلاء الحسن. فراح ذووه يُقرّعونه ويسخرون منه وهو صابر. فدعوت الله تعالى له! ورحتُ أحدثه مواسياً له على ما يتعرض له من أهل ملته السابقة ومشجّعاً له أن يظل على الحق ، وناصحاً له بأن يستبشر ويظن بالله ظن الخير ، من باب تفاءلوا بالخير تجدوه! يقول محمد المنجد: (قال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ} تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم. وفي قوله عز وجل: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء} عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له. ومن طريقة القرآن فضحُ أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم: {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غِرة ، وحتى يعرفوا من أين يُؤتى الإسلام).هـ. فأبشر يا وليم!)

48 - يا أسفى على الحياء

(هناك على شاطئ البحر تأتي العجماوات من النساء ، ويخففن من ملابسهن إلى الحد المعلوم. وتحتال إحداهن في ستر أي جزء تكشف من جسمها على اليابسة بين الناس ، بينما هي على البحر شبه عاريةٍ أو عاريةٍ في بعض البقاع! إنني أسائل هذه العجماوات والسوائم الضالة: من أين لكم هذا التعري السافر الفجّ؟ هل جاء به موسى في توراته إن كنتن يهوديات تزعمن اتباع موسى؟ هل جاء به المسيح عيسى بن مريم في إنجيله إن كنتن نصرانيات تزعمن اتباع عيسى؟ هل جاء به محمد في قرآنه وسنته إن كنتن مسلمات تزعمن اتباع محمد؟ بالطبع كلا وألف كلا. لا موسى ولا عيسى ولا محمد – صلى الله عليهم وسلم – جاؤوا بهذا وحاشاهم. بل جاؤوا بالستر والتحشم والحجاب. وهذا ثابت بالنصوص. ومن أراده بحثه في مظانه. إني لأعجب من كشف إحداهن لجسمها أمام الناس على الشاطئ بكل تبجح ووقاحة وبهيمية ، وبلا أدنى حياء أو حرج ، بينما لا تفعل الشيء ذاته في الشوارع والأسواق على سبيل المثال. بل ترى أنه عيب ولا يصح! فما كان عيبا كشْفه على اليابسة أصبح مباحاً على الساحل. وأسأل: بأمر من؟ بأمر الله؟ إن الله لا يأمر بالفحشاء. فبأمر البحر؟ لا يعقل. وهل البحر - الذي هو مخلوق لله ، قد خلق طائعاً لله لا اختيار له – يجرؤ على أن يأمر بمخالفة الله؟! فبأمر العادات والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة؟ بالطبع وبدون أدنى تفكير كلا. فما ورثناه من تقاليد عريقة وعادات طيبة وأعراف راقية وسلوم أصيلة عن الأعراب الأقحاح الأوائل والأواخر هو ستر النساء وحجابهن وصيانتهن عن الرجال ، والأدلة على ذلك أكثر بكثير من أن تحصى ،

سواء في أشعار العرب أو في خطبهم أو في سيرهم. وإذن فهو بأمر الشيطان. (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما). ومن هنا يأتي التأسف على الحياء. عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (دعه فإن الحياء من الإيمان). متفق عَلَيهِ. وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال ، قال رَسُول اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم -: (الحياء لا يأتي إلا بخير). متفق عَلَيهِ. وفي رواية لمسلم: (الحياء خير كله ، أو قال: الحياء كله خير). وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا اللَّه ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان). متفقٌ عَلَيهِ. قال النووي: والبضع بكسر الباء ، ويجوز فتحها وهو: من الثلاثة إلى العشرة. والشعبة: القطعة والخصلة. والإماطة: الإزالة. والأذى: ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك. وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: كان رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. قال العلماء: حقيقة الحياء: خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. قال النووي: وروينا عن أبي القاسم الجنيد رحمه اللَّه قال: الحياء رؤية الآلاء: أي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء ، والله أعلم. والمرأة التي تتبرج اليوم عليها أن تعود بالذاكرة إلى الوراء أيام كانت توأد حية! لتدرك أن الإسلام وهبها الحياة مرتين: الأولى بالإبقاء على حياتها من الوأد ، والثانية بصيانتها من التبرج بالحجاب! وتحت عنوان: (المرأة العربية في العصر الجاهلي) يقول الأستاذ عبد الرحمن الطوخي ما نصه: (لقدْ تكلم القرآن والسنَّة عن حالِ المرأة قبل بزوغ شمس الإسلام ؛ تذكيرًا للنساء بمِنَّة التحرير من قيود الذُّلِّ والإهانة ، وما أضْفَى إليهنَّ من مكارمَ ومكانة ، وإليك بعض الجوانب التي تبيِّن لك وضْعَ المرأة وواقعها في ذلك العصر من خلال النص. لقد أبغض العربُ البنات ، وكان أحدُهم إذا بُشِّر بمولود أنثى علاَ وجهَه الكآبةُ والحزن ، ثم يفكِّر في مصير تلك الأنثى أيُمسِكها على هون أم يدسها في التُّراب؟ أما أسباب الوأد: فيكون لكراهيتهم جِنسَ الإناث ، أو خوفًا عليهن مِن السبي والعار ، فيقتلهنَّ حمية أو غَيْرة ، ويقال: إنَّ أول مَن فعَل ذلك قيس بن عاصم التميمي ، حين أغار عليه النعمان بن المنذر بعدَ أن منعتْه تميم الإتاوة فحاربَهم ، وسبَى نساءَهم ، وأسر بنتَه فاتَّخذها لنفسه ، ثم حصَل بينهم صُلْح ، فخَيَّر ابنته فاختارتْ زوجها ، فآلَى على نفسه ألاَّ تُولَد له بنت إلا دفنَها حية ، فتَبِعه العربُ في ذلك ، وروي أنَّ قيساً وأدَ بِضعَ عشرة بنتًا. وكان مِن العرب فريقٌ ثالث يقتلون أولادهم مطلقًا ، إمَّا نفاسةً منه على ما ينقصه من مال ، وإمَّا مِن عدم ما ينفقه عليه ، وقد ذكَر الله ذلك في قوله: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ). ونحن إذ نتكلَّم عنْ وأدِ البنات الذي كان أمرًا طبيعيًّا عن العرَب في الجاهلية ، لكنَّه لمنتكسي الفِطرة قساة القلوب والأفئدة. نجد في المقابل أعلامًا استنقذوا البناتِ من الوأد ؛ لأنَّه لم يخلُ مجتمع مِن أصحاب القلوب الرَّحيمة ، والنفوس الزكيَّة الأبيَّة التي تأبَى الظلم والضَّيْم ، وترفضه. وهؤلاءِ الذين فعَلوا ذلك ، يُحمد لهم فِعْلهم ، ويُعاونون على صَنيعهم ، بخلافِ هؤلاء الذين مات الإحساسُ فيهم. ومِن بيْن هؤلاء الأعلام مَن بذَل ماله لصونِ البنات عنِ الوأد ، وسعَى سعيًا حثيثًا لذلك: صَعْصعة بن ناجية التَّميمي ، فقدْ كان يتلمَّس مَن مسَّها المخاض ، فيغدو إليها ، ويستوهِب الرجلَ حياةَ مولودة إنْ كانت بنتًا ، على أن يبذلَ له في سبيلِ ذلك بعيرًا وناقتَين عشراويَيْن ، فجاء الإسلامُ وقد افتدَى أربعمائة وليدة. وأيضاً زَيْد بن عمرو بن نُفَيل

القرشي ، كان يَضرِب بيْن مضارب القوم فإذا بصُر برجل يَهُمُّ بوأدِ ابنته ، قال له: لا تقتلْها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، ويلي أمرَها حتى تشبَّ عن الطوق ، فيقول لأبيها: إن شئتَ دفعتُها إليك ، وإن شئتَ كفيتُك مؤونتها).هـ. فواأسفى على الحياء والاحتشام اليوم! وأسأل البهائم الآدمية المنفلتة من عقال الدين ورباط العقيدة: بأمر من هذا العُرْي على البحر ، ثم الاحتشام على الشط؟!)

49 - احتسبتُكِ عند الله يا رُقيّة

(بين المقابر نظر ذلك الأب المبتلى إلى قبر ابنته التي ماتت رضيعة. وميز القبر بدون صعوبة رغم تشابهه بسواه. ثم رأيتُ عينيه تهمِلان ، وبعد قليل اخضلتْ لحيته بالدموع ، وسمعتُه يقول: احتسبتك عند الله يا رقية. وأخذ يذكر لي مدى تعلقه بها! فأنشدتُ بعدها هذه القصيدة متخذاً من كلماته عنواناً أراه مناسباً لها! ولم يكن يصلحُ أن أعزيَه بعد الثلاث! وإن كانت كلمات التعزية لتشيع في نفس المعزي روح الاطمئنان بلقاء الله تعالى ، والإحساس بأن الكل ميت والشعور بأنها إرادة الله تعالى! – إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار ولأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب – وليس كما يقول أهل الجاهلية: - حياتك الباقية! – مات الميت وأعطاك عمره! – كلنا لها – البقية في حياتك – ربنا افتكر فلاناً أي الميت ، فأماته!)

50 - أسلم سبعة بسبب حجابها

(إنها فتاة أمريكية مسلمة تدخل قاعات الجامعة هناك بحجابها ، ويشمئز منها الأساتذة المراهقون الذين لا أبالغ إن قلت أن أغلبهم يعبدون شهواتهم ونزواتهم من دون الله! ويهضمون حقوقها كطالبة. وما ذاك إلا بسبب حجابها. مما أدى إلى قيامها بالمطالبة بحقها بشرف. فشرحت الأدلة على إدانة الأساتذة الغجر المتعنتين هؤلاء. وانتهى النقاش العقلاني الاستقرائي الرياضي الاستنباطي بإسلام ثلاثة دكاترة وأربعة طلاب في الجامعة. والقصة بتمامها في العدد 12 من مجلة (الفتح) الإماراتية ص43 للذي يريدها. في محاضرة للحوالي بعنوان: (الصبر على البلاء) يقول الدكتور الحوالي ما نصه: (المهم: أن هذا الدين سيقوم إن لم يقم على يديك فعلى يدي غيرك وإن لم يُقَم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على يد الهيئات المختصة ؛ فسيخرج الله من أبناء المترفين وأبناء المجرمين من يقيمه. فتجد الأب يوزع الخمر والمخدرات ، وابنه يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. فهذا دين الله ولا يستطيع أحد أن يغلبه أبداً ، وسيخرج الله له من يقيم الحجة على العالمين ، لكن هذه فترات ابتلاء وامتحان لا بد أن تمر. كما ابتلي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! وهل أحد أكرم أو أمنَّ على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وأحظى عند الله من النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقد حوصر في الشعب هو وبنو هاشم ، إلى درجة أنهم أكلوا أوراق الشجر من الجوع ، وكان ذلك لما كتبت الصحيفة التي تعاقدت قريش فيها على الكفر - والعياذ بالله - وعلى القطيعة ؛ فكان لا بد من الابتلاء. وماذا كان يوم أحد؟ وكم كان يوم الأحزاب من الفتن والأهوال التي زلزلت قلوب المؤمنين؟ ولكن في النهاية كان النصر المبين والحمد لله. فالصبر هو أساس النصر حتى عند من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقد سُئل الفارس الجاهلي المشهور عنترة بن شداد ، فقيل له: كيف تغلب الخصوم إذا

بارزتهم؟ قال: كلما قالت نفسي: فر واهرب سيقتلك ، قلت لها: اصبري قليلاً لعله يفر قبلي ، وما أزال بها حتى يفر ؛ سبحان الله! هكذا الإنسان كلما آتاه الله ابتلاء فليصبر قليلاً لعل الله أن يكفيه شره ، ولعله هو الذي يذهب ؛ وبهذه الطريقة يحصل النصر والله تعالى يقول: (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).هـ. ألا إن إسلام هؤلاء السبعة على يد هذه الموفقة التقية النقية ـ التي لا أزكيها على الله ـ لمكسب عظيم ومربح كبير. ولقد كان ذلك بفضل الله ثم بصبرها واحتسابها وشجاعتها!)

51 - أريج الأحلام

(كانت تحلم بالزواج منه. فلما تزوجته ، وجدت الزواج أعباء وتكاليف ورسالة ، فتقاعست عن هذا كله. وقد انقلب أريج الحلم إلى عذاب وجحيم وشقاء. فرُحتُ أصور طرفاً من هذا بالقلم شعراً. وأبين حقيقة الزواج ورسالته. وأهمس في أذن كل مؤمنة عاشقة لزوجها أن تعلم أن الزواج أعباء وتكاليف وأبناء ومسؤوليات وواجبات ، يعد التقاعس عنها خيانة لله ورسوله قبل أن تكون خيانة للزوج المسكين! وأظن أنه قد آن الأوان لأن تدرك المؤمناتُ الفرقَ بين الحياة والمسلسل! ولئن حلق المسلسل في أجواء الخيال والفجور معاً ، فإن الواقع ينبغي أن تهيمن عليه الشريعة!)

52 - إصلاح الذات قبل الذوات

(كثيرون يميلون إلى تخطئة الآخرين ورَمْي التبعة واللائمة عليهم بلا دليل تقومُ به الحُجة. والحقيقة أن إصلاح ذات المرء مقدمٌ على إصلاح ذوات الآخرين ، فهل يدرك هذه الحقيقة مَن يخطئون غيرَهم. أورد أبو داوود في سُننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه ـ قال: (بينما نحن حول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ ذكرَ الفتنة فقال: إذا رأيت الناس قد مرجتْ عهودُهم ، وخفتْ أماناتُهم ، وكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ قال: فقمتُ إليه فقلتُ: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: الزمْ بيتك ، واملكْ عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ، ودعْ ما تُنكر! وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة). قال الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين النَّاس). وقال سبحانه: (والصلح خير). وقال: (وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإنْ بغتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله فإنْ فاءتْ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إنَّ الله يحبُّ الله المقسطين). عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ: ألا أخبركم بأفضلَ من درجة الصيام والصلاة والصَّدقة. قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البيْن ؛ وفساد ذات البيْن الحالقة. ويُروى أنه ـ صلى الله عليه وسلّم ـ قال: هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدِّين. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ قال: إياكم وسوءَ ذات البيْن ؛ فإنها الحالقة. أخرجه الترمذي. وعن عبادة بن عمير بن عوف – رضي الله عنه ـ قال: قال لي أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ: قال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ: يا أبا أيوب ، ألا أدلك على صدقةٍ يحبُّها الله ورسوله ؛ تُصلحُ بين

الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير. وعن أبي أمية الشعباني – رضي الله عنه - قال: (أتيتُ أبا ثعلبة الخشني فقلتُ له: كيف تصنعُ بهذه الآية؟ قال: أيّة آية؟ قلت: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسَكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا! سألت عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا ودنيًا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أيامًا الصبرُ فيهن مثل القبض على الجمر! للعامل فيهن مثلُ أجر خمسين رجلاً يعملون مِثلَ عملكم). قال عبد الله بن المبارك: وزادني غير عتبة قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم). وهذا الحديث رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه ، وهو ضعيفٌ فقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع. حديث الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة). ومن هنا فلا بد من الإصلاح وأولى خطواته ذات البين! والعاقل الذكي العبقري من شغله عيبُه عن عيوب الناس ، وكان بصيراً بحال نفسه!)

53 - بل أصلحها الربيع

(الربيع بن خُثيم - رحمة الله عليه – من أعلام التابعين ، يقول أبو وائل ، أحد كبار أصحاب عبد الله بن مسعود اسمه شقيق بن سلمة يقول: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ومعنا الربيع بن خُثيم فمررنا على حدَّاد ، فقام عبد الله ينظرُ حديده في النارِ فنظر ربيعٌ إليها فتمايل فسقط ، لما رأى النار ماذا تعمل في الحديد وهو حديد؟ فكيف تفعل باللحم والدم؟ قال تعالي: (وَأَنْـزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) ، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتون : (فرن) ، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية: (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا... إلى قوله: ثُبُورًا) فصعق الربيع ، أي أغمي عليه ، فاحتملناه فجئنا به إلى أهله. قال: ثم رابطه عبد الله ، رابطه: أي ظل بجانبه حتى يفيق ، إلى الظهرِ فلم يُفق ، ثم رابطه إلى العصرِ فلم يُفق ثم رابطه إلى المغربِ فلم يُفق ثم إنه أفاق فرجع عبد الله إلى أهله. وذات يوم أراد جماعة من التجار المفسدين إغواء الربيع بن خثيم ، فذهبوا الى امرأة من البغايا وأعطوها 1000 دينار وقالوا لها: هذا ثمن قبلة واحدة تأخذيها من الربيع فقالت المرأة: ولكم فوق ذلك أن يزنى. فذهبت إلى الربيع في خلوته وتعرضت له وتجردت من ملابسها. فجري نحوها الربيع وهو مندفع ويبكي: كيف بك يا أمة الله إذا نزل بك ملك الموت ، فقطع منك حبل الوتين؟ وكيف بك إذا سألك منكر ونكير ويوم تقفين بين يدى العزيز الجليل؟ أم كيف بك إن لم تتوبي يوم تلقين في الجحيم؟ ففزعت المرأة وخرجت من عنده تائبة عابدة حتى لقُبت بـ (عابدة الكوفة)! حتى قال التُجار: أردنا ان تفسد الربيع بن خثيم فأفسدها الربيع علينا! ومناقب الربيع بن خثيم مسطرة في دواوين التراجم والأعلام! قال علقمة بن مرثَد: "أما الربيعُ فقيل له حين أصابه الفالجُ لو تداويت فقال: " لقد علمتُ أن الدواء حق ، ولكن ذكرتُ عادًا وثمود وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا ، كانت فيهم الأوجاع وكانت لهم الأطباء ، فما بقي المدَاوِي ولا المُداوَى" فقيل له: ألا تذكِّر الناس؟ قال: "ما أنا عن نفسي براضٍ فأتفرغ عن ذمها إلى ذم الناس ، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم ، وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: "أصبحنا ضعفاء

مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا". وكان ابن مسعودٍ إذا رآه قال: "وبشر المخبتين ، أما إن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو رآك لأحبك". وكان الربيع يقول: "أما بعدُ فأعد زادك وخذ في جهازك وكن وصي نفسك" الذي تريد أن تعمله لنفسك من أنواع البر اعمله بيدك ، كن وصي نفسك ، لا يوجد أحد خلفك سيعمل لك ، حتى لو فرضنا أن هناك من يريد أن يعمل ستجد ألف مثبط عنه وعندما ترك التداوي قال: "لقد علمتُ أن الدواء حق" والتداوي جائز ولو صبرت على المرض لست آثما في هذا!)

54 ـ بكائية إسماعيل علي سليم

(التقيتُه صاحباً محترماً وصديقاً غالياً هنا في (دار غربتي) عام 1993م. ألا وهو الأستاذ إسماعيل علي سليم ، من أهل (ظفر)! وكان جاري حيث سكن في بيت عبد الغني النجار في ذات البيت الذي أسكن فيه! والذي أعجبني فيه حبه الشديد للتوحيد والعقيدة ، وحرصه على مدارستهما جداً! وكان لا يمل من سماع خطب ومحاضرات التوحيد والعقيدة! وأحب الشيخ الدكتور محمد جميل غازي كل الحب ، وتابع محاضراته ودروسه! وأحب من الميتين الأحياء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناءه وأحفاده ممن حذا حذوه واتبع منهاجه! واقتنى العديد من كتاباتهم وأبحاثهم! ودارت بيننا نقاشات عديدة حول اللغة العربية شعرها ونحوها وصرفها وبلاغتها وأصول اشتقاقها! ولم يكن يرى كبير فرق بيننا في السن ، رغم أنه كان يكبرني بأعوام! وكان يحب الشعر العربي الموزون والمقفى ، واعتاد أن يحتفظ بقصائدي بعد نشرها! فأعد حقيبة في داره – أراني إياها ـ ليحتفظ فيها بما أنشره من أشعار! الأمر الذي لا يصنعه أهلي! وسافرنا معاً ، وتبادلنا الزيارات بالأهل وبغير الأهل! وكان لا يفرق في معاملته لي ومعاملته لإخوته من أبيه وأمه! وكان يردد: أراك لي في غربتي أفضل منهم! لأنني إن أصابني مكروه ، كنت أنت أقرب منهم وأسرع نجدة وأطول يداً! وكنت إذ يمدحني أقول له: لا تقطع عنق أخيك! وأتوجه إلى الله تعالى بدعاء الصديق – رضي الله عنه ـ: (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، ولا تفتني بما يقولون ، واغفر لي ما لا يعلمون)! وكان يقدمني للناس من معارفه وزملائه معرفاً الاسم بالأستاذ ، وكأنني عنده الأستاذ الوحيد الأوحد فلا أستاذ قبلي ولا أستاذ بعدي! ويذكر لهم من مناقبي وأشعاري ودواويني ما يجعلني أخجل من فرط إطرائه ومدحه! وسألته عن ذلك فقال: أنا إذ أفعل ذلك فأنا أمدح نفسي! لأن صاحبي بهذه المواصفات فكأنني صاحبت رجلاً ذا شأن فاعذرني! وكنت أعذره بناء عن طلبه! ولكنني ناشدته أن يقلل من مدحه وإطرائه وثنائه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً! وكان يخصص لمُدارسة العلم وتلاوة القرآن وإنشاد الشعر في بيته أوقات أسبوعية نحضرها سوية بغير انقطاع إلا في الظروف القاهرة جداً! فيعد العشاء والشاي ، ويطلب من أهل بيته أن لا يدخل علينا أحد ، ولا يزعجنا أحد! وخاصة عند تلاوة القرآن ، فلقد اعتدنا على قراءة جزء كامل ، ونتدبره ونتجاذب أطراف الحديث حول ما يشكل من الآيات! كما اعتدت أن أعرض عليه جُل قصائدي ليراجعها ويصححها ويدققها ويحققها ، وذلك قبل أن أرسلها للصحف والمجلات والجرائد ، وبعد أن أرسلها كنت أدفع إليه بنسخة ليلقي نظرته الثانية بعد النشر! وكان صريحاً ودقيقاً للغاية ، وذلك لشدة ملاحظته وقوة شخصيته ، فاعتاد أن يكتشف الأخطاء للوهلة الأولى! واعتاد أن يصطحبنا في سيارته إلى منزل الأخ محمد عبد الوهاب صابر في فلج المعلا! وذلك في سفرات ماتعة رائعة جميلة

بصحبة الأهل والأولاد. وظل الحال على ذلك حتى تدهورت صحته إصر إصابته بسرطان الرئة وقد أنهك جسمه تماماً العلاجُ الكيماوي! فإذا بالجسم الطويل الممتد العريض جلد على عظم كما يقولون! وإذا بالوجه قد بدا عظاماً ونتوءات بارزة لناظره! حتى توفاه الله تعالى! في تسعينات القرن المنصرم! فرحمه الله رحمة واسعة! وأسأل الله أن يكون قد قبضه شهيداً! وأن يجعل صراعه مع المرض كفارة لما اقترف من الذنوب! مات وأسرته ومحبوه وأصدقاؤه وجيرانه في أمس الحاجة إليه وإلى خلقه وأدبه وعطائه ونصائحه! فأسأل الله أن يخلفه فيهم جميعاً وأن يرزقهم الصبر والعزاء والسلوان على فراقه! وعسى الله أن يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا! إن تأبيني اليوم لأخي الأستاذ إسماعيل علي سليم يعد من بعض جميله علي وامتناني بما قدم لي من معروف في هذه الغربة القاسية ، وخاصة بعد تخلي الأهل والأقربين ، وبعد خذلان القاصي والداني لي بغير مبرر لهم جميعاً في ذلك! فكان إسماعيل أبو سليم رجلاً بمائة بمعنى الكلمة! وكان أخاً بكل ما تحمله كلمة الأخ من معاني! وكان صديقاً حميماً مخلصاً ولا نزكيه على الله ، فالله تعالى حسيبه ووكيله! كما كان الأستاذ إسماعيل سليم (أبو عبد الله) رجلاً صريحاً لا يخاف في الله لومة لائم! يقول الحق ولا يهمه ضجر فلان أو غضب علان! وما سألت أحداً من أهل ظفر الموحدين المؤمنين منهم إلا مدحه وأثنى عليه خيراً! ولم يكن يذمه وينال منه إلا عبدة القبور والأضرحة من الذين لم يحققوا ركن الشهادة الأول! فلله درك يا إسماعيل! لا يمدحك ولا يثني عليك إلا أهل التوحيد والإيمان والعقيدة! وكنت أتمنى أن لا أعيش اليوم الذي أؤبن فيه إسماعيل سليم ، ولكنها إرادة الله وقدره ومشيئته! وإن القلب ليخشع ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا: (وإنا على فراقك يا إسماعيل لمحزونون!)

55 - إشارة أبلغ من الكلام

(في (المنهاج الأسنى) ج1 صـ 80 قصة شاب نشأ على المعاصي ، تزوّج من امرأة صالحة ، فأنجبتْ له مجموعة من الأولاد من بينهم ولد أصم وأبكم. فحرصتْ أمه على تنشئته تنشئة صالحة فعلمته الصلاة ، والتعلق بالمساجد منذ نعومة أظافره. وعند بلوغه السابعة من عمره صار يشاهد ما عليه والده من انحراف ومنكر. فقرر النصيحة والإشارة لوالده للإقلاع عن المنكرات والحرص على الصلوات ، ولكن دون جدوى. وفى يوم من الأيام جاء الولد وصوته مخنوق ودموعه تسيل ، وكان قد وضع المصحف أمام والده ، وفتحه على سورة مريم ، ووضع إصبعه على قوله تعالى: "يا أبت إني أخاف أن يَمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا" ، وأجهش بالبكاء. فتأثر الأب لهذا المشهد وبكى معه ، وشاء الله سبحانه أن تنفتح مغاليقُ قلب الأب على يد هذا الابن الصالح ، فمسح الدموع من عيني ولده ، وقبّله ، وقام معه إلى المسجد. وهذه ثمرة صلاح الزوجة! فاظفر بذات الدين تربت يداك. ولقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك – رحمه الله -: "أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله" ، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – في المجموع: "والموعظة الحسنة تجمع التصديق بالخبر والطاعة للأمر ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مراداً به الأمرُ والنهيُ بترغيب وترهيب كقوله: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً). قال الإمام إسماعيل بن محمد الأصبهاني - رحمه الله -: "وأما أهل الحق فجعلوا

الكتاب والسنة إمامهم ، وطلبوا الدين من قِبَلهما ، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة ، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه ، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه ، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم". الحجة في بيان المحجة. وقال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: "ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم ، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح. (بالحكمة) أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل ، والبدأة بالأهم فالأهم ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين. فإن انقاد بالحكمة ، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة ، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها والنواهي من المضار وتعدادها. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله ، وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين ، من الثواب العاجل والآجل ، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل". تفسير السعدي. يقول عليه الصلاة والسلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: بلغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري. وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا". وقال: صلى الله عليه وسلم: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم". وقال أبو عثمان النيسابوري- رحمه الله -:"من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة". حلية الأولياء لأبي نعيم. وقال ابن عطاء البغدادي – رحمه الله -: "من ألزم نفسه آداب السنة ، نوّر قلبه بنور المعرفة! ولا مقام أشرف من متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم - في أوامره وأفعاله وأخلاقه". مدارج السالكين لابن القيم.)

56 - أشلاء وأشياء

(إن فِئاماً من الناس ينشدون النصر والتمكين والعز ، ويكتفون بالأحلام والطموحات والتطلعات والآمال. وفي ذات الوقت لم يبذلوا أسباب هذه الآمال والطموحات والتطلعات ، فإنني أعتبر هذه الفئام من الناس حمقى ومغفلين. والأشلاء والأشياء التي تتناولها القصيدة - التي أقدم لها - تمحْور وتبلور هذا الهدف. كم شيّعنا إلى المقابر أحباباً وأصحاباً ومعارف ، فما اعتبرنا بما نزل بهم ، ولا اتعظنا من الموت ، وكفي به واعظاً. وكم رأينا أصحاب هذه الدنيا يجتهدون ويكدّون ويكدحون ، ليحققوا آمالهم فيها ، ويكون لهم ما يطمحون إليه وما يأملون. وفي ذات الوقت نرى أصحاب الحق يكتفون فقط بالآمال والأحلام والتوقعات. ويدّعون أنهم ذوو طموحات وأمان ، ثم ها هم أولاء لا يأخذون في الحياة بأسباب تحقيق هذه الطموحات ولا تلك الأماني. إنه لا يستحق أن يعيش من لا أمل له ، وأحمق منه من كانت عنده الآمال والطموحات لكنه لا يعمل لتحقيق هذه الآمال وتلك الطموحات! ورحم الله الشافعي إمام المذهب إذ كان يكثر من قوله: (أنا إن عشتُ فلستُ أعدم قوتاً ، وإن مت فلن أعدم قبراً! ففيم الخوف والحرص والجزع؟) إن الإنسان لا يعيش إلا مرة ، ولن يموت يوم يموت إلا مرة ، وإن حياته ومماته بأمر الله سبحانه وتعالى. والحياة في سبيل الدين والموت عليه أفضل من الحياة في سبيل الدنيا

والموت عليها. وإذن فليحي الموحد مرة واحدة ، وليمت مرة واحدة ، ولتكن هذه وتلك في سبيل دينه وعقيدته ، وفي (الإصابة في تمييز الصحابة 31/3 ، والسيرة النبوية لابن هشام والروض الأنف 48/3) ما نصه بتصرف زهيد: (لقد رأى هذه اللحظات عمير بن الحمام في غزوة بدر بأم عينه عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله لا يقاتل أحد هؤلاء القوم اليوم مؤمناً محتسباً فيقتل مقبلاً غير مدبر إلا دخل الجنة فقال عمير رضي الله عنه: يا رسول الله أما بيني وبين دخول الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، قال: بلى. وكانت في يده تمرات يأكلها ليتقوى بها ويعيش ويتجنب الجوع والأسقام. إنها لحياة طويلة أن يقضيها في أكل التمرات والجنة ببهائها وزينتها ولذائذها وحورها العين وهي محل تنزل رحمات الله ورضوانه تنتظره! فألقى بالتمرات وكسر قراب سيفه لأنه لا مجال لإغماده فيه ثانية ، فكان له ما أراد وما أخبره به الصادق المصدوق.)هـ. ويصدّق ذلك كله قولُ الله: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتيَ لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين). وإذن فحياة المسلم الفذ يجب أن تكون لله رب العالمين ، وموته يجب أن يكون في سبيل الله!)

57 - أشهر قرآنك

(هناك وعلى متن العبارة (نياغوس) اليوغسلافية في ميناء السويس تقل ركابها من مصر إلى ميناء العقبة في الأردن ، وفي رحلة عودتها كنت واحداً من العائدين صيف 1983م. وصعد الكلُ سُلم العبارة بعد تدقيق الجوازات ووضع كل راكب متاعه ، وراح يبحث عن مكانه حسب تذكرته. وكان بعض المسافرين يحملون أجهزة التسجيل الصوتي ويشغلونها. فهذا مع أغنية كذا ، وذلك مع أغنية كذا. إلا هذا الصعيدي فقد آثر أن يعيش مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد في أحد تسجيلاته لقصار السور. وكم استمعت لهذا الشريط مئة مرة ومرة إلا هذه المرة. فلقد كان لها مذاق خاص جداً. حيث ظهر لكل محب حبيبه ، وخلا كل خليل بخليله. فمن حبيبه المطربُ الفلاني ، ومن خليله المغني العلاني. ومن خليله وحبيبه كتابُ الله تعالى يتلوه الشيخ عبد الباسط. فرحتُ أقول لابن الصعيد: (أشهر قرآنك). وعلى بحرنا الخفيف وبكل صفاء. قال صلى الله عليه وسلم: "يا أبا هريرة تعلم القرآن وعلمه الناس ، ولا تزال كذلك حتى يأتيك الموت ، فإنه إن أتاك الموت وأنت كذلك حجت الملائكة إلى قبرك كما تحج المؤمنون إلى بيت الله الحرام". أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة. ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصًا كل الحرص على إتقان القراءة. وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه القرآن كما تلقاه من جبريل عليه السلام ، ويلقنهم إياه بنفس الصفة. ثم خص صلى الله عليه وسلم نفرًا من أصحابه أتقنوا القراءة ، حتى صاروا أعلامًا فيها منهم: أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وغيرهم. فكان صلى الله عليه وسلم يسمع منهم القرآن. لقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "ورتل القرآن ترتيلاً". وقال تعالى: "وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً". ولقد جعل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم للأدواء شفاءً ، وللصدور جلاءً ، وأن خير القلوب قلب واعٍ للقرآن الكريم ، وخير الألسنة لسان يتلوه ، وخير البيوت بيت يكون فيه ، وأنه أعظم الكتب منزلة ، فهو النور المبين الذي لا يشبهه نور ، والبرهان

المستبين الذي ترتقي به النفوس وتنشرح به الصدور ، لا شيء أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ، ولا أكثر من إفادته ، ولا ألذ من تلاوته ، من تمسك به فقد نهج منهج الصواب ، ومن ضل عنه فقد خاب وخسر وطرد عن الباب. يقول المستشرق المنصف بارتلمى شتيلر: "إن القرآن بقي أجمل مثال للغة التي أنزل بها ، ولم أر ما يشبه ذلك في جميع أدوار التاريخ الديني للعالم الإنساني". (جولة مع المستشرقين ص55). أما جوستاف لوبون فيقول: "حسب هذا الكتاب جلالة ومجداً أن الأربعة عشر قرناً التي مرّت عليه لم تستطع أن تجفف من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأن عهده بالوجود أمس! ولم يكن هذا النبي الجليل داعياً إلى الآخرة وحدها بل أمر أتباعه بأن يأخذوا نصيبهم من الدنيا". (المرجع السابق). ونأتي إلى جميس إتشنر الذي يقول: "لعل القرآن هو أكثر الكتب التي تُقرأ في العالم ، وهو بكل تأكيد أيسرها حفظاً ، وأشوقها أثراً في الحياة اليومية لمن يؤمن به ، فهو ليس طويلاً كالعهد القديم ، وهو مكتوب بأسلوب رفيع. ومن مزاياه أن القلوب تخشع عند سماعه ، وتزداد إيماناً وسجوداً....هذا هو القرآن الكريم معجزة نبي الإسلام ورسول السلام خاتم الرسل والأنبياء". (المرجع السابق). بينما يقول الدكتور موريس بوكاي في مقدمة ترجمته للقرآن: "إن هذا هو الكتاب الذي ادخرته العناية الإلهية لبني البشر ، وإن هذا الكتاب ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لمن يطلب اللغة ، ودار معارف لمن يطلب الشرائع والقوانين. وقال صلى الله عليه وسلم: "القرآن أفضل من كل شيء دون الله ، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله عز وجل على خلقه ، فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحق الله ، وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد على ولده". (أخرجه الترمذي والحاكم في تاريخه). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلّه (أي ألبسه حُلة) فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب زده فيلبس حُلة الكرامة ، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة". رواه الترمذي. ولننظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لمعاذ رضي الله عنه: "يا معاذ إن أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر والأمن من الخوف والنور يوم الظلمات والظل يوم الحرور والري يوم العطش والوزن يوم الخسفة والهدى يوم الضلال فادرس القرآن فإنه ذكر الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان (أخرجه الديلمي). القرآن يُعلّم الناس أمور دينهم ودنياهم. يرفع قيمة الأم والأب الذين يحفظ ابنهما القرآن الكريم ، ويلبسهما الله تعالى تاجاً من نور ، نورُه أفضل من نور الشمس. يعتبر قارئه ومتعلمه من الذين قال الرسول عليه الصلاة والسلام فيهم: (خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه). [صحيح]. يعطي لقارئه العبرة والموعظة ، حيث تحمل سوره الكثير من قصص الأمم الغابرة. يرغب المؤمنين بالعبادة والجنة ، لما في سوره من ذكر للجنة ، وحسنها ، ومتاعها ، ودرجاتها ، وفي سوره أيضاً تحذير من نار جهنم ووصف لها ، مما يعمق إيمان العبد بربه. يدعو للتفكر في خلق الكون والإنسان وكلّ ما في الحياة. يرفع أخلاق المرء ويهذبها ، ويزيد الصدق والأمانة وحب الخير للناس ، حيث يُحبب فعل الخير. يقي قارئه من الإصابة بالسحر والمس الشيطاني ، ويحميه من العين والحسد. وفضل القرآن الكريم متعدد لكل من قرأه وسمعه وعمل به. فإنه يكسب قارئه الحسنات الكثيرة والأجر العظيم ، ويضاعف الحسنات ، ففي كلّ حرف منه حسنة ، وتُضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء. يرفع درجة صاحبه في الجنة ، فيُقال لقارئ القرآن يوم القيامة: (اقرأ ، وارتق ، ورتّل). وكل الأعمال مطلوبة في الدنيا إلا ذكر الله وتلاوة

القرآن ، فتلك في الدنيا والآخرة! يقي صاحبه من عذاب القبر وضغطته ، وتقدم صاحبه عند الدفن. تتنزل الرحمة والسكينة والنور والسرور في البيت الذي يُقرأ فيه القرآن الكريم، ويُشعر أهله بالراحة والاطمئنان. يمنح صاحبة الوقار والهيبة في قلوب الناس وبين الخلق. يُلبس صاحبه تاجاً من نور وكرامة يوم القيامة ، ويُحاجج عن صاحبه ، ويرفع قدره في الدنيا والآخرة. يغشي صاحبه بالرحمة التي دعا الرسول عليه الصلاة والسلام لصاحب القرآن الكريم بها. يباهي الله تعالى ملائكته بقارئي القرآن الكريم وحافظيه من عباده. يشفي بقراءته الكثير من الأمراض الجسدية والنفسية. هذا وللقرآن على قارئه أثر طيب وكرامة في جميع أحواله: سواء كان مؤمناً أو منافقاً بنص حديث أبي هريرة الذي في الصحيح! وأعود للعبّارة نياغوس والصعيدي وعبد الباسط!)

58 - أبشرْ بالزلفى يا زلفى

(زلفى هو مغنٍ صومالي عالمي ، ذاع صيته في كل أنحاء العالم. وشهد الكل له بالنجومية - والعياذ بالله تعالى - في الغناء. أراد الله له الهداية ، فهيأ بحوله وقوته – عز وجل - أسبابها. واهتدى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ذلك المغني ، ولله الحمد. وقامت جريدة (المسلمون) السعودية في عددها (4116) بنشر قصة زلفى كاملة من النجومية في الغناء – وما هي عندنا بنجومية - إنّ النجومية في الالتزام بالإسلام ، وهذه هي فعلاً النجومية الحقيقية. ورحتُ أبشره في هذه القصيدة. قال ابن الجوزي: (الحذر الحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب ، خصوصًا ذنوب الخلوات فإن المبارزة لله تَعَالَى تسقط الْعَبْد من عينه سُبْحَانَهُ ولا ينال لذة المعاصي إِلا دائم الغَفْلَة ، فأما المُؤْمِن اليقظان فإنه لا يلتذ بها ، لأنه عَنْدَ التذاذه يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها ، فإن قويتْ معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وَهُوَ الله فيتنغص عيشه في حال التذاذه ، وإن كَانَ الطبع في شهوته فما هِيَ إِلا لحظة ثُمَّ خزي دائم وندم ملازم وبُكَاء متواصل وأسف على ما كان).هـ. وأيضاً قصة المرأة المُتَعَبِدة البصرية: كانت هناك عابدة بصرية جميلة وكانت تُخْطَبُ فتأبى ، وأنها وقعتْ في نفس رجل مهلبي فبلغ المهلبي أنها تريد الحج فاشترى ثلاثمائة بعير ونادى من أراد الحج فليكتر من فلان المهلبي فاكترت منه فلما كان في بعض الطريق جاءها ليلاً فقال: إما أن تزوجيني نفسك وإما غير ذلك فقالت: ويحك اتق الله! فقال: ما هو إلا ما تسمعين والله ما أنا بِجَمَّال ولا خرجت في هذا إلا من أجلك. فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال أحد لم ينم؟ قال: لا! قالت: عُدْ فانظر ، فمضى وجاء فقال: ما بقي أحد إلا وقد نام. فقالت: ويحك أنام رب العالمين؟ ثم شهقت شهقة وخرت ميتة ، وخرَّ المهلبي مغشياً عليه ثم قال: ويحي قتلت نفساً ، ولم أبلغ شهوتي فخرج هارباً.)

59 - أبشرْ بالشهادة يا عزيزي

(ذهبتُ وصاحب لي نعود صاحباً لنا مريضاً. وكان ذلك في المستشفى الجامعي بالمنصورة عام 1983م. وأثناء الحديث معه قال لنا: كنت أتمنى الشهادة. فعقبتُ مبشّراً: تُشفى بإذن الله وتلقاه عز وجل شهيداً بعد طول عمر وحسن عمل. فقال: بل الآن يا صاحبي. فقلت مبشراً: والمبطون شهيد. فكن على يقين وأبشر بالشهادة. فوالله هي خير لك من الدنيا وما فيها ومن فيها. فإذا به يموت بعد أيام قليلة من زيارتنا تلك. فرحمه الله رحمة واسعة. من طريق جابر بن عتيك أخرج مالك وأحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المقتول في سبيل الله شهيد والمطعون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد ..." إلى آخر الحديث. صححه الألباني. ومن طريق أبي هريرة:- الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله. وهو في الصحيحين وعند مالك وغيرهم. وفي الباب عن عبد الله بن بسر (صحيح) وعن عقبة بن عامر (صحيح) وغيرهم.....فأما المبطون فقيل كما سمعت غير مرة من الأستاذ محمد المنجد: من به استطلاق البطن ، وقيل: المرأة الحامل ، وقيل: من ابتلي في ذات الجنب. العُرف الشذِيّ للكشميري. قال النووي في شرح مسلم:- وأما المبطون فهو صاحب داء البطن وهو الإسهال. قال القاضي وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الذي تشتكي بطنه. وقيل: هو الذي يموت بداء بطنه مطلقاً. الاستذكار: ابن عبد البر. وأما المبطون فقيل: المحبوق وقيل صاحب انخراق البطن بالإسهال. وجاء في شرح العباد لسنن أبي داود:- السؤال: هل يدخل من يموت بالسرطان في المبطون؟ الجواب: لا ؛ لأن السرطان لا يكون دائماً في البطن ، فقد يكون في غير البطن. روى البخاري ومسلم. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرِيق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله). وروى أحمد وأبو داود والنسائي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما تعدّون الشهادة؟ قالوا: القتل في سبيل الله تعالى. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجُمْع شهيدة). والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود. قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود: (المطعون) هو الذي يموت بالطاعون. (وصاحب ذات الجنب) وهي قرحة أو قروح تصيب الإنسان داخل جنبه ، ثم تفتح ويسكن الوجع وذلك وقت الهلاك ، ومن علاماتها الوجع تحت الأضلاع وضيق النفس مع ملازمة الحمى والسعال وهي في النساء أكثر. قاله القاري. (والمبطون) من إسهال أو استسقاء أو وجع بطن. (والمرأة تموت بجُمع). قال الخطابي: "معناه أن تموت وفي بطنها ولد".هـ. وقال النووي رحمه الله في شرح مسلم: "وَأَمَّا (الْمَبْطُون) فَهُوَ صَاحِب دَاء الْبَطْن ، وَهُوَ الإِسْهَال. قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي بِهِ الاسْتِسْقَاء وَانْتِفَاخ الْبَطْن ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي تَشْتَكِي بَطْنه ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَمُوت بِدَاءِ بَطْنه مُطْلَقًا".هـ. وسئل ابن عثيمين رحمه الله: ورد في الحديث أن المبطون شهيد ، ما معنى كلمة مبطون ، وهل يدخل في معناها من توفي من تليّف في الكبد؟ فأجاب: "المبطون قال فيه أهل العلم: من مات بداء البطن ، والظاهر أن من جنسه من مات بالزائدة لأنها من أدواء البطن التي تميت ، ولعل من ذلك أيضاً من مات بتليف الكبد لأنها داء في البطن مميت". ويحسن بنا أن نورد تفصيلاً حول معنى حديث "الشهداء خمسة" ، ويتولى ذلك التفصيل الدكتور محمد بن

عبد الله القناص عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم ، ونورد هنا السؤال الذي سُئله والجواب:
فأما السؤال: عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له ، فغفر له ، ثم قال الشهداء خمسة: المطعون والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله.
والجواب: هذه أحاديث أخرجها البخاري بسياق واحد ، قال حدثنا قتيبة عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة – رضي الله عنه - أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قال: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له! ثم قال: الشهداء خمسة: المطعون ، والمبطون ، والغريق وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله. قال الحافظ: (وكأن قتيبة حدث به عن مالك هكذا مجموعاً فلم يتصرف فيه المصنف كعادته في الاختصار ، وقد تضمنت هذه الأحاديث ما يأتي:
(1) دل الحديث الأول على فضل إماطة الأذى عن الطريق ، وأن قليل العمل إذا أخلص فيه العبد لربه ، يحصل به كثير الأجر والثواب ، وقوله: "فشكر الله له...." الله - سبحانه وتعالى - هو الشكور ، والشاكر على الإطلاق الذي يقبل القليل من العمل ، ويعطي الكثير من الثواب مقابل هذا العمل القليل ومن شكره - تبارك وتعالى - أن غفر لهذا الرجل الذي نحى غصن الشوك عن طريق المسلمين ، وهو عمل قليل. (2) أفاد الحديث الثاني أن الشهداء خمسة وهم: أ- المطعون: هو الذي يموت بالطاعون ، وهو الوباء ، وقد فسره النبي – صلى الله عليه وسلم - في حديث آخر حيث قال: "الطاعون شهادة لكل مسلم" أخرجه البخاري ومسلم عن أنس – رضي الله عنه -. ب- المبطون: هو الذي يموت من علة البطن ، كالاستسقاء ، والحقن وهو: انتفاخ الجوف والإسهال. ج- الغريق: هو الذي يموت بالغرق. د- صاحب الهدم: هو الذي يموت تحت الهدم. هـ - الشهيد في سبيل الله. قال الحافظ: (اختلف في سبب تسمية الشهيد شهيداً ، فقيل لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة ، وقيل: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعدَّ له من الكرامة والحصر المذكور في الحديث غير مقصود ، فقد دلت أحاديث أخرى على وصف غير المذكورين بالشهادة) ، قال الحافظ: (والذي يظهر أنه - صلى الله عليه وسلم - أعلم بالأقل ثم أعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت آخر ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك). فتح الباري ، وممن جاء وصف موتهم بالشهادة غير المذكورين في الحديث السابق ما يأتي الحريق ، وصاحب الجنب والمرأة تموت بجمع ، وقد جاء ذلك في حديث جابر بن عتيك – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "ما تعدون الشهادة؟" قالوا: القتل في سبيل الله – تعالى - ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة". أخرجه أبو داود ، وصاحب ذات الجنب: ذات الجنب هي: قرحة في الجنب ، وورم شديد ، وتسمى ذات الجنب الشوصة. وأما المرأة تموت بجُمع: يقال بضم الجيم وكسرها ، وقد تفتح الجيم وسكون الميم فهي المرأة تموت حاملاً ، وقد جمعت ولدها في بطنها ، وقيل: هي التي تموت في نفاسها وبسببه ، وقيل التي تموت عذراء ، والأول: أشهر الأقوال ، ومن مات دون ماله ودينه ودمه وأهله فهو شهيد ، وذلك لما جاء في حديث سعيد بن زيد – رضي الله عنه - قال: "سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: "من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد

ومن قتل دون أهله فهو شهيد". أخرجه الترمذي ، وقال: هذا حديث حسن صحيح ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد ، وذلك لحديث سُويد بن مقرن – رضي الله عنه - قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "من قتل دون مظلمته فهو شهيد". أخرجه النسائي ، قوله: دون مَظلمته ، أي قصده قاصد بالظلم ، وموت الغربة شهادة ، وذلك لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "موت غربة شهادة". أخرجه ابن ماجه وقد ذكر الحافظ أنه من خلال نظره في الأحاديث تحصل له إطلاق الشهادة على عشرين خصلة قال ابن التين: (هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء ، ووصف هؤلاء بالشهداء بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ، ولا تجري عليهم أحكام الشهداء في الدنيا).هـ. فأنشدتُ - لصاحبي الفقيد بحضرة صديقي أحمد عبد الحكم أبو وداعة ذلك الصعيدي الذي يسكن شربين -!)

60 - أبلغت يا عدنان وأوجزت!

رسالة تهنئة للأستاذ الدكتور / عدنان علي رضا النحوي
بمناسبة كتابه النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء والرد على المسمى بـ (ابن جني)

(إن الحديث مع الدكتور النحوي ذو شجون وذو شؤون. وإن الناس يبارك بعضهم لبعض على تجارة دنيوية في صورة مال أو عقار أو ما شاكل ذلك. ولكن الأدباء وأهل القريض والعلماء والفقهاء علام يبارك بعضهم لبعض؟ أعلى تجارة من مال أو عقار؟ بالطبع لا. بل تكون المباركة على كتاب بديع ، أو على كُتيب ، أو على محاضرة قيمة ، أو على ديوان ، أو على مناظرة! ذلك أنني وجدت أنه في جُل الأحوال يعيش أهل العلم والفقه الأدب أغلبهم على الكَفاف ، وهذا لحكمة يعلمها الله. وإنني لأبارك للدكتور عدنان كتابه المتألق (النقد الأدبي). ورب ضارةٍ نافعة! وربما لم يعمد هو إلى تأليفه إلا بعد تطاول (ابن جني) النكرة عليه (أي على الدكتور عدنان) وعلى أخويه (عبد الرحمن رأفت الباشا) رحمه الله ، و(الدكتور عبد الرحمن العشماوي) حفظه الله. أهدي هذه الرسالة الشعرية الرقيقة لعميد النقد الأدبي العربي الأستاذ الدكتور الشاعر القدير سماحة الوالد / عدنان علي رضا النحوي ، حفظه الله. والمناسبة أنه بعد اطلاعي على كتابه الرائع: النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء ، وذلك في طبعته الأولى سنة 1995م ، وكنتُ قد عزمت على تسجيل انعكاس قراءتي لكتابيه اللذين هذا الكتاب أولهما ، والثاني كتاب: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته! وكم قرأتُ في النقد الأدبي مُشرّقاً ومُغرّباً فما ألفيت ناقداً أعطى الموضوع حقه من الحيدة العلمية والموضوعية والربط بالشرع المطهر كما فعل الدكتور عدنان فيما أعلم. ولعل هذا ما يُميّز الكتابين عند غيري من أهل الأدب ، ولكن أغلبهم لا يصرح بذلك ، إذ لهم من قول الله تعالى الآتي نصيب: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ، وكان سبب ميلاد هذا الكتاب للدكتور عدنان في النقد الأدبي هراءات عزفها المدعو ابن جني في جريدة (الجزيرة) معلقاً على قصيدة الدكتور عدنان: (غربة ودمعة) في تأبين ورثاء سماحة الأستاذ / عبد الرحمن رأفت الباشا – رحمه الله تعالى – رحمة واسعة. ورب مقالةٍ لا يفقه صاحبها شيئاً يا دكتور عدنان تكون سبباً في إخراج كتاب من أروع المراجع في النقد الأدبي الحديث من منظور شرعي أصيل منصف عادل وظريف ، ومن هنا ندعو لابن

جني بأن يهديَه الله للحق ويهدي أمثاله من الذين يهرفون بما لا يعرفون ، أولئك الأقوام الذين قد زين لهم الشيطان فعلاً سوء أعمالهم فرأوْها حسنة. ورب كتاب كان سبباً في إخراج قصيدة يا دكتور عدنان ، هذه القصيدة لما قرأتها على الأستاذ الوالد الشاعر سالم محمد سالم النوبي ، موجه أول اللغة العربية بالإدارة التعليمة بعجمان صبيحة عيد الأضحى قال وبالحرف: هذه القصيدة لو كان الزمان زمان المعلقات ، لكانت من أروع المعلقات. ونحن نسجل هذه الملاحظة هنا ، لا من باب الفخر بالذي نكتب ، بل نسجلها فقط للإشارة إلى المدى الذي نحب الحق وأهله عنده. ونحسب الدكتور عدنان من أهل الحق ، ولا نزكّي على الله عز وجل أحداً ، ورزقنا الله وإياه التقوى وحسن الخاتمة: ألا طالِعوا هذين الكتابيْن للدكتور عدنان ، بُغية الوصول إلى الحق من منظور إسلامي ، ذلك أن نقاداً جهابذة في النقد لهم من المراجع ما يزيد على السبعين وقد خلا نقدهم الأدبي وللأسف من الانطلاق من قاعدة شرعية أصيلة ، ومن هنا فقدَ نقدهم روحه وحياته ، وخرج للجيل مسخاً مشوهاً وادعاءً باللفظ وتلاعباً به أجوف لا يزيد ، وعزيفاً عن عزيف الجن لا يختلف. نعم ، تميز كتاب: النقد الأدبي ، بانطلاقه في عالم النقد من قاعدة شرعية ورؤية نقية للعمل الأدبي ، بعيداً عن لوثات عُهر الحداثة ودنس العلمانية وهواجس العبثية وخرافة اللامعقول واضطراب الفاعلية وتخبط الإشكالية وفوضى السيريالية وتخرص الراديكالية وتصورات الجاهلية وعفن الكلاسيكية وسطحية الأفلاطونية ووسخ الأرسطية وتثليث الصليبية وردود أفعال الاستشراق وأذناب الاستشراق وعبادة الحضارة الغربية المعاصرة! نعم ، هذا باختصار ما تميز به كتاب: النقد الأدبي بين الهدم والبناء ، للدكتور / عدنان علي رضا النحوي ، حفظة الله. ولولا خوفي من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (احثو في وجوه المدَّاحين التراب) ، وكراهية الدكتور عدنان للمدح ، لقلتُ الكثير عنه. وإنا من الراسخين في معرفته ، والكتاب عظيم وقيّم جداً. والسبب أن الكاتب ابتداء وأشهد الله واشهدوا كان حنيفاً مسلماً ولا نزكيه على الله ، إنما نحسبه هكذا ، فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا منافقاً ولا علمانياً ولا جاهلياً حاشاه ، بل كان حنيفاً مسلماً في عقيدته وسلوكه ، في تصوره وتصرفه ، وفي موازينه وقيمه ، وكان حنيفاً مسلماً في عاداته وتقاليده وفي أدبه: شعره ونثره ونقده ، وليس كالذين يكتبون في النقد الأدبي من منظور إسلامي بزعمهم وهم أعلم بأهل الاستشراق منهم بأبي بكر وعمر! بل جزا الله خيراً الدكتور عدنان على الذي قدمه للجيل من المنهاج القويم للدعوة إلى الله ، والمنهاج القويم للأدب نثره وشعره ونقده ، وجزا الله خيراً الدكتور/ محمد مصطفى هدارة ، والدكتور / عبد الباسط بدر والأستاذ / محمد حسين بريغش على ما سطروه نثراً في الرد على ابن جني ، ولا حرمنا الله أجرهم ونحن نشاركهم ، فنرد شعراً عليه! وأعتذر لابن جني الحقيقي النحوي صاحب كتاب اللمع في النحو. ذلك الرجل الذي لا يعرف ابن جني الجزيرة شيئاً عنه بالمرة ، وإنما كنية لاحت له فقط ، وهدانا الله وإياه. وكان على هذا النكرة الذي ينتحل اسم (ابن جني) ويكتب في جريدة (الجزيرة) أن يعرفه على الأقل ويلم بشيء من تاريخ حياته وغيرته على العربية نحوها وشعرها ونثرها!)

61 - ابنٌ مثاليٌ من قرية ظفر بالدقهلية

(ليست هذه هي المرة الأولى التي أكتب فيها عن اليتيم واليتم! فيكفي المجموعة الشعرية: (اليتم ليس غرماً!) التي كتبتُها منذ عقود! ولكن يتيم قصيدتنا هذي يتيمٌ مثالي! مثالي في يُتمه ، مثالي في تحمله المسؤولية كاملة ، مثالي في تفاعله مع الحياة ، مثالي في جهاده وكفاحه ، مثالي في غيرته على أمه وأخواته ، مثالي في مشاركته أمه واقتسامه لها دور الأب مثالي في عصاميته حيث أخذ على عاتقه كسْر فقر هذه العائلة المنكوبة البائسة بعد رحيل عائلها! وهذه المثالية في كل ما ذكرتُ جعلتْني أكتب هذه القصيدة ، وأعطيها هذا العنوان ليتيم عصامي وابن مثالي من أبناء (قرية ظفر – مركز تمي الأمديد – دقهلية) مشيداً به وبأخلاقه وبكفاحه! وكم في (ظفر) من الجمال والإبداع! وأهل (ظفر) أهلي وعشيرتي ، وهم أخوالي على أي حال! لماذا؟ لأن أمي من الدقهلية من عائلة (سماحة) من (قرية برمبال – مركز دكرنس - دقهلية) ، و(ظفر) من قرى الدقهلية ، وإذن فتربطني بالقوم رابطة الخؤولة! ويتيم قصيدتنا عاني كثيراً جداً! وأنا أعرف هذا لمتابعتي له ولأسرته عن كثب! والعرب تقول: ليست هناك حاجة أبداً لنصح يتيم بعدم البكاء. ومن هنا فلقد بكى يتيم قصيدتنا كثيراً! وخلال المعاناة يحوّل اليتيم قلبه نحو الله كما يقولون! وهذا الذي حدث مع يتيم قصيدتنا المثالي ، حيث اتجه إلى الله تعالى يبث نجواه وشكواه. ومن هنا أقول لقساة القلوب ومن يجحفون في حق الأيتام: اتقوا الله حيثما كنتم ، ولا تستقووا على يتيم أو مسكين أو معوذ أو ذي حاجة. ألا وإن خير البيوت بيت فيه يتيم يُحسن إليه. وأجود الناس من جاد من قلة ، وصان وجه اليتيم عن المذلة. والحكمة تقول: (تتحسر الخادمة في الصبح ويتحسر اليتيم في المساء). إن تحسرها صباحاً لكثرة الأعباء والخدمات والمهام! ولكن اليتيم يبيت يتساءل: إلى متى؟! وتربية اليتيم تتطلب قلباً صابراً وعلماً واعياً وحساسية مرهفة. والإحسان إلى اليتيم يفتح أبواب الجنان. والمحسن للأيتام حيّ ، وإن نقل إلى منازل الأموات ، لأن ميزان حسناته لا يتوقف. وإن أحببت أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ فارحم اليتيم ، وأحسن إليه ، وامسح على رأسه ، وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك ، كما أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم. وأظلم الناس عند الله اللئيم سارق حق اليتيم. ولذا كان من حق اليتيم أخذ ميراثه من مال والديه كاملاً دون أن ينقص منه شيئاً. ومن حق اليتيم على من يكفله أن يقدم له العون والمساعدة دون أي جفاءٍ أو اعتداء. ومن حق اليتيم العيش وسفي بيئةٍ عادلةٍ بعيدة عن الجور ، والظلم ، والتفرقة. ومن حق اليتيم التربية والتعليم ليكون عضواً نافعاً في المجتمع مستقبلاً ، قادراً على الاعتماد على نفسه وتحمل المسؤولية. والمثل الإيرلندي يقول: (دموع اليتيم هي درر الله). والدال على الخير في الرفق بضعف يتيم ومسح دمعته ، له أجر كفاعله كما في الأثر. وما أصعب العالم عندما يواجهه اليتيم بمفرده ، فإنه لا يرحمه ولا يقدر ما هو فيه للأسف! واليتيم عندما يفقد أمه أو أباه يفقد ابتسامته ، ويفقد الأمان في حياته ، فما أصعب فراق أحد الوالدين ، إنه يجعل القلب يعتصر ألماً حيث لا لقاء بعده إلا في عالم الأحلام أو الآخرة. وأصعب أنواع الحرمان هو فقدان حضن الأمن الدافئ ، حيث بعد فقدانها يفقد اليتيم الحب الحقيقي الوحيد في حياته. واليتيم لا يعرف أبداً الفرح. وقلب اليتيم يدوم فيه فراغ إلى الأبد. وما أصعب استضعاف اليتيم وقهره لأنه لا سند وراءه. ولكن يتيم قصيدتنا كان عصامياً إيجابياً تفاعل مع الحياة ، واستطاع أن ينتصر على يتمه وأحواله البائسة! وواجه الحياة وكافح وناضل ، واتجه إلى الله تعالى فأعانه الله على كل المشاق ، وزلل له كل الصعاب ، وخاض معركة اليتم في صراع الحياة ، وخرج منها منتصراً ظافراً! وقصيدتي هذي ستكون أطول عمراً منه ومني!)

62 - ابن مماتي مؤرخ صعيدي

(إن الأستاذ / يسري عبد الغني عبد الله قد أثرى المكتبة الإسلامية بكتابه الفذ (معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري). وكنت أظنه لن يذكر ابن مماتي ذلك الصعيدي المؤرخ. إلا أنه ذكره ص 181 ، وأفاض عن سيرته ، ونشير إلى ما أورد: (هو الأسعد بن المهذب. صاحب كتاب: "قوانين الدواوين" الذي نشره عزيز سوريال عطية بالقاهرة عام 1943م. وينتمي ابن مماتي إلى أسرة من نصارى أسيوط ، وليَ أفرادٌ منها مناصبَ هامة في الإدارة المصرية زمن الفاطميين والأيوبيين. وتولى أبوه ديوان الجيش في أواخر عهد الدولة الفاطمية وأوائل عهد الدولة الأيوبية ، واعتنق الإسلام هو وأولاده ، وخلفه ابنه الأسعد ـ مؤلف هذا الكتاب ـ على ديوان الجيش ، وأضاف إليه صلاح الدين وابنه العزيز ، ديوان المال. واختص بصحبة القاضي الفاضل. على أن تقرر عزله ومصادرة أملاكه ، فلجأ إلى حلب فحباه بفضله صاحبها غازي بن صلاح الدين ، وبقي بها حتى مات سنة 606هـ 1210م. ولابن مماتي تصانيف عديدة لها فائدة علمية. ولعل أهم كتبه قوانين الدواوين ، الذي صنفه للعزيز بن صلاح الدين ، تناول فيه كل ما يتعلق بدواوين مصر ورسومها وأصولها وأحوالها وما يجرى فيها. وكان يقع في أربعة أجزاء ضخمة ، ثم جرى اختصاره ، في هذا المؤلف ذكر أربعة آلاف ضيعة من أعمال مصر ومساحتها وقانون ريها ومتحصلها من عين وعلة. والموضوعات التي يعرض لها المؤلف تشتمل وصف جغرافية مصر زمن الدولة الأيوبية ، حيث أشار إلى حدود مصر والنيل ، والأقاليم والنواحي! وعالج الضياع والكفور والجزائر ، والترع والجسور وكل ما يتصل بالديوان. كما تصدى المؤلف إلى كثير من المسائل المتصلة بنظم الحكومة الأيوبية ، فاستعرض وظائف الدولة واختصاص كل منها ، وشرح موارد البلاد ونفقاتها ، ثم أسهب في ذكر أنواع الأراضي والفصول الزراعية وأنظمة الري ، وتدل هذه المعلومات على ما بلغته الزراعة والفلاحة من التقدم في العهد الأيوبي ، على أن ابن مماتي اكتفى بالإشارة إلى الوحدات المالية ، ولم يلجأ إلى تفصيل عبرات البلاد ومساحاتها ، لأنها من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها بين الناس).هـ. وفي موقع: (المعرفة) طالعنا بعض المعلومات عن ابن مماتي ، منها: (هو الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا بن مماتي وشهرته ابن مماتي (1149 – 1211م) ، هو مؤرخ مسلم ، أديب ، شاعر ، مصري من القرن السادس الهجري ، صاحب مؤلفات حسان. ويعود مماتي بأصوله إلى أسيوط. ممّاتي لقب جده أبي المليح ، وكان كثير الصدقة والإطعام لصغار المسلمين ، فإذا رأوه نادوه «ممّاتي» فاشتهر به وغلب عليه. وكان من كتّاب الدولة الفاطمية أيام بدر الجمالي ، وقد جمع بين الفضل والنبل حتى حاز محبة الناس، وأثنى عليه الشعراء.[محمد عدنان قيطاز. "ابن مماتي". الموسوعة العربية]. أما أبوه مهذب بن مينا فكان كاتب ديوان الجيش في أواخر العهد الفاطمي وبداية العهد الأيوبي. وقيل كان على ديوان الإقطاعات وهو على دين النصرانية. وفي عهد السلطان صلاح الدين بن يوسف ، جمع المهذب أولاده ودخل على السلطان ، وأسلموا على يديه ، فقبلهم وأحسن إليهم ، وزاد في ولاياتهم ، وبقي أبوه في الديوان حتى وفاته. خلف أسعد أباه على ديوان الجيش ، وتصدّر فيه مدة طويلة ، وأضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيزية ديوان المال ، وهو أجلّ ديوان في مصر. وكانت تربطه بالقاضي الفاضل مودة وصحبة ، وحظي عنده ، ونبّه على فضله. لم يزل أسعد مرموقاً في عهد السلطان صلاح الدين إلى أن ملك أخوه العادل أبو بكر الديار المصرية، وكان وزيره صفي الدين بن شكر يضمر لأسعد السوء بسبب رئاسته عليه ، ولكنه لم يظهر حقده عليه إلا بعد أن فوض إليه جميع الدواوين مدة سنة ، ثم حيكت عليه المؤامرات حتى وقع بين يديه ، ولم يلتفت لأعذاره ، ونكبه شرّ نكبة ، وغرّمه أقبح تغريم ، ولكنه

تمكن من الهرب من مصر إلى حلب سنة 604هـ ، إبان دولة الظاهر الغازي بن صلاح الدين عليها فأكرمه ونعّمه حتى وفاته سنة 606هـ وله من العمر اثنتان وستون سنة ، ودفن بظاهر حلب على مقربة من قبر أبي بكر الهروي. وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان لابن مماتي ثلاثةً وعشرين كتاباً ، وقال: «له تصانيف كثيرة يقصد بها التأدب. لم تكن مفيدة إفادة علمية ، غير أن ياقوتاً لم يذكر كتاب «قوانين الدواوين» وهو أشهر كتبه على الإطلاق. ومن هذه التصانيف «سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب» ، «كرم النِجَار في حفظ الجار» ، «قرقرة الدجاج في ألفاظ ابن حجاج» ، «أعلام العصر». كان الأسعد موسوعة في الأدب والفقه واللغة ، وذكر ياقوت الحموي له أكثر من عشرين مؤلفاً ، من أشهرها: (حجة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم ، وقد قال عنه القاضي الفاضل: إنه والله من أهم ما طالعه الملوك ـ نظم السيرة الصلاحية في سيرة صلاح الدين الأيوبي ـ الفاشوش في حكم قراقوش ـ الشيء بالشيء يُذكر ـ باعث الجلد عند حادث الولد ـ تلقين اليقين في الكلام على حديث بني الإسلام على خمس ـ سر الشعر). وأما أهم مؤلفاته وأشهرها على الإطلاق فهو كتاب قوانين الدواوين الذي يُعتبر موسوعة شاملة لحالة البلاد المصرية في القرن السادس الهجري ، حيث تناول باستفاضة جغرافيتها وشيئاً من تاريخها ، وتفصيل نواحيها وقراها وتأصيل أسمائها ، وأنظمة الحكم والدواوين والوظائف ، وشئون الزراعة وغيرها. وله كتاب: لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة ، ولعل أول من أشار إلى كتابه قوانين الدواوين صاحب صبح الأعشى ، فقد ذكره في مواضع عديدة ، وأخذ عنه كثيراً من مادته ، كما ذكره صاحب إيضاح المكنون. ويعد كتاب قوانين الدواوين أثمن ما وصلنا من آثاره ، فهو ثروة علمية جمع فيه بين التراث التاريخي والجغرافي والزراعي. وقد تعرض الأسعد بن المهذب في سفره النفيس إلى جغرافية مصر في العهد الأيوبي ، وذكر أعمالها ونواحيها وأسماء ضياعها وجزائرها ومناخها. وتصدّى لكثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في عصر بني أيوب. كما استعرض وظائف الدولة المهمة ، وأفاض في شؤون مصر الزراعية ، فذكر أنواع الأراضي والفصول الزراعية وأنظمة الري وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها والأدوات المستخدمة في تقليم الأشجار. والكتاب زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات ، واستطاع أن يجمع فيه إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط في شتى المسائل التي اختصوا بها دون غيرهم من الطوائف المصرية وطبقاتها. ويتألف الكتاب من مقدمة وعشرة أبواب ، بدأها في فضل الكتابة والكتاب ، وختمها في ذكر السنة الشمسية والقمرية. وجدير بالذكر أن للكتاب عدة طبعات ، وأفضلها ما جاء محققاً بعناية عزيز سوريال عطية. وكتاب قوانين الدواوين هو كتاب علمي صرف يتحدث فيه ابن مماتي عن مصر بصفة عامة ونهر النيل ومساحة الأرض وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها وخلجانها، بالإضافة إلى تناوله الأراضي المختلفة ، والفصول الزراعية ، وأنظمة الري ، وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها وغير ذلك من الأمور الهامة.[نسيم مجلي. "الأسعد بن مماتي ـ رائد أدب السخرية"]. وكذلك يتصدى الكاتب إلى كثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في عصر بني أيوب. مثال ذلك "الباب الثامن" الذى استعرض فيه المؤلف وظائف الدولة وشرح اختصاص كل منها ، كما أنه أتى في الأجزاء الأخيرة من الكتاب على شذرات كثيرة طريفة عن بعض الدواوين ودور الحكومة وموارد الدولة. ويقول العلامة الكبير الراحل عزيز سوريال الذى حقق الكتاب إن قيمته ليست مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة في المجتمع المصري ومركزه السامي في حكومة البلاد ، فابن مماتي ـ كما يظهر من تاريخ حياته فيما بعد ـ تقلب في كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسئولين. كذلك يخبرنا الدكتور عزيز سوريال أن ابن مماتي اعتذر عن

تقديم بعض المعلومات لأنه اعتبرها من أسرار الأمن القومي أو من أسرار الدولة التي لا يجوز إذاعتها ـ هذه الشخصية التي تجمع بين الخيال الأدبي الساخر والدقة العلمية المفرطة إلى جانب الحس الوطني اليقظ كيف نراها؟ لقد تساءل المستشرق الفرنسي الكبير كازانوفا ، الذى حقق كتاب "الفاشوش" ، وعلق عليه قائلاً: "كيف نوفق بين صورة هذا المؤلف الذى يخوض في كتابات الفكاهة ويكتب فيها كتاباً بالعامية ، ثم يكتب كتاباً آخر بالفصحى عن الأرض ومساحة المدن ويعزف عن إباحة أسرار الدولة ، فيرتفع إحساسه بالمسئولية إلى هذا الحد المتعقل؟" إن الصورتين تتكاملان لو علمنا أن ابن مماتي كان غاضباً حانقاً بلا شك على القائد قراقوش الذى يقرّبه صلاح الدين إليه. وهو حانق من وجهة نظر مذهبية كما يذهب كازانوفا ، وهو حانق كذلك لأن أمور مصر ساءت على الرغم من الإنجازات التي حققها صلاح الدين في الخارج من صفحات وضاءة في الفتوحات وصد الصليبيين ، ولكن هذه الصفحات كانت مصابة ببقع الحكم الاستبدادي في الداخل وإطلاق الشهوة "القراقوشية". ولعل هذا الوضع يبرر من جانب الحكام عادة باسم المصلحة العامة (باستخدام أسلوب العصر) ولكنه لا يبرر من زاوية المحكومين أبداً. كما أننا نتصور أن حنق هذا الاقتصادي أو هذا المالي ابن مماتي على قراقوش هو حنق له ما يبرره لأن الاقتصادي ينظر للأمور نظرة مخالفة لنظرة القائد العسكري، مما يثير الفرقة في النظر دون شك. وقد علق الدكتور عزيز سوريال على ما جاء في كتب المؤرخين بملاحظات عدة نذكر منها: أن مؤلف كتاب "قوانين الدواوين" لم يكن أول شخص عظم شأنه في دواوين الحكومة من بين أفراد أسرته، إذ نجد أن جده أبا المليح الذى عاش بمصر في العصر الفاطمي عمل في خدمة الوزير بدر الجمالي والخليفة المستنصر بالله حتى بلغ في سلم الترقي إلى وظيفة "مستوفى الديوان" وهى من الوظائف الرئيسية في الدولة الفاطمية ، وبعد موته تولى ابنه واسمه المهذب بن أبى المليح رئاسة "ديوان الجيش" والدولة الفاطمية تحتضر في وزارة أسد الدين شيركوه السنى ، وفى عهده أسلم هو وأولاده لكى يفلت من التضييق الذى وقع على النصارى وقتئذ ، ويحتفظ بمكانته السامية في دواوين الحكومة ، وأما ابنه وهو حفيد أبى المليح واسمه الأسعد فقد قضى الجزء الأول من حياته في عصر الانتقال من الفاطميين للأيوبيين ، وورث في بداية الأمر عن أبيه وجده "ديوان الجيش" الذى احتفظ به في عهد صلاح الدين الأيوبي (564 - 589 هـ / 1169 - 1193 م) وفى سلطنة ابنه العزيز عماد الدين عثمان (589 - 595 هـ / 1193 - 1198 م) ، ويظهر مما ورد في رواية ياقوت الرومي أنه أضيف إليه أيضاً "ديوان المال" الذى يعتبر في كل العصور أهم الدواوين والوزارات ، ويلوح أنه ظل محتفظاً بوزارته ودواوينه أيضاً خلال سلطنة المنصور محمد (595 - 596 هـ/ 1198 - 1199م) وشطر من سلطنة العادل سيف الدين أبى بكر (596 - 615 هـ / 1199 - 1218م) ، ولكن كثرت عليه المؤامرات في عهد هذا الأخير وأودت بمركزه وماله، وأدت إلى هروبه فقيراً ذليلاً إلى ما وراء الحدود المصرية في الشام حيث قضى بقية أيامه بمدينة حلب ومات بها في جمادى الأولى عام 606 هـ (نوفمبر 1209م) وعمره إذ ذاك اثنتان وستون عاماً. ثانياً: يلاحظ أن الوزارة لم تشغل الأسعد عن الأدب والتأليف ، ونظرة واحدة في أسماء الكتب التي صنفها والتي ذكر أكبر عدد منها ياقوت الرومي تكفى لإيضاح هذه الحقيقة ، ولكن الغريب في ذلك هو أنه لم يتحدث عن "كتاب" قوانين الدواوين" من بين قدماء المؤرخين سوى المقريزي هو الوحيد الذى اهتم بمثل ما ورد في ذلك الكتاب من المحتويات ، بينما اقتصر الآخرون على الناحية الأدبية البحتة من تآليفه ، ورواية المقريزي في هذا الصدد عظيمة الشأن ، ويفهم منها أن ابن مماتي ألف الكتاب للملك العزيز ، ثم يزيد على ذلك أن الكتاب المتداول في أيدينا إنما هو نسخة مختصرة من الكتاب الأصلي الذى كان يقع في أربعة مجلدات ضخمة". فإذا صحت نظرية المقريزي ، وضح لنا السبب في الاختلافات الكبيرة بين مجموعة المخطوطات الصغرى التي اعتمد

عليها ناشر نسخة مطبعة الوطن والمجموعة الكبرى التي اعتمدنا عليها فيما ننشره اليوم في المجلد الحاضر ، وبالرغم من أن "كتاب قوانين الدواوين" الذى يظهر في هذه الصفحات من أروع الوثائق التاريخية في عصر الدولة الأيوبية ، فإنه لا يسعنا إلا إبداء أسفنا الشديد على ضياع الأصل المطول ذي المجلدات الأربعة والتي لم نعثر عليها في أي مكان توجد فيه مخطوطات عربية في أوربا من لندن وباريس إلى استانبول والقاهرة وغيرها من العواصم. ولابن مماتي أيضاً كتاب: الفاشوش في حكم قراقوش وهو ينتمي إلى أدب الفكاهة والسخرية والهجاء ويمثل بحق أسلوباً فنياً بارعاً في تصوير الغرابة والشذوذ وإحداث المفارقة. وهذا الكتاب الذى أضحك أجيالاً ولازال يضحكنا ، كتبه صاحبه باللغة العامية المصرية ، ووصل به إلى أعرض الجماهير حتى صار قراقوش في المخيلة الجماعية للشعب مثالاً لكل حاكم أخرق ينحرف عن طريق العقل والمنطق في سلوكه وتصرفاته. ولقد تعرض ابن مماتي في هذا الكتاب للأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي وكان نائب السلطان صلاح الدين في مصر وموضع ثقته. فقد ذكر ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» أن في الكتاب أشياء يبعد وقوع مثلها منه ، ويرى أنها موضوعة لأن السلطان صلاح الدين كان يعتمد في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه. كما ذكر ابن خلكان في وفياته أنه نظم كتاب كليلة ودمنة ، وقال: وله ديوان شعر. ويتأكد التكامل في شخصية المؤلف بصورة أوضح حين نقرأ تقديمه لكتاب الفاشوش في أحكام قراقوش بقوله: «إنني لما رأيت عقل بهاء الدين قراقوش محزمة فاشوش ، قد أتلف الأمة ، والله يكشف عنهم كل غمة ، لا يقتدى بعالم ، ولا يعرف المظلوم من الظالم. الشكية عنده لمن سبق ، ولا يهتدى لمن صدق. ولا يقدر أحد من عظم منزلته على أن يرد كلمته ، ويشتط اشتياط الشيطان ، ويحكم حكماً ما أنزل الله به من سلطان ، صنفت هذا الكتاب لصلاح الدين ، عسى أن يريح منه المسلمين.» فغرضه من هذا الكتاب هو تحرير الشعب المصري وتخليصه من تسلط قراقوش وقهره له. لأنه سخر الشعب المصري لبناء أمجاد صلاح الدين وتأكيد سلطانه ، دون مراعاة لحقوق الفقراء ومشاعرهم ، فإذا تفكرنا أيضاً أن كتاب "قوانين الدواوين" قدم لصلاح الدين أو أحد أبنائه من أجل تحرى الواقعية والعدل في تقدير الجزية والضرائب على أفراد الشعب بجميع فئاته. فإننا نكتشف البعد الآخر أو الدافع الرئيسي لابن مماتي ، وهو مصلحة مصر والشعب المصري عموماً. فإذا عرفنا أن صلاح الدين كان كردياً وأن قراقوش قائد جيشه كان صقلبياً من مماليك القوقاز في حين كان ابن مماتي مصرياً أباً عن جد. لمحنا أثر الصراع بين المصريين والحكام الأجانب. ولعل هذا ما جعل كازنزفا يقول: "إن ابن مماتي كان يسعى إلى هز الثقة بقراقوش ، وهو قائد صلاح الدين الأيوبي ومن أقرب المقربين إليه ، لأنه كان يعهد إليه بأمانة الإشراف على شئون مصر نيابة عنه عندما كان يضطر إلى السفر إلى سوريا للقاء الصليبيين". فصلاح الدين لا ينيب عنه مصرياً مهما كان قدره أبداً ، وقد كان ابن مماتي مثلاً رئيساً لديوان الجيش وديوان المال في ذلك الوقت ، ويذكر الدكتور عبد الطيف حمزة إن قراقوش كان كثير اللجاجة والخصومة ، فلا يقر مبدأ المنافسة في الأمور ، ولا يحتمل الاصغاء الى جدل من كبير أو صغير ، وله رأى في معاملة السوقة والعامة ، هو أخذهم جميعا بالقهر والقسوة ، وهكذا فعل بالأسرى وبالعامة الذين سخرهم في بناء الأسوار والحصون. وكان هذا سببا في كراهية ابن مماتي وسخريته منه." ولعل أقدم سيرة نعرفها لابن مماتي، كتبها ياقوت الحموي في الفترة الأولى من القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ توفى سنة 1229م أي أنه كان معاصراً لابن مماتي المتوفى سنة 1209م. ويلاحظ الدكتور عزيز سوريال أن ياقوت لم يعتمد فقط على رواية الرواة من أهل العلم وإنما اطلع أيضاً على شيء مما كتبه ابن مماتي بخطه ، ولذلك يجوز لنا أن نعتبرها وبلا تردد وثيقة من أهم الوثائق عن مؤلف كتاب "قوانين الدواوين" ، وهى وإن كانت في ذاتها واضحة لا تحتاج إلى إفاضة أو تفسير ، إلا

أنه يدهشنا فيها سقوط الكتاب المذكور من بين محتويات القائمة التي جمع فيها ياقوت عدداً كبيراً من مؤلفات ابن مماتي ، كما يلاحظ أيضاً أن كاتب هذه السيرة اهتم بالناحية الأدبية من حياة ابن مماتي أكثر من بقية النواحي الأخرى التي أجملها إجمالاً. يتلو ذلك في الترتيب الزمنى ما ذكره ابن خلكان المتوفى 1282م في كتابه المشهور "وفيات الأعيان" حيث يقول: "القاضي الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مينا ابن زكريا أبى قدامة بن أبى مليح مماتي المصري الكاتب الشاعر ، كان ناظر الدواوين بالديار المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر رأيته بخط ولده ونقلت عنه مقاطع. "وكان الأسعد المذكور قد خاف على نفسه من الوزير صفى الدين ابن شكر ، فهرب من مصر مستخفياً وقصد مدينة حلب لائذاً بجناب السلطان الملك الظاهر رحمه الله تعالى ، وأقام بها حتى توفى في سلخ جمادى الأولى سنة ست وستمائة يوم الأحد وعمره اثنتان وستون رحمه الله تعالى ، ودفن في المقبرة المعروفة بالمقام على جانب الطريق بالقرب من مشهد الشيخ الهروي ، وتوفى أبوه الخطير في يوم الأربعاء سادس شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وخمسمائة. "ومينا بكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ، ومماتي بفتح الميمين والثانية منهما مشدَّدة وبعد الألف تاء مثناه من فوقها وهى مكسورة وبعدها ياء مثناه من تحتها ، وهو لقب أبى مليح المذكور وكان نصرانياً ، وإنما قيل له مماتي لأنه وقع في مصر غلاء عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام وخصوصاً لصغار المسلمين فكانوا إذا رأوه نادى كل واحد منهم مماتي فاشتهر به ، هكذا أخبرني الشيخ الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذري نفع الله به. "وأما ابن مماتي فإنه (أسعد) بن مهذب بن زكريا بن (مينا) شرف الدين مماتي أبى المكارم بن سعيد بن أبى مليح الكاتب المصري ، أصله من نصارى أسيوط من صعيد مصر ، واتصل جده أبو المليح بأمير الجيوش بدر الجمالي وزير مصر في أيام الخليفة المستنصر بالله ، وكتب ديوان مصر ، وولى استيفاء الديوان ، وكان جواداً ممدوحاً انقطع إليه أبو الطاهر إسماعيل بن محمد المعروف بابن مكيسة (مكنسة!) الشاعر. توفى في سنة ست وستمائة (606هـ) ، وعمره اثنتان وستون سنة).هـ. ويطيب لنا بعد هذه المقدمة أن نشيد بابن مماتي ذلك المؤرخ الصعيدي ، ذلك النصراني الذي أسلم وحسن إسلامه. ونكتب عنه لنضيفه إلى قائمة فضلاء الصعيد وجهابذته وعماليقه وعباقرته الذين لنا شرفُ الانتساب إليهم بحكم كون والدي وأجدادي لوالدي وأعمامي من أهل صعيد مصر. ومن هنا امتدحت تلك الديار المصرية المباركة! حتى أنني أفردتُ ديواناً شعرياً بأكمله عن الصعيد ومناقب الصعيد! واسم الديوان لمن أحب القراءة فيه والوقوف على حقيقة أهل صعيد مصر هو: (الصعايدة وصلوا) ، ويقع في ما يزيد على 300 صفحة من القطع الوسط! وإنما أردت أن أخص ابن مماتي كمؤرخ مسلم من صعيد مصر لأنني كنت قد انتهيت من صف وإخراج ديوان: (الصعايدة وصلوا)!

63 - أبو غياث المكي

(أما بطل قصتنا فهو التابعي أبو غياث المكي. ذلك العابد الزاهد الذي تنبثق بطولته من مراقبته لله تعالى. وقصة أبي غياث المكي وزوجته لبابة قصة مشهورة في كتب التراجم والسير! قال ابن جرير الطبري – رحمه الله تعالى -: كنتُ في مكة في موسم الحج فرأيت رجلاً من خرسان ينادي ويقول: يا معشر الحجاج ، يا أهل مكة من الحاضر والبادي ، فقدتُ كيساً فيه ألف دينار ، فمن ردّه إليّ جزاه الله خيراً وأعتقه من النار ، وله الأجر والثواب يوم الحساب! فقام إليه شيخ كبير من أهل مكة فقال له: يا خرساني بلدنا حالتها شديدة ، وأيام الحج معدودة ،

ومواسمه محدودة ، وأبواب الكسب مسدودة ، فلعل هذا المال يقع في يد مؤمن فقير وشيخ كبير ، يطمع في عهد عليك ، لو رد المال إليك ، تمنحه شيئاً يسيراً ، ومالاً حلالاً! قال الخرساني: فما مقدار حلوانه؟ كم يريد؟ قال الشيخ الكبير: يريد العُشُر مائة دينار هي عُشر الألف. فلم يرض الخرساني وقال: لا أفعل ، ولكني أفوّض أمره إلى الله ، وأشكوه إليه يوم نلقاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل. قال ابن جرير الطبري: فوقع في نفسي أن الشيخ الكبير رجل فقير ، وقد وجد كيس الدنانير ويطمع في جزء يسير ، فتبعته حتى عاد إلى منزله ، فكان كما ظننت ، سمعته ينادى على امرأته ويقول: يا لبابة فقالت له: لبيك أبا غياث. قال: وجدت صاحب الدنانير ينادي عليه ، ولا يريد أن يجعل لواجده شيئاً ، فقلت له: أعطنا منه مائة دينار ، فأبى وفوض أمره إلى الله ، ماذا أفعل يا لبابة؟ لا بد لي من رده ، إني أخاف ربي ، أخاف أن يضاعف ذنبي! فقالت له زوجته: يا رجل نحن نقاسي الفقر معك منذ خمسين سنة ، ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمي ، وأنت تاسعنا ، لا شاة لنا ولا مرعى ، خذ المال كله ، أشبعنا منه فإننا جوعي ، واكسنا به فأنت بحالنا أوعى ، ولعل الله عز وجل يغنيك بعد ذلك ، فتعطيه المال بعد إطعامك لعيالك ، أو يقضي الله دينك يوم يكون الملك للمالك. فقال لها يا لبابة: أآكل حراماً بعد ست وثمانين عاماً بلغها عمري ، وأحرق أحشائي بالنار بعد أن صبرت على فقري ، وأستوجب غضب الجبار ، وأنا قريب من قبري ، لا والله لا أفعل! قال ابن جرير الطبري: فانصرفت وأنا في عجب من أمره هو وزوجته ، فلما أصبحنا في ساعة من ساعات من النهار ، سمعت صاحب الدنانير ينادى يقول: يا أهل مكة ، يا معاشر الحجاج ، يا وفد الله من الحاضر والبادي ، من وجد كيساً فيه ألف دينار ، فليرده إلي وله الأجر والثواب عند الله! فقام إليه الشيخ الكبير ، وقال: يا خرساني قد قلت لك بالأمس ونصحتك ، وبلدنا والله قليلة الزرع والضرع ، فجد على من وجد المال بشئ حتى لا يخالف الشرع ، وقد قلت لك أن تدفع لمن وجده مائة دينار فأبيت يا هذا ، فإن وقع مالك في يد رجل يخاف الله عز وجل ، فهلا أعطيتهم عشرة دنانير فقط بدلاً من مائة ، يكون لهم فها ستر وصيانة ، وكفاف وأمانة فقال له الخرساني: لا أفعل ، وأحتسب مالي عند الله ، وأشكوه إليه يوم نلقاه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل. قال ابن جرير الطبري: ثم افترق الناس وذهبوا ، فلما أصبحنا في ساعة من ساعات من النهار ، سمعت صاحب الدنانير ينادي ذلك النداء بعينه ويقول: يا معاشر الحجاج ، يا وفد الله من الحاضر والبادي ، من وجد كيساً فيه ألف دينار فرده على له الأجر والثواب عند الله. فقام إليه الشيخ الكبير فقال له: يا خرساني ، قلت لك أول أمس امنح من وجده مائة دينار فأبيت ، ثم عشرة فأبيت ، فهلا منحت من وجده ديناراً واحداً ، يشتري بنصفه إربة يطلبها ، وبالنصف الأخر شاة يحلبها ، فيسقى الناس ويكتسب ، ويطعم أولاده ويحتسب قال الخرساني: لا أفعل ولكن أحيله على الله وأشكوه لربه يوم نلقاه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فجذبه الشيخ الكبير ، وقال له: تعال يا هذا وخذ دنانيرك ودعني أنام الليل ، فلم يهنأ لي بال منذ أن وجدت هذا المال يقول ابن جرير: فذهب مع صاحب الدنانير ، وتبعتهما ، حتى دخل الشيخ منزله ، فنبش الأرض وأخرج الدنانير وقال: خذ مالك ، وأسأل الله أن يعفو عني ، ويرزقني من فضله! فأخذها الخراساني وأراد الخروج ، فلما بلغ باب الدار ، قال: يا شيخ مات أبي رحمه الله وترك لي ثلاثة آلاف دينار ، وقال لي: أخرج ثلثها ففرقه على أحق الناس عندك ، فربطتها في هذا الكيس حتى أنفقه على من يستحق ، والله ما رأيت منذ خرجت من خرسان إلى ههنا رجلاً أولى بها منك ، فخذه بارك الله لك فيه ، وجزاك خيراً على أمانتك ، وصبرك على فقرك ، ثم ذهب وترك المال! فقام الشيخ الكبير يبكي ويدعو الله ويقول: رحم الله

صاحب المال في قبره ، وبارك الله في ولده! قال ابن جرير: فوليت خلف الخراساني ، فلحقني أبو غياث وردني ، فقال لي اجلس فقد رأيتك تتبعني في أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم سمعت أحمد بن يونس اليربوعي يقول: سمعت مالكاً يقول: سمعت نافعا يقول: عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لعمر وعلي رضي الله عنهما ، إذا أتاكما الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس ، فاقبلاها ولا ترداها ، فترداها على الله عز وجل ، وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر! ثم قال: يا لبابة ، يا فلانة ، يا فلانة ، وصاح ببناته والأختين وزوجته وأمها ، وقعد وأقعدني ، فصرنا عشرة ، فحل الكيس وقال: أبسطوا حجوركم فبسطت حجري ، وما كان لهن قميص له حجر يبسطونه ، فمدوا أيديهم ، وأقبل يعد ديناراً ديناراً ، حتى إذا بلغ العاشر إلي ، قال: ولك دينار ، حتى فرغ من الكيس ، وكان فيه ألف دينار ، فأعطاني مائة دينار! يقول ابن جرير الطبري: فدخل قلبي من سرور غناهم أشد من فرحي بالمائة دينار ، فلما أردت الخروج قال لي: يا فتى إنك لمبارك ، وما رأيت هذا المال قط ولا أملته ، وإني لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به ، واعلم أني حقيقة كنت أقوم فأصلي الفجر في هذا القميص البالي ، ثم أخلعه حتى تصلي بناتي واحدة واحدة ، ثم أخرج للعمل إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم أعود في آخر النهار بما فتح الله عز وجل على من تمر وكسيرات خبز ، ثم أخلع ثيابي لبناتي فيصلين فيه الظهر والعصر ، وهكذا فى المغرب والعشاء الآخرة ، وما كنا نتصور أن نرى هذه الدنانير ، فنفعهن الله بما أخذن ، ونفعني وإياك بما أخذنا ، ورحم صاحب المال في قبره ، وأضعف الثواب لولد ، وشكر الله له! قال ابن جرير: فودعته ، وأخذت مائة دينار ، كتبت العلم بها سنتين ، أتقوّت بها وأشتري منها الورق وأسافر وأعطي الأجرة ، وبعد ستة عشر عاماً ذهبت إلى مكة ، وسألت عن الشيخ ، فقيل إنه مات بعد ذلك بشهور ، وماتت زوجته وأمها والأختان ولم يبق إلا البنات ، فسألت عنهن فوجدتهن قد تزوجن بملوك وأمراء ، وذلك لما انتشر خبر صلاح والدهن في الآفاق ، فكنتُ أنزل على أزواجهن ، فيأنسون بي ويكرموني حتى توفاهن الله ، فبارك الله لهم فيما صاروا إليه! يقول تعالى: {ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه}. إنها الأمانة تعلي شأن حافظها وتكرم مؤديها بين الناس كلهم جميعاً! وتحت عنوان: (الخلق المفقود : الأمانة) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (هذا الخلق المفقود اليوم بين الناس ، وهو الأمانة ، أقول : يجب على الأئمة والعلماء وطلاب العلم وعامة الناس ، تذاكر هذا الموضوع بعد الصلوات من قبل الأئمة ، وعلى المنابر من قبل الخطباء ، وعبر المحاضرات والكلمات من قبل العلماء وطلبة العلم عن طريق المساجد أو عبر وسائل الإعلام المختلفة ، وكذلك إشاعة مثل هذا الأمر وتذكير الناس به عن طريق المناسبات والاجتماعات ، وهكذا حتى يدرك الناس حقيقة الأمانة وما تدل عليه ، وما تشتمله من حياة العبد ، فالأمانة ليست كما يعتقده كثير من الناس أنها تتعلق بالودائع وحفظ الأمتعة والأموال لحين عودة صاحبها ثم يردها له أو ينكرها ، بل الأمانة أعظم من ذلك بكثير ، فالأمانة أشمل من ذلك وأعظم منه بكثير ، الدين الذي منَّ الله به عليكم أمانة في أعناقكم ، جسدك أمانة ، أبناؤك أمانة زوجتك أمانة ، مالك أمانة ، كل ما يتعلق بك أمانة. واليوم لقد ضعفت الأمانة ، وقل التعامل بين الناس بها ، حتى لا تكاد ترى رجلاً أميناً تأمنه على مالك أو سرك أو غير ذلك. وللأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين ، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها ، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أعمالها ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إضاعتها والتهاون بها ، وأشار إلى

أن في إضاعتها انحلال أمر المسلمين وهو حديث توسيد الأمر لغير أهله وسوف يأتي بإذن الله عز وجل. ولي عمر رضي الله عنه القضاء على عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وبعد سنة من توليه القضاء جاء إلى أبي بكر وقدم استقالته ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : "أمن ثقل المسؤولية يا عمر؟" قال: لا ، ولكن لي سنة في قضاء المسلمين ولم يأت إلي أحد. لماذا لم يأت إلى القاضي أحد خلال سنة كاملة ؟ لأنه مجتمع مؤمن ، يحترم بعضه بعضاً ، يؤدي كل واحد منهم حقوق الآخرين ، ولا يبخس منها شيئاً ، مجتمع طاهر نقي تقي ، كل يخشى ربه ، ويخاف خالقه ، مجتمع أسلم بكامله لله عز وجل ، أوكل أمره إلى الله ، مجتمع لا يعتدي فيه أحد على أحد ، كل فرد منه يعرف ماله وما عليه ، لأجل ذلك استقال عمر رضي الله عنه من القضاء سنة كاملة لا يأتيه شخصان يختصمان ، زمن فاضل ، وأناس فضلاء. أما اليوم ومع كثرة القضاة ، إلا أن المحاكم لا زالت بحاجة ماسة وملحة إلى أضعافٍ مضاعفة من قضاة اليوم).هـ. ولما أعجبتني قصة الخراساني الجميلة ، أوردتُ هذه القصة تعبيراً حياً عنه!)

64 - اتركوني مع القوافي

(اعتاد سُفهاء القوم أن يُعايروه لأنه شاعر. فوجد في نفسه ، وتذكر كيف كان أهل الجاهلية يصنعون ، عندما يولد فيهم شاعر. إذ كانوا ينحرون الجُزُر ، ويُوَلمون الولائم ، ويشربون الخمور ، وتعزف لهم القينات حتى الصباح ، فرحة واحتراماً لهذا الشاعر الجديد الوليد. وقارنتُ هذا بحال أهل الجاهلية الحاضرة من الإهانات والاحتقار للشاعر. فأنشدت أحكي على لسان هذا الشاعر هذه القصيدة إذ آثر أن يظل مع قصائده وقوافي شعره ، حتى يأنس بها ويجد العزاء والسلوان الذي افتقده في بني آدم. وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السُبكي: (كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت أخسأ كلب بن كلب فزجرني الوالد من داخل البيت فقلت أليس هو كلب بن كلب قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت هذه فائدة). عن عبد الله بن الزبير مع معاوية بن أبي سفيان في الحلم وحُسن العِشرة وطيب الأُخوة. إنه كان لعبد الله بن الزبير مزرعة بمكة بجوار مزرعة معاوية وكان عمال معاوية يدخلونها فكتب ابن الزبير لمعاوية خطاباً كتب فيه (من عبد الله بن الزبير ابن ذات النطاقين وابن حواري الرسول صلى الله عليه وسلم إلى معاوية بن هند بنت أكلت الأكباد أن عمالك يدخلون مزرعتي فإن لم تنههم ليكونن بيني وبينك شأن والسلام). فلما وصل الخطاب لمعاوية كتب له خطاباً ذكر فيه: (من معاوية بن هند بنت أكلت الأكباد إلى أبن الزبير أبن ذات النطاقين وابن حواري الرسول صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا لي فسألتها لأعطيتكها ولكن إذا وصلك خطابي هذا فضُم مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك فهي لك والسلام)! فلما قرأها بلها بالدموع وركب من مكة إلى معاوية في الشام وقبّل رأسه وقال له لا أعدمك الله عقلاً أنزلك هذه المنزلة. عموماً الشاعر الحق الذي يجند شعره في الدفاع عن الإسلام لا يهمه النيل منه!)

65 - ارجعي إلى حقل الدعوة

(كانت داعية نحريرة. ولما سافرت إلى زوجها في دولة أخرى ، ركنتْ إلى سَعة العيش ورغده. فابتليت بقسوة القلب ، وغِلظ الطبع وخشونة السلوك وجفوة التصرف. ومضى قيام الليل ، ونُسي القرآن وتبخترتِ الأحاديث ، وتوقف صيام النافلة ، وصيم الشهر بالكاد ، وتلاشت عن الأولاد الآداب الشرعية الأصيلة ، وانحسر الحجاب ، فلم يعد يستوعب الجسم كله ، كما كان قبل السفر. وإذا بسُعدى تتبدل من النعمة إلى السلب ، ومن الرشاد إلى الغي. وابتليت بعد ذلك بمشقة التكاليف عليها ، فصارت تفعل الواجبات والفرائض بالكاد ، أما النوافل فقد تركتها في معظمها. فرحتُ أعتب على (سُعدى) الداعية ، التي اهتدى على يديها بعض الأخوات الداعيات. فكيف بها تنتكس إلى هذا الحد؟ وهل الحضارة الزائفة والمدنية المنحلة تفتن مسلمة عادية واعية ، فضلاً عن داعية عالمة عن دينها وكتابها وسنة نبيها – صلى الله عليه وسلم – إلى هذا الحد؟! ورحتُ أطلب إليها أن تعود إلى حقل الدعوة. هامساً في أذنها أن ما هي فيه اليوم كبوة لجواد ثم يستأنف الجري ، أو هفوة لعالم ثم يُصحح المَسار!)

66 - اتركوني مع من أحببتُ في الله!

(لبعض الخلافات البسيطة يصر أهل تلك الزوجة على أن يُطلِقوها من زوجها. وكأنهم يوم قبلوه لها زوجاً كانوا قد استكثروها عليه. وكأنهم يضمنون لها زواجاً مباركاً ميموناً عند غيره إذا هي طلقت من الأول! وتعددت محاولاتهم الخبيثة الماكرة في محاولة اقتناص الفرص والإيقاع بين الرجل وأهله والتخبيب الرخيص المكشوف الدنيء. وأعدوا للأمر عدته ، وراحوا يمكرون ، ويُشْهرون سيوفهم ، وكأنها الهيجاء التي يحرزون فيها النصر على الأعداء. وكلٌ يدلي فيها بدلوه. إلى أن حسمت أمرها بنفسها هذه الزوجة الحكيمة المشترية لزوجها ولبيتها ولنفسها ولأولادها ولكرامتها وأنسها وراحتها. وأيقنت أنها المؤامرة والمساومة على العقيدة ، والرهان على هدم هذه الأسرة المنكوبة بلا مبرر! فقالت واثقة من نصر الله سبحانه وتعالى - لها ، ثقة هاجر زوج الخليل إبراهيم – عليه السلام – يوم تركها وولدها الرضيع إسماعيل – عليه وعلى أبيه الصلاة والسلام – في واد غير ذي زرع عند بيته المحرم ، فقالت هاجر – رضي الله عنها -: لمن تتركنا يا إبراهيم؟ آالله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. فردتْ: إذن اذهب فلن يُضيّعنا الله. وثقة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – عندما نزل الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – فأقسمتْ بالله تهدئ من رَوْعه تقول: (والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتكسب الكل وتعين على نوائب الدهر!) وثقة امرأة جليبيب الصحابي الجليل عندما جلت عن أبويها وهي الفتاة الأنصارية ذات الحسب والنسب والجاه والغنى ، يوم رفضه زوجاً لها أبواها لأنه كان عبداً وقصيراً ودميماً وفقيراً! فقالت في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: ما هذا يا أبتاه ما هذا يا أماه أوتردان على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمره؟ لقد قبلتُ زواجه امتثالاً لأمر نبي الله – صلى الله عليه وسلم -! فحييتُ تلك الزوجة التي خطط أهلها لتطليقها من زوجها لخلافات بينهما! وبدلاً من أن يسعوا للصلح والوفاق سعوا للشقاق والطلاق! فأبت تلك الزوجة وفوَّتت عليهمُ الفرصة ، وأفشلتْ كل محاولاتهمُ الدنيئة ، مؤثرة رضاه كزوج على رضا أهلها ، آمرة بالحق وصادعة به ، قائلة لهم: اتركوني مع رجل أحببته وتزوجته وارتبطت به في الله ورسوله! واعتزت بتقواها زاهدة في

الدنيا وزخرفها متمسكة بزوجها! قال الشافعي: من لم تُعِزَّهُ التقوى فلا عِز له. وقال المناوي في كتابه فيض القدير ج4/ص290: "ينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهدها وقد حث الأئمة على أن لا يدنس العلم بالأطماع ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه. فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل ولا يبالي بفوتها فإنه أعلم الناس بخِستها وقلة غنائها).هـ

67 - اتسع الخرقُ على الراقع!

(الشاعر المؤمن يشقى في هذا الزمان إن هو أراد أن يعالج جراح الواقع. ذلك أن هذه الجراح أصبحت أكثر من أن تعد أو تحصى. ويكاد يصدق فيها مجتمعة قول الشاعر الحكيم:-

ولـــو أنـــه ســـهم واحـــدٌ لاتقيتـــهُ ولكنـــه ســـهمٌ وثـــان وثالـــثُ!

ومن هنا صدقتِ المقولة: (اتسع الخرق على الراقع) ، فلم يعد الراقع للثوب يستطيع ترقيعه لاتساع الخرق! ولربما استطاع الشعراء في الماضي أن يشيروا إلى واقعةٍ في زمانهم لأنها كانت الواحدة. ولكن عندما تزداد الطوام والمحن ، وتحتاج كل واحدة منها قصيدة فأين هو الوقت؟ وأين هو الجهد؟ وأين هي المشاعر؟ وأين هي الأحاسيس؟ وأين هي العواطف التي القاسم المشترك بينها واحد وهو الحزنُ والأسى لما نحن فيه ولما آلت إليه أحوال أمتنا؟! وإذن فالشاعر المؤمن الصادق جندي في هذه المعركة التي يُدلي كل من الناس فيها بدلوه! ولكنه متصور منه أن يبين الحق ، وينصر أهله ، ويشخص الواقع مهما كلفه ذلك البيان والانتصار! إن شعراء التدشين والمجاملات لا يكفون عن دجلهم وهرائهم طرفة عين! ومن هنا فينبغي على الشاعر الصادق أن يُفاضل بين القضايا ويختار أهمها ليقصّد فيه ، ولا يردد كلام سواه!)

68 - أحاجي العراف

(قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مررتُ أنا وبعض أصحابي في زمن التتار ، بقوم منهم يشربون الخمر ، فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له: إنما حرّم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبى الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم.... والأمر في هذه القضية واضح جداً ومحسوم للغاية ، والعرافة والسكْر صنوان لعملة واحدة! فكلاهما يهدف إلى تغييب العقل وتعطيل دوره. ولئن كان ابن تيمية اجتهد فأجاز ترك نهي التتار عن منكرهم الذي هو شرب الخمر ، لأنهم إن أفاقوا سفكوا الدماء وقتلوا ونهبوا ، فليس الأمر هكذا أبدا مع العرافين والمشعوذين! فهؤلاء ينبغي فضح باطلهم وكشف عقائدهم الفاسدة! والدليل ما روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج - النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من أتى عرافاً فساله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً). وفي معرض إجابة سؤال عن حكم عرافة تقرأ الفنجان وتدعي علم الغيب قالت اللجنة الدائمة ما نصه: (لا شك أن الكهانة والسحر والتنجيم من أعظم المنكرات ، ومن الإفساد

في الأرض وأذية المسلمين بغير حق. واختلف العلماء رحمهم الله تعالى: هل يكفر الكاهن ويخرج من الملة ، أم أنه كفر دون كفر ، واستدل من قالوا بأنه يكفر بما رواه الإمام أحمد في مسنده أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد). صححه الألباني. ولأن هذا ادعاء لعلم الغيب ، ومن ادعى أنه يعلم الغيب فقد كفر ، والله تعالى يقول: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ). ويقول: (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ). والنصيحة لهذه المرأة التي تقوم بهذا العمل أن تتركه وتبتعد عنه وتتوب إلى الله تعالى ، إذ هذا الفعل من الكبائر الموبقات ، وأن تتقي الله في أذية المسلمين بهذا العمل الشنيع ، والله تعالى يقول: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً). فعليها أن تتوب من هذا العمل ، وعليها أن لا يستجريها الشيطان في حبائله حتى يوقعها في الجحيم والعياذ بالله. قال النووي رحمه الله: "قال البغوي من أصحابنا والقاضي عياض: أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن ، لأنه عوض عن محرّم ولأنه أكل المال بالباطل").هـ. ومن هذا المنطلق أكتب قصيدتي. حيث إن أحد العرافين الدجاجلة استمر يلعب بتصورات الناس وعقائدهم. وذات يوم قرر ذلك العراف أن يترك هذه المهنة لأخرى شريفة. ذلك أن ضميره بات يؤنبه كثيراً بعد أن علم أن ما يفعله كبيرة تستوجب له النار إن لاقى ربه عليها. ثم راح يأتيه هاتف نفسي وجداني ضميري قلبي يقول: إن عِلم الناس وتصوراتهم وعقائدهم أمانة لن يجد جواباً يوم يُسال عنها أمام الله يوم القيامة ، فإذا به بعد قراره هذا الذي شرع في تنفيذه يكتشف أن رواده أصبحوا يفوقونه في درجة العرافة والدجل والشعوذة والنصب والتحايل. فحزن حزناً شديداً ، فرُحتُ أتحدث إليه أن يستمر قدماً ولا يعود ، وأن عليه أن يصحح اعتقاده حتى ينتفع بذلك ولا عليه من عَرافة الناس!)

69 ـ احتسبتك عند الله يا أبي

(كثيراً ما دعا الأبُ ابنه إلى الحق والخير. وظل الابنُ على عناده ولجاجه إلى أن أخذتِ الأبَ غيبوبة مات فيها. ولم يعد هناك من يأمر أو ينهى أو ينكر أو ينتقد أو يلوم أو يؤاخذ أو يدعو. فقال الابن وقد عاد إلى صوابه وأفاء إلى رشده وانتبه من غفلته: احتسبتك عند الله يا أبي. فكتبتُ موصياً كل فتىً بأبيه. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في بيان ما ينبغي للوالدين من حقوق أكثر من أن تعد وتحصى كثرة! ويكفي أن الأب وإن كان كافراً مُشركاً لا يدين دين الحق فقد كفى ابنه مؤنة جواب السؤال: (مَن أبوك؟) وإذن فالأب وهو كافرٌ نعمة لابنه! فما بالنا إن كان مؤمنا؟! قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: (رضا الرَّبِّ في رضا الوالدِ ، وسخطُ الرَّبِّ في سخطِ الوالدِ). وقال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: (رغِم أنفُ رجُلٍ ذُكِرْتُ عندَه فلَمْ يُصَلِّ علَيَّ ، ورغِم أنفُ رجُلٍ أدرَك أبوَيْهِ عندَ الكِبَرِ فلَمْ يُدخِلاه الجنَّةَ ، ورغِم أنفُ رجُلٍ دخَل عليه شهرُ رمضانَ ثمَّ انسلَخ قبْلَ أنْ يُغفَرَ له). وجاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقال: (يا رسولَ اللهِ ، ما الكبائرُ؟ قال الإشراكُ باللهِ ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ عقوقُ الوالدَينِ ، قال: ثمّ ماذا؟ قال: اليمينُ الغموسُ ، قلتُ: وما اليمينُ الغموسُ؟ قال: الذي يقتطعُ مالَ امرئٍ مسلمٍ ، هو فيها كاذبٌ). عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ثلاثُ دعَواتٍ مُستَجاباتٌ لا شَكَّ فيهِنَّ دَعوةُ الوالِدِ ، ودَعوَةُ المسافِرِ ، ودعوَةُ المَظلومِ). وفي جريدة (المدينة) الصادرة يوم الجمعة 13 / 08 / 2010 ، كان استطلاع يبين مدى ما وصل إليه أغلب أبناء هذا الزمان من

العقوق وتحت عنوان (تمرد الأبناء على الآباء عقوق بدايته تأفف ونهايته الندم) ومن استطلاع الأستاذ إبراهيم الرحيمي ، نقتطف منه بعض الورود : (لقد فطر الإنسان على احترام والديه وتقديرهما والعناية بهما ، وجاء القرآن الكريم الذي عني بإتمام مكارم الأخلاق ليركِّز على هذه القيم فأمر المسلم بتقدير والديه وطاعتهما ، حتى لو كانا غير مسلمين ، ونهى عن عقوق الوالدين وأمر ببرهما ووصلهما. لكن المشاهد للواقع المحلي ينفطر قلبه جراء ما يشاهده بعينيه من تفشي مظاهر العقوق في المجتمع بصورة ملحوظة ، فما هي أسباب هذه الظاهرة؟ وما هي أسباب العلاج؟ الرسالة وضعت هذه الأسئلة على طاولة بعض المهتمين فأفادوا بالتالي: * الدلال الزائد:- بداية يوضح المستشار الأسري الشيخ غازي الشمري أن تمرد الأبناء على الآباء ظاهرة موجودة في مجتمعاتنا منذ القدم ، وقال: هناك كلمة جميلة للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز قال فيها: (الهداية من الله والتربية من الآباء)! ونحن الآن في زمان فتن! زمان قلّ فيه الاحترام والتقدير ، وعندما أوصى الله الأبناء بالآباء خيراً ، فإن ذلك كان لعلمه أنهم قد يتجاهلون آباءهم. أما الآباء فإن فطرة الرحمة موجودة في قلوبهم. وأضاف الشمري قائلاً: من واقع عملي كمستشار في التكافل الأسري في المنطقة الشرقية ، فقد جاء بعض الآباء يشتكون من أبنائهم ، فأحدهم يقول إن ابنه كسر له قدمه ، وضربه ضرباً مبرّحاً ، لأنه لم ينفذ له بعض رغباته! وبالتالي أرى أن أسباب هذا التمرد تعود إلى التدليل الزائد من الآباء للأبناء ، كما أن هناك نقطة مهمة جداً وحساسة في هذه القضية وهي عدم توفير الصداقة الصالحة للأبناء ، إضافة إلى إهمال الأبناء وعدم أخذهم إلى مجالس الكبار ، ولو جلس هؤلاء الشباب مع الكبار لاستفادوا فائدة عظيمة ، وتعلموا منهم لان (المجالس مدارس) كما يقولون. وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: كان والدي يأخذني إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان فيه أبو بكر وعثمان وعلي وكبار الصحابة. ويواصل الشمري بالقول: أفرد الإمام البخاري رضي الله تعالى عنه باباً في أخذ الصغار إلى مجالس الكبار! وهنالك أمر آخر وهو إعطاء الأبناء الثقة والاحترام والتقدير والحب والحنان! هذه الأسباب بإذن الله عز وجل مع الدعاء لهم كفيلة بأن تساهم في صلاحهم ، ولا بد لي من التذكير بقوله صلى الله عليه وسلم: "برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم". فإذا رأى الأبناء أن الأب يبر أباه بالكلمة والاحترام والتقدير ، وبالدعاء والصدقة إن كان ميتاً ، فإن هذا ينعكس في نفوسهم فيتأثرون به).هـ. * ومن صور العقوق:- من جانب آخر يصف الدكتور يوسف الأحمد تمرد الأبناء على الآباء بأنه عقوق قائلاً: (لا شك أن عقوق الوالدين من أعظم الذنوب عند الله ، وكثير من الناس يظنون أن عقوق الوالدين هو الضرب والصراخ عليهما ورميهما في ملجأ أو في دار العجزة ، ونحو ذلك من الصور التي تذكر في بعض وسائل الإعلام وتذكر في القصص وهذا التصور وإن كان صحيحاً في جزئية منه ، إلا أن صور العقوق كثيرة ومتعددة ، فمجرد أن يقول الابن لوالده أف أو يُبدي تضجره ، فهذا من أنواع العقوق التي نهى عنها الله تعالى بقوله: "فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما"! و(أف) هي أقل درجات الانزعاج وإظهار الضجر ، فقد يأمر الأب ابنه بشيء فيغير الابن نبرة كلامه ويظهر انزعاجه مما أمره به والده أو والدته فتكون (أف) أو نحوها من تغيير نبرة الصوت أو رفعه أو عبوس الوجه الذي يدل على عدم رضاء الابن برأي أبيه وغيره من الطرق التي مآلها إلى هذا المعنى الذي ذكره الله جل وعلا في كتابه العزيز واعتبره من المحرمات ، وهو من صور العقوق والعياذ بالله).هـ. وأوضح الدكتور الأحمد أن الشرع يأمر بإظهار البر والإحسان للوالدين ، وقال:

(العقوق من أكبر الكبائر في الإسلام واعتبره الشرع من السبع الموبقات ، وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله علية وسلم قال: (لا يدخل الجنة قاطع) وأعلى درجات قطيعة الرحم هي قطيعة الوالدين لأن البعض قد يهجر والديه أو تكون العلاقة بينهما فيها نوع من الهجر بين الأب وابنه. قال تعالى: "وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا").هـ. واختتم الأحمد بالقول: (دعاء الآباء للأبناء من أهم أسباب صلاحهم وقد أمرنا الشرع في مثل هذه الحالات بالالتجاء إلى الله في إصلاح الأبناء لأن الإنسان قد يتعب في تربية ابنه ويبذل جهد ورغم ذلك يكون مصيره الفشل والانحراف ، قال تعالى: "والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما").هـ. * العادات الوافدة:- من جانبه يقول الأستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية الدكتور حسين بن هادي العواجي: (المتأمل في أحوال الأبناء مع آبائهم في وقتنا الحاضر يري عجباً وأصبح عقوق الأبناء للوالدين ظاهرة منتشرة بشكل كبير خاصة في مرحلة المراهقة حيث غاب في كثير من منازلنا احترام الأبناء للآباء وعدم إعارة اهتمام لغضبهما أو رضاهما ومع تدفق الثقافات والعادات الوافدة ازدادت معاناة الآباء من ظاهرة التمرد التي تعني الرفض والعصيان وعدم الالتزام بأوامر الآباء. فمن الأبناء من يسيء الأدب مع والديه إما بالتصرف الخاطئ أو النظرة الحادة أو العقوق الظاهر والبعض يهجر والديه بالكلام والبعد عنهم ، وهناك أبناء يصرخون في وجوه آبائهم ، وهناك من يضرب والديه ، بل وصل الأمر إلى أقصى درجات العقوق وذلك بأن يقتل الابن أباه أو أمه).هـ. * أسباب وعلاج:- وأوضح العواجي أسباب عقوق الأبناء في عدة عوامل بقوله: (هناك أسباب كثيرة منها أسلوب التربية الخاطئ منذ الطفولة ، والشدة المتناهية على الأبناء أو الدلال الزائد ، وممارسة بعض الآباء للدكتاتورية والتسلط في التعامل مع الأبناء ومصادرة آرائهم وإرادتهم والتشديد عليهم. ومنها كذلك غياب الحوار الأسري بين الآباء والأبناء. وكذلك ثقة بعض الآباء العمياء من الآباء لأبنائهم وعدم مراقبتهم ومتابعتهم ، وعدم التركيز على معرفة أصدقاء الأبناء ورفقائهم الذين يكون لهم دور كبير جداً في تشكيل فكر الأبناء مما ينعكس سلباً على أخلاقهم وتصرفاتهم. وكذلك كثرة نشوب المشاكل الأسرية بين الزوجين أمام الأبناء وانتشار ظاهرة العنف لدى بعض الأسر ضد أبنائها والتفكك الأسري بسبب الطلاق وغياب الأب عن المنزل لفترات طويلة أو انشغاله بالأسفار. ولا ننسى أخيراً أثر المسلسلات الأجنبية والفضائيات التي لها دور كبير في انتشار ظاهرة العقوق وزرع بذور التمرد في الأبناء. والتربية السليمة للطفل تبدأ باختيار الزوجة الصالحة التي تربي أبناءها على الأخلاق الفاضلة. ووجود قدوة حسنة في محيط الطفل الأسري يتبادل معه الآراء. وأن تكون العلاقة بين الأبناء والآباء مبنية على الصراحة والوضوح منذ الصغر وإعطاء الأبناء فرصة للاعتماد على أنفسهم).هـ. والحقيقة أنني انفعلتُ بالاستطلاع والموقف فكتبتُ قصتي هذي!)

70 - احتسبتُكَ عند اللهِ يا خالد!

(علمتُ بوفاة أحد أحبابي في الله ورسوله والإسلام ، فذهبتُ فرداً لأشيّعه ، فأدركتُ التغسيل والتكفين في داره. ولمّا خرجتِ الجنازة من الدار متجهة إلى المسجد للصلاة عليها سمعتُ زوجته تقول: (احتسبتك عند الله يا خالد). فتحركتْ في نفسي قشعريرة الشعر ، وأنشدتُ هذي القصيدة التي جعلتُ كلمات هذه الزوجة الفاضلة المؤمنة عنواناً لها. تلك المرأة التي ما لطمت خداً ولا شقت جيباً ولا دعت بدعوى الجاهلية. ولمّا وجدتُ ثباتها ومَضاءها وصبرها

واختلاط دموع احتسابها بدعائها الفذ العذب الجميل ، هزني هذا كله مقارنة بما كنتُ أجد من بعض النسوة في مثل هذي المواقف من اللطم والصياح والعويل ودعوى الجاهلية واليأس والقنوط. ولقد روى مسلم من حديث أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطِران ودرعٌ من جرب). وروى مسلم كذلك من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً ، فإن ملائكته يؤمنون على تقولون). فلما مات أبو سلمة قالت: اغفر له وأعقبني عُقبى صالحة. قالت: فأعقبني الله تعالى رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم ـ). يقول الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}. والأحاديث ـ عن فضل من مات صفيه واحتسب ـ كثيرة ومتعددة ، نذكر منها على سبيل المثال: – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال للولدان يوم القيامة: ادخلوا الجنة ، فيقولون: يا رب حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا ، فيأتون ، فيقول الله عز وجل: ما لي أراهم محبنطئين ، ادخلوا الجنة ، فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا ، فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم». [حديث حسن]. – وعن أبي أمامة – رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «يقول الله سبحانه: ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى ، لم أرض ثوبًا دون الجنة». [حديث حسن]. – وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة». [حديث صحيح]. – وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي! فيقولون: نعم ، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده! فيقولون: نعم ، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة ، وسمّوه بيت الحمد». [حسنه الألباني]. ألا إن الصبر عند الصدمة الأولى كما أثِر عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ. ألا جزا الله خيراً هذه الأخت الصالحة التي احتسبتْ زوجها عند الله ، والتزمتْ أدب الإسلام وخلقه! ولنتابع قراءة هذه القصيدة من المتقارب وعلى القافية الذالية النادرة. ولكن حُباً وكرامة في هذا الميت الحي الحبيب: (خالد الحدّاد) الذي كم كانت علاقته بي حميمة وأصيلة إذ هي في الله. ولا أزكيه على الله ، والله حسيبه.)

70 - أحُدٌ جبلٌ يُحبنا ونُحبه!

(محظوظ جبل أحُد يحب الرسول ويحبه الرسول – صلى الله عليه وسلم ـ! وكلنا يذكر الموقف الذي اهتز فيه أحُد وناشده الرسول الثبات قائلاً: اثبت أحد فإن عليك نبياً وصديقاً وشهيدين! ويستجيب أحُد! لم تقف الدلائل والمعجزات النبويّة مع الجمادات عند حدود النطق والكلام والحركة ، بل امتدّت لتشمل الحب والشوق ، والمشاعر والأحاسيس (على حد تعبير إسلام ويب – صفحتي الإليكترونية الحبيبة المفضلة) ، وأضافت ، لقد سمع الجبل كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأطاعه ، وأحبه واشتاق إليه ، إنها دلائل ومعجزات مع الجمادات التي لا روح فيها ، أعطاها الله لنبيه وحبيبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، تأييداً لدعوته ، وإعلاءً لقدره الأمر الذي ترك أثره في النفوس ، ولفت انتباه أصحابه نحو دعوته التي جاء بها ، وأثبت لهم أنها

دعوة صادقة مؤيدة من الله تعالى. عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (خرجت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى خيبر أخدمه ، فلمّا قدِم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ راجعاً وبدا له أُحُد قال: هذا جبل يحبّنا) رواه البخاري. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن أُحُداً جبل يحبنا ونحبه) رواه مسلم. وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: (صعد النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أُحُد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم ، فضربه برجله قال: اثبت أحد ، فما عليك إلّا نبيّ ، أو صدّيق ، أو شهيدان) رواه البخاري. وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة ، منها: (ـ حب وشوق الجماد للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إن كان عجيباً أن يحب النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما فيه روح مما لا يعقل ، كالشجر الذي كان يعرفه ويسلم عليه ، وجذع النخلة الذي اشتاق إليه ، وبكي لفراقه ، فالأعجب حقّا ، أن يحب النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما ليس فيه روح ولا عقل ، شيء إن نظرتَ إليه ظننتَ أنه لا جماد ، ولا يسمع ولا يرى ، ولكنه في الحقيقة يسمع ويعقل ، بل يشتاق ويحب ، إنه جبل أحد الذي أحب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسمع كلامه (اثبت أحد) ، وأطاع أمره فسكن وثبت. وقد رجح ابن حجر أن حب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأحد ، وحب أحد له هو على حقيقته ، فقد قال في كتابه فتح الباري: "الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره ، وقد خاطبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخاطبة من يعقل ، فقال لما اضطرب: (اسكن أحد)". وقال السهيلي: " كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب الفأل الحسن والاسم الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية ، قال: ومع كونه مشتقاً من الأحدية فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه ، فتعلق الحب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ به لفظا ومعنى". وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم: "الصحيح المختار أن معناه أن أحداً يحبنا حقيقة ، جعل الله فيه تمييزاً يحب به ، كما قال: سبحانه وتعالى: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}. ـ الكلام مع الجماد: أعطى الله ـ عز وجل ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ القدرة على مخاطبة الجمادات ولو أنها لا تعقل كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما كان لتوجيه الكلام لها من معنى ، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخاطباً جبل أحد: (اثبت أحد). قال ابن حجر: "فضربه برجله وقال: (اثبت) بلفظ الأمر من الثبات وهو الاستقرار ، وأحد: مُنادَى ، ونداؤه وخطابه يحتمل المجاز ، وحمله على الحقيقة أولى". ـ شعور وفرح: لقد فرِح جبل أحُد حتى إنه ارتجف (فرجف بهم) ، وما يكون الرجف إلا هيبة وفرحاً واستبشاراً ، ولا يتصوّر عِظم هذا الأمر إلا من رأى هذا الجبل الضخم الشامخ ، فيتخيل كيف اهتز واضطرب لصعود النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه .. ومن ثم تظهر كذلك قدرة الله ـ عز وجل ـ الذي جعل في الجماد الأصم إحساساً يحب به ، وجعل له إدراكاً يشعر ويعرف من يقف عليه فيضطرب لذلك. حُبٌ ومعجزة: وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إن أُحُدا جبل يحبنا ونحبه) بيان عظيم لحبّ الله ـ عز وجل ـ لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذ ألقى في الجمادات حبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وفي قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (فما عليك إلّا نبيّ ، أو صدّيق ، أو شهيدان) معجزة ظاهرة ، وهو إخباره أن عمر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ سينالان الشهادة في سبيل الله ـ تعالى ـ ، وقد وقع الأمر كما قال وأخبر ـ صلى الله عليه وسلم ـ. نحن أولى بحبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إذا كان جبل أحد يحب النبي ـ صلى الله عليه ـ وسلم حبّا على سبيل الحقيقة لا المجاز ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يُبْعَثْ إليه ، وليس له عليه مِنَّة ظاهرة ، كمِنَّته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على جميع الأمة ، فكيف يجب أن يكون حبنا للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والذي شملتنا منّته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كل وجه ، كما أن من السُنَّة أن نحب جبل أحد لحب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياه.)

71 - أحسنتَ وبارك الله فيك

(في جريدة البلاد العدد: (9021) قصة مؤثرة أعدّها للنشر الأستاذ عبد العزيز الحمدان. تحكي عن شاب ذهب إلى الخارج ، تعلم وحصل على شهادات عالية ، ثم رجع إلى البلاد ، وتزوّج من فتاةٍ غنيةٍ جميلةٍ كانت سبباً في تعاسته لولا عناية الله. يقول هذا الشاب: مات والدي وأنا صغير فأشرفتْ أمي على رعايتي ، فعملتْ خادمة في البيوت حتى تستطيع أن تصرف علي ، فقد كنتُ وحيدها ، أدخلتني المدرسة ، وتعلمتُ حتى أنهيت الدراسة الجامعية. كنت باراً بها ، وجاءت بَعْثتي إلى الخارج فودعتني أمي ، والدموعُ تملأ عينيها وهي تقول لي: انتبه يا ولدي على نفسك ، ولا تقطعني من أخبارك ، أرسل لي رسائل حتى أطمئن علي صحتك. أكملتُ تعليمي بعد مُضِي زمن طويل ، ورجعتُ شخصاً آخر قد أثرتْ فيه الحضارة الغربية ، رأيت في الدين تخلفاً ورجعية ، وأصبحتُ لا أؤمنُ إلا بالحياة المادية - والعياذ بالله -. وحصلت على وظيفة عالية ، وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلتُ عليها ، كانت والدتي قد اختارت لي فتاة متديّنة محافظة ، ولكني أبيت إلا تلك الفتاة الغنية الجميلة ، لأني كنت أحلم بالحياة (الأرستقراطية) كما يقولون. وخلال ستة أشهر من زواجي كانت زوجي تكيد لأمي حتى كرهتُ والدتي ، وفي يوم من الأيام دخلت البيت ، وإذا بزوجي تبكي ، فسألتها عن السبب ، فقالت لي بجِّدة: اسمع ، إما أنا وإما أمك في هذا البيت ، لا أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك. وجُن جُنوني ، وطردتُ أمي من البيت في لحظة غضب ، فخرجتْ وهي تبكي ، وتقول: أسعدك الله يا ولدي. وبعد ذلك بساعات خرجتُ أبحث عنها ، ولكن بلا فائدة ، رجعت إلى البيت ، واستطاعت زوجتي بمكرها وجهلي أن تنسيني تلك الأم الغالية الفاضلة. انقطعت أخبار أمي عني فترة من الزمن أصبتُ خلالها بمرض خبيث ، دخلتُ على إثره المستشفى! وعلمت أمي بالخبر فجاءت تزورني ، وكانت زوجتي عندي ، وقبل أن تدخل عليّ طردتها زوجتي وقالت لها: ابنك ليس هنا ، ماذا تريدين منا؟ اذهبي عنا ، فرجعتْ أمي من حيث أتت! وخرجتُ من المستشفى بعد وقت طويل انتكستْ فيه حالتي النفسية ، وفقدتُ الوظيفة والبيت ، وتراكمتْ عليّ الديون. وكل ذلك بسبب زوجتي ، فقد كانت ترهقني بطلباتها الكثيرة ، وفي آخر المطاف ردت زوجتي الجميل ، وقالت: مادمت قد فقدت وظيفتك ومالك ، ولم يعد لك مكان في المجتمع ، فإني أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك ، طلقني. كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعتْ على رأسي ، وطلقتها بالفعل ، فاستيقظتُ من السُبات الذي كنت فيه. خرجت أهيمُ على وجهي أبحث عن أمي ، وفي النهاية وجدتها ولكن أين وجدتها؟! كانت تقبع في أحد الأربطة تأكل من صدقات المحسنين. دخلتُ عليها وجدتها وقد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة ، وما إن رأيتها حتى ألقيت بنفسي عند رجليها ، وبكيت بكاء مُراً ، فما كان منها إلا أن شاركتني البكاء. بقينا على هذه الحالة حوالي ساعة كاملة ، بعدها أخذتها إلى البيت وآليت على نفسي أن أكون طائعاً لها ، وقبل ذلك أكون متبعاً لأوامر الله ومجتنباً لنواهيه. وها أنا الآن أعيش أحلى أيامي وأجملها مع حبيبة العمر: أمي – حفظها الله – وأسأل الله أن يديم علينا الستر والعافية.اهـ. ولما قرأت هذه القصة دمعت عيناي طويلاً. إنه ولا شك ظلمٌ كبير من الزوجة أن تستطيل في حق أم زوجها! وكان الأحرى بالابن هنا أن يعطي كل ذي حق حقه ، فلا يقبل استطالة زوجته في حق أمه ولا العكس! لأنه إن فعل فسيكون ظالماً. قال الله - تعالى -: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً} ، وقال تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}. وفي صحيح مسلم: قال رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم -: «كلُّ المسلِم على المسلِم حرام: عِرضه ومالُه ودمه ،

التَّقْوى هاهُنا ، بِحسب امرئٍ من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم». وقال ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ: «سِباب المسلِم فُسوقٌ وقتالهُ كُفْر». متَّفق عليه. وفي الصَّحيحَين عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ: «المسلِم أخو المسلِم ، لا يظلِمُه ولا يسلِمُه ، ولا يخذُلُه ولا يحقرُه». متَّفق عليه. والحقيقة أن هذه القصة دامية مؤسفة! وإنْ كنتُ لأحمد الله تعالى لهذا الشاب أن الله أراد به الخير حيث تدارك أمره ، وعاد إلى ما كان عليه من البر بأمه وعسى أن يجد في قصته عِبرة كل عاق لأمه! وكلما طالعتها انهمرت الدموع من عيني ودعوت لذلك الابن بخير. وأكبرتُ ما فعله!)

72 ـ أحمد الجدَع مؤرّخاً وشاعراً ونحوياً

(بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواني الشعراء الإسلاميين الذين أرّخ لي ولهم ولشعري ولشعرهم ولدواويني ودواوينهم ، وقدمني وقدمهم للناس أجمعين ، الأستاذ أحمد عبد اللطيف الجدع ، وذلك في معجمه الموسوم بـ (معجم الشعراء الإسلاميين المعاصرين) ، أسجل هذه الترجمة الأدبية لشاعرنا ونحويّنا ومؤرّخنا الجدع ، داعياً الله العلي القدير أن يدّخر له ذلك المجهود الجبّار في ميزان حسناته يوم يلقى الله. وكنا نجد في مكتبتنا العربية معاجم كثيرة للشعراء الإسلاميين وغير الإسلاميين! واعتدنا على مطالعة تراجم الشعراء هؤلاء وأولئك ، ولكن (معاصرون) لم تكن تكتب على الغلاف ، خاصة للإسلاميين منهم! حتى كان معجم الجدع ذلك السفر الجليل الذي أكمل الثغرة! ولمّا ذكَرني من بينهم في معجمه في مجلده الأول ص 125 ، كان لزاماً عليّ أن أرد هذه التحية التاريخية بأخرى شعرية ، وبرغم أنها تجاوزت التسعين بيتاً من الكامل ، ولكنني لازلتُ أشعر أنني مدينٌ بالفضل والامتنان للأستاذ الشاعر المؤرّخ أحمد الجدع! وانطلاقاً من قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا)! (فليشملني إذن قول الله تعالى: (أو ردّوها) ، وإن كنتُ أطمع في قوله سبحانه: (بأحسن منها)! وفي حوار أجراه "محمد صالح حمزة" مع الأديب الفلسطيني أحمد الجدع ، عن موقع (رابطة أدباء الشام) على الإنترنت: الأستاذ أحمد الجدع الذي قدّم للمكتبة العربية ألواناً من العطاء شملت الأدب والفكر والتراجم واللغة. وأبرزها الجهد الذي تميّز بطيف واسع من المعرفة ، ويمثّل كنزاً ذهبياً من المعلومات العامة ، والذي لا غنى لأيّ مكتبة عنه وهو "قاموسك الثّقافي". لقد عرف أحباب وإخوان أستاذنا الجدع دأبه الشّديد على التأليف: فمعظم أوقاته موقوف إما على التأليف وإما على تشييد وإغناء مكتبته العامرة التي تنشر ضياءها العلمي بصورة لافتة وهي "دار الضّياء للنشر والتوزيع". ولعلّ استقامته في عمله وخلقه ، وتواضعه الذي ينفذ إلى القلوب كانت من أبرز عُدّته في النّجاح الذي يسجّله باستمرار ودأب. طفنا معه في رحلة نجاحاته. واغترفنا من بحرها الزّاخر. فكانت هذه الحصيلة المباركة. * هل لكم أن تقدّموا للقراء بطاقتكم الشّخصيّة ، دراستكم الشّهادة التي نلتموها؟ أنا أحمد عبد اللطيف الجدع ، ولدتُ في مدينة جنين ، إحدى مدن شمال فلسطين عام 1941م ، وفي مدارسها درستُ حتّى نلتُ شهادة الدّراسة الثانوية الأردنية (المترك) وذلك عام 1958م ، وفي كلية النّجاح الوطنية بنابلس درستُ الثانوية العامّة على النّظام المصري (التوجيهية) عام 1959م ، وفي عام 1970م حصلتُ على الشّهادة الجامعيّة الأولى الليسانس في اللغة العربية ، في جامعة بيروت العربية ، وفي عام 1977م حصلتُ على دبلوم عام في التربية وعلم النّفس من جامعة قطر ، وفي عام 1982م حصلتُ على دبلوم خاص في التربية وعلم النّفس من جامعة قطر أيضاً. * لو أعطيتنا نبذة عن مجالات العمل السابقة وعملكم الحالي!

عملتُ في مجال التّدريس في مدارس جنين لمدّة سنتين ، وفي مدارس مدينة الطّائف بالسّعودية لمدة ثلاث سنوات ، وفي مدارس قطر لمدّة ثلاثين عاماً. وأعمل مديراً لدار الضياء للنشر والتوزيع في عمّان. * ما أبرز إنتاجاتكم الأدبية والفكريّة؟ ألّفتُ العديد من الكتب في مجال الأدب العربي الإسلامي ، كما ألّفتُ عدداً من الكتب في مجال الدّعوة الإسلامية ، وأخرى في مجال التراجم. ففي مجال الأدب العربي الإسلامي ألّفتُ الكتب التالية: 1 ـ شعراء الدّعوة الإسلامية في العصر الحديث في عشرة أجزاء بالاشتراك مع الأخ الأديب حسني جرّار. 2 ـ أناشيد الدّعوة الإسلامية في أربعة أجزاء بالاشتراك مع الأخ حسني جرّار. 3 ـ أجمل مائة قصيدة في الشّعر الإسلامي المعاصر، من المُقرّر أن يصدر في أربعة أجزاء ، صدر الجزء الأول منه ، ويضمّ خمساً وعشرين قصيدة. 4- دواوين الشّعر الإسلامي المعاصر ـ دراسة وتوثيق. 5- المطارحات الشّعرية: قوانينها ومعجمها الشّعري. 6- شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية. 7- شعراء العرب المعاصرون ، صدر منه أحد عشر جزءاً. 8- فلسطين في فكر سيد قطب وأدبه. وفي مجال الإسلاميّات: 1- ألقاب الصّحابة: مصادرها وقصصها وأهدافها. 2- فدائيّون من عصر الرّسول. 3- والله يعصمك من النّاس. 4- صحابيات ومواقف. 5- نساء حول الرّسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ. 6- صراعنا مع اليهود: من أين وإلى أين. وفي مجال التّراجم: 1- أبو سفيان بن حرب: من الجاهلية إلى الإسلام. 2- أحمد ديدات: حياته ، نشاطه ، مناظراته. وفي مجال المعرفة العامّة: صدر كتابي: قاموسك الثّقافي: الكنز الذّهبي في المعلومات العامّة ، صدر منه حتّى الآن خمسة عشر جزءاً. كما اشتركتُ في تأليف كُتب قواعد اللغة العربية لدولة قطر. أمّا عن الكتب المخطوطة والتي في طريقها إلى الطّباعة إن شاء الله فهي: 1- النّحو القريب في قواعد اللغة العربية- مرحلة التّأسيس. 2- معلّقات الشّعر النسائيّة ، وهي عشر قصائد لعشر شواعر من شواعر العرب في العصر الجاهلي هي في نظري أجمل القصائد النسائيّة ، لذا شبّهتها بالمعلّقات ، وقد شرحتها شرحاً وافياً. 3- ألقاب الصّحابيات ، ويضمّ أكثر من خمسين لقباً لصحابيّات الرّسول صلى الله عليه وسلم ـ مع مناسباتها ولمحات عن حياة أصحابها. 4- الخروج من جحر الضّب ، ديوان شعر. ونشرتُ مقالات كثيرة في عدد من الصّحف والمجلاّت أهمّها المجتمع الكويتيّة والأمان اللبنانية في عهدها القديم ، وعندما انصرفتُ إلى تأليف الكتب تركتُ الكتابة في الصّحف. 4 ـ الإنتاج الذي تعتزّون به أكثر من غيره. ولماذا؟ إنتاج المؤلّف جزء منه ، عزيز عليه ، فالمؤلّف لا يُقدّم إنتاجه للقارئ إلاّ إذا كان هذا الإنتاج في رأيه جيّداً وذا فائدة. وعلى الرّغم من تفاوت حظّ مؤلّفاتي في الانتشار ـ والقبول لدى القرّاء ، إلاّ أن هناك كتاباً ـ هو أقلّها انتشاراً ـ له في نفسي تقدير خاص ، ذلك لأنّه ـ في نظري ـ وحيد في بابه ، وله قيمة علمية كبيرة ذلك هو: دواوين الشعر الإسلامي المعاصر: دراسة وتوثيق فقد وثّقت فيه مائة ديوان وديوان من دواوين الشعر الإسلامي المعاصر في عام 1984م ، في الوقت الذي لم يكن أحد يتحدّث عن الشّعر الإسلامي ودواوينه ، فكان لهذا الكتاب وقعه الحسن لدى الدّوائر الأكاديمية والعلمية فقط! أما لدى الأفراد فكان انتشاره محدوداً. 5- الآمال التي عزمتم على تحقيقها ، ماذا تحقّق منها ، وما الذي لم يتحقّق بعد؟ الآمال والطّموحات كثيرة وكبيرة. وهي دائماً أكثر وأكبر من الأعمار. كثير من مؤلفاتي كانت آمالاً وأصبحت حقيقة. وكثير من المشاريع في مجال التأليف لا زالت آمالاً ، وأسعى لتحقيقها ، وأسأل الله أن يُحقّقها على يديّ. وأهم هذه الآمال التي أتمنّى أن أُحقّقها قبل حلول الأجل إن شاء الله: معجم المعارك الإسلامية ، وهو عمل جليل وكبير ومتشعّب يحتاج إلى جهد ووقت ومال. أسأل الله أن يُيسّرها ويُعين عليها. 6 ـ السّاحة تعجّ بأدعياء الأدب ورافعي راية الحداثة ، كيف تنظرون إلى هذا الواقع ، وماذا تقولون لهؤلاء؟ أدعياء الأدب كُثر ليس في عصرنا هذا ، بل في كلّ عصر ، فليس عصرنا بدعاً من العصور في هذا المجال فكِبار الشّعراء والأدباء في العصور الأدبية العربية كلّها شكوا من هذه الظّاهرة. ولأنّ الزّبد – دائماً

ـ يذهب ويتلاشى ولا يبقى إلاّ ما ينفع ويفيد ، فإنّ كل أدعياء الأدب ذهبوا وتلاشوا ، ولم يبق إلاّ هؤلاء الذين قدّموا النافع والمفيد ، وعصرنا هذا لا يختلف عن سائر العصور. أمّا عن الحداثة بالمعنى الذي أفهمه ، وهو تفاعل الأديب مع عصره ، فهو مطلوب ، ونحرص عليه ، وندعو له ولا يكون الأديب أديباً في نظري إلاّ إذا كان حداثيّاً بهذا المفهوم. أما الحداثة بمعنى تنحية القيم الإسلامية وإحلال القيم المستوردة محلّها ، فهذا لا يقبل به عاقل ، فإذا وجدنا عاقلاً يقبل به ويدعو إليه ، فلا نشكّ عندئذٍ أنه مدخول الفكر ، مأجور لغير أمّته. وإلاّ فماذا نكون إذا حملنا فكر غيرنا وتغنّينا بأمجاد أعدائنا ، وأنشدنا أشعار قاتلينا؟ الواقع الأدبي في عالمنا العربي في تغيّر مستمر إلى الأفضل ، والأدب الإسلامي يتقدّم بثبات وثقة رغمّ كل ما يعترضه من عقبات ، وأدعياء الأدب والحداثة في تراجع مستمر رغم ما يُلاقونه من تأييد على أوسع مدى ، فالأدب الإسلامي أدب الواقع والحداثة وأدب السّمو والرّفيع وأدب التّراث المجيد ، والواقع الأليم ، والمستقبل المشرق ، إن شاء الله. وأنا أشدّ على أيدي أولئك الذي يُجاهدون بالكلمة النّظيفة الهادفة ، وأقول لأولئك الذين انساقوا وراء التّيار المعادي لأمّتهم: رويدكم وراجعوا أنفسكم ، انضمّوا إلى صفوف شعوبكم وانصروا عقيدتكم. هذا هو الخلود الأبدي. أما التّلميع المصطنع والدّعايات الزّائفة فهي إلى زوال. وقريباً تنكشف الأغطية وتزول الأصباغ. 7 ـ أعداء الإسلام يتّهمون الإسلاميين باحتكار الحقيقة ، وبالتالي نفي الآخر. كيف تردّون على هذه الفِرية ، وما هو حكم الإسلام تجاه الرّأي الآخر؟ بالرّغم من اعتقادنا بأنّ الإسلام هو الحقيقة الكبرى ، إلاّ أن الإسلام هو العقيدة الوحيدة التي أبت أن تحتكر التّفكير ، فأعلنت في محكم التّنزيل: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ، وليس هناك من دليل أقوى وأظهر من وجود أتباع للدّيانات المختلفة في بلاد المسلمين على مرّ العصور ، بل إنّ الفِرَقَ المختلفة لها وجود في كلّ بلد إسلامي ، وكان بإمكان الدّول الإسلامية في أوج عظمتها أن تتخلّص من هؤلاء وهؤلاء دون اعتراض من أحد ، ولكنّها لم تفعل لأنّ احتكار التّفكير ليس من طبيعة الإسلام. والإسلاميون المعاصرون وهم حملة الفكر الإسلامي الأصيل لا يخرجون في تفكيرهم وتعاملهم مع الآخرين عن هذا الإطار ، وأسمحُ لنفسي أن أذهب بعيداً فأقول بأنّ من مصلحة أبناء الدّيانات الأخرى أن يحكم الإسلاميون ، ذلك لأنّهم الوحيدون الذين سوف يُتيحون لهم حرية التّدين الأصيل ، ولستُ مبالغاً إذا قلتُ بأنّ انحراف أتباع الدّيانات عن دياناتهم لم يستفحل إلاّ عندما حكمت الدّول الغربية بلاد المسلمين. وعندما حكم أتباع الأفكار التي سادت عالمنا الإسلامي في هذا القرن احتكروا هم الحقيقة. بل احتكروا كلّ شيء ، وقد ساموا الإسلاميين من سوء العذاب ما لا ينكره أحد ، وقد علّقوا على أعواد المشانق خيرة المفكّرين المسلمين. وهذا لا يحتاج منّي إلى برهان. وعندما يرفع الآخرون عقيرتهم ويتّهمون الإسلاميين باحتكار الحقيقة ، فإنّهم يُسقطون ذلك على غيرهم إسقاطاً نفسيّاً ، فيخشون أن يعاملهم الإسلاميون إذا ما استلموا زمام الأمور كما عاملوهم. وأنا أُطمئن هؤلاء فأقول لهم: إنّ ذلك لن يحدث ، وفي التاريخ شواهد ، فما ساد المسلمون في وقت من الأوقات ، أو في مكان من الأمكنة ، إلاّ ونشروا فيه حرية الفكر وعدالة الحكم والمساواة بين الشّعوب. 8 ـ الأمة العربية والإسلامية تمرّ بمرحلة غاية في الدّقة والخطورة. كيف تنظرون إلى ذلك؟ وما هو الداء في رأيكم؟ وما هو الدّواء؟ بدأت الانتكاسة الكبرى في حياة الأمّة الإسلامية المعاصرة بسقوط الدولة العثمانية وتشرذم الأمة إلى دويلات لا حول لها ولا طول ، وكان من نتيجة هذا السّقوط تمكّن الدّول الاستعمارية من شعوب المسلمين. ومما ساعدهم على هذا التّمكن الجهل المطبق بالإسلام وأحكامه وأهدافه لدى عامّة المسلمين وخاصّتهم. وعندما ظهر المصلحون الذين يُنادون بالعودة إلى الجذور والتّمسّك بالإسلام لاقوا من شعوبهم قبل حكّامهم عداءً وحرباً ، وذلك بسبب ما أشرنا إليه من جهل بهذا الدّين. ومما زاد هذا السّقوط استشراءً انجراف شعوبنا خلف الدّعوات القادمة من الغرب ظنّاً منهم أنّها المنقذ من الضّلال. وبسبب من الجهود الهائلة التي

بذلها الدّعاة إلى الله ، وبسبب من النّكبات التي أنزلها أصحاب الدّعوات المستوردة بالبلاد والعباد ، ولقد بدأ النّاس يفيقون من نومهم ، ويأرزون إلى دينهم ، ونحن على يقين بأن المدّ الإسلامي في تزايد ونمو. ولا بدّ للمدّ أن يبلغ مداه. 9 ـ ماذا يجول في الخاطر وتودّون أن تقولوه للقارئ؟ أقول للذين عرفوا الطّريق وساروا فيه: استمرّوا ، فسوف تصلون إلى المبتغى! وإن لم تصلوا اليوم فسوف تصلون غداً. وإن لم تصلوا أنتم فسوف يصل أبناؤكم أو أحفادكم. النّصر آتٍ وقريب ، ودولة الإسلام الكبرى ليست ما مضى وإنما هي ما سوف يأتي ، وقد بشّرتْ بذلك آيات الكتاب الكريم وأحاديث رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم ـ. ويُبشّر بذلك واقع الأعداء اليوم. فهو واقع مظلم شديد الظّلام ، ويُبشّر بذلك طلائع الزّحف الإسلامي القادم كالسّيل المنهمر. وإن غداً لناظره قريب. وأقول لأولئك الذين تأخروا عن الانضمام للركب السائر في طريق الحقيقة: انزعوا عن أنفسكم ثياب التّردّد ، وانضمّوا إلى الرّكب. ركب النّجاح والفلاح. وأقول لأولئك الذي يُعلنون عداءهم ويسرّونه: لن ينفعكم كيدكم شيئاً مهما عظم ، ولن يفيدكم عداؤكم شيئاً مهما طال ، فمدّنا يزحف ، والعميان لا تراه).هـ. وأما في موقع (أدباء الشام) فكانت هذه الباقة المستقاة من الموقع: (الأديب والشاعر والمؤرخ والنحوي أحمد عبد اللطيف الجدع: متزوج منذ عام 1972م وله من البنين ثلاثة: حسان ومحمد وأنس ، ومن البنات اثنتان: أمامة ودانة. له عشرات المقالات في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية العربية. ومن أبرز إنتاجاته الأدبية والفكرية: (تاريخ القبائل العربية وأنسابها ـ تاريخ باهلة وغني وأنسابها ـ تاريخ تميم وأنسابها ـ تاريخ ثقيف وأنسابها ـ تاريخ حنيفة وأنسابها ـ تاريخ خزاعة وأنسابها ـ تاريخ ذبيان وأنسابها ـ تاريخ عبد القيس وأنسابها ـ تاريخ عبس وأنسابها ـ تاريخ غطفان وأنسابها ـ تاريخ قريش وأنسابها ـ تاريخ مازن وسليم وأنسابها ـ تاريخ هذيل وأنسابها ـ تاريخ هوازن وأنسابها ـ نسب أسد بن خزيمة ـ نسب الأنصار: الأوس والخزرج ـ نسب الأنصار: أنساب الأنصاريات ـ نسب قريش: أنساب القرشيات ـ نسب قريش: قبائل قريش العشر التي توارثت الشرف بمكة ـ نسب قريش: قريش البطاح وقريش الظواهر وما تفرق من قريش في القبائل ـ نسب كنانة). وفي مجال الأدب العربي الإسلامي: (أجمل مائة قصيدة في الشعر الإسلامي المعاصر ـ أشهر القصائد العربية المعاصرة: قصائد لها تاريخ ـ نوادر القصائد العربية ـ دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر ـ الأمالي في الشعر العربي المعاصر ـ الأمالي في الشعر العربي الجاهلي ـ معلقات الشعر في عصر النبوة ـ اعتذاريات الشعراء للرسول صلى الله عليه وسلم ـ المعلقات النسائية: أشهر قصائد النساء في الشعر العربي ـ دواوين الشعر الإسلامي المعاصر: دراسة وتوثيق ـ المطارحات الشعرية: قوانينها ومعجمها الشعري ـ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث (في طبعته القديمة) ـ شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث – شعراء بلاد الشام ـ أناشيد الدعوة الإسلامية ـ فلسطين في فكر سيد قطب وأدبه ـ معجم دواوين الشعر العربي المعاصر). وأما دواوين الشعر: (الخروج من جحر الضب ـ العودة من حيث المبتدأ). وفي مجال النحو العربي: (قواعد النحو العربي مرحلة التأسيس ـ قواعد النحو العربي المرحلة الأولى ـ قواعد النحو العربي المرحلة الثانية). وفي مجال الإسلاميات: (أولاد الرسول وأحفاده وأرباؤه ـ معاني أسماء الصحابة ـ صحابيات ومواقف ـ مصارع الصحابة ـ ألقاب الصحابيات ـ نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ صراعنا مع اليهود: من أين وإلى أين ـ فدائيون من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ والله يعصمك من الناس: وهو عرض تاريخي أدبي لمحاولات اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ألقاب الصحابة: مصادرها وقصصها وأهدافها ـ مجموعة خطب مفتي جنين الشيخ توفيق محمود جرار في الجامع الكبير جامع السيدة فاطمة خاتون ـ معاني أسماء الصحابيات). وفي مجال التراجم: (معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين ـ شعراء معاصرون من الخليج

والجزيرة العربية ـ أحمد ديدات: حياته ، نشاطه ، مناظراته ـ شعراء العرب المعاصرون: إبراهيم العريض شاعر من البحرين ـ شعراء العرب المعاصرون: أحمد مشاري العدواني شاعر من الكويت ـ شعراء العرب المعاصرون: بدر شاكر السياب شاعر من العراق ـ شعراء العرب المعاصرون: حسن عبد الله القرشي شاعر من الحجاز ـ شعراء العرب المعاصرون: سعيد عبد الهادي تيم من شعراء الوطنية في فلسطين ـ شعراء العرب المعاصرون: صقر بن سلطان القاسمي شاعر من الإمارات ـ شعراء العرب المعاصرون: عبد الرحمن بن قاسم المعاودة شاعر من قطر ـ شعراء العرب المعاصرون: عبد الله بن علي الخليلي شاعر من عُمان ـ شعراء العرب المعاصرون: علي أحمد باكثير شاعر من حضرموت ـ شعراء العرب المعاصرون: محمد محمود الزبيري (أبو الأحرار) شاعر من اليمن ـ شعراء العرب المعاصرون: يوسف العظم شاعر الأقصى ـ أبو سفيان بن حرب من الجاهلية إلى الإسلام ـ أدباء وعلماء عرفتهم). وفي مجال القصص: (الكنز الذي قتل صاحبه). وفي مجال المعرفة العامة: (قاموسك الثقافي الكنز الذهبي في المعلومات العامة). ووالله إن الدافع من وراء هذه القصيدة الحولية المعلقة هو الأخوة في الله! وإلا فلا أحساب بيننا ولا أنساب! وتحت عنوان: (الأخوة في الله) يقول الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله ما نصه: (لقد آخَى النبي صلى الله عليه وسلم بين أهل مكة من المهاجرين ، وبين أهل المدينة من الأنصار ، في مهرجانِ حُبٍ لم تعرف البشرية له مثيلاً ، تصافحت فيه القلوب قبل الأيدي ، وامتزجت فيه الأرواح ، حتى جَسَّدَ هذا الإخاءُ مَشاهِدَ متعددة ، ومنها هذا المشهدُ الرائعُ المشرق ، الذي جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم علينا عبد الرحمان بنُ عوف رضي الله عنه ، وآخى النبيُ صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان كثير المال ، فقال سعْد بن الربيع: قد علمتِ الأنصارُ أني من أكثرها مالاً ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين! ولي امرأتان فانظر أعجبَهُما إليك فأطلقها حتى إذا انتهت عدتها تزوجتها ، فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك ، ولكن دلني على السوق ، فدله عليه ، فذهب فلم يرجع يومئذ حتى باع واشترى وأفضل شيئاً مِن سَمْنٍ وأقطٍ ، فلم يلبث إلا أياماً يسيرة حتى جاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه وَضَرٌ مِن صفرة ، أي ثوب عليه أثرُ الطعام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَهْيَمْ: أيْ: ما الخبر يا ابن عوف؟ قال تزوجت امرأة من الأنصار ، قال ما سقتَ فيها؟ قال وزنُ نواةٍ من ذهب ، أو نواةٌ من ذهب ، فقال: أوْلِم ولو بشاةٍ ، أي اصنع وليمة. ولقد نتحسر الآن على زمن سعد بن الربيع ونقول: أين سعدُ بنُ الربيعِ الذي شاطر أخاه ماله وزوجه؟ والجواب: ضاع وذهب يومَ أنْ ذهب عبد الرحمن بن عوف ، فإذْ كان السؤال: مَن الذي يُعطي عطاءَ سعد: فإن الجواب هو أن نقول: وأين الآن مَن يتعفف بعفة عبد الرحمن بن عرف؟ لقد ذهب رجل إلى أحد السلف الصالح فقال له: أين الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ، فقال له: ذهبوا مع مَن لا يسألون الناس إلحافاً ، هذا مشهد من مشاهد الإخاء الحقيقي ، وهذا لا ينافي أن الخير باق في الأمة. تلكم هي الأخوة الصادقة ، وتلكم هي حقيقتها ، فإن الاخوة في الله لا تُبنى إلا على أواصر العقيدة الصحيحة ، وأواصر الإيمان النقي المثمر ، وأواصر الحب في الله ، تلكم الأواصر التي لا تنفك عراها أبداً ، تلكم الأواصر التي تثمر الحب والوئام بين أفراد الأمة الإسلامية كلها ، بحيث يكون كل فرد فعالاً ومعيناً ومحباً لأهله وإخوانه ووطنه ، ممتثلاً في ذلك قولَ رسول الله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، وقول الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة). إن الأخوة في الله نعمة من الله وفضل ، وفيض من الله يُغدقها على المؤمنين الصادقين! الأخوة شراب طهور يَسقيه الله للمؤمنين الأصفياءِ والأذكياءِ والأتقياءِ ، لذا فإن الأخوة في الله قرينة الإيمان ، لا تنفك عنه ولا ينفك عنها ، فإن وَجدتَّ الأخوة من غير الايمان فاعلم يقينا أنها التقاءُ مصالح وتبادل منافع ، وإن رأيت إيماناً بدون أخوة صادقة فاعلم يقيناً أنه ناقص ، يحتاج صاحبه إلى دواءٍ وعلاج

لمرض فيه ، لذا جمع الله بين الإيمان والأخوة في آية جامعة ، فقال سبحانه: إنما المؤمنون إخوة ، إن الأخوة في الله نعمة امتن الله بها على المسلمين الأوائل ، فقال سبحانه وتعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تتفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) ، وقال سبحانه وتعالى: (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله آلف بينهم ، إنه عزيز حكيم) ، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (لا يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها ، والذي صلح به أولها هو: الإيمان والاتحاد والأخوة) ، فإلى الأخوة الإسلامية من جديد حتى نتحد ، حتى نتعاون ، حتى ننتصر ، حتى نسعد في الدارين ، ويرضى عنا ربنا سبحانه وتعالى).هـ. وأما عن الكتب والدراسات التي كتبت عنه: (أحمد الجدع وجهوده في خدمة الشعر الإسلامي المعاصر: حسين صديق حكمي - المثقاف في النقد الأدبي: وفيه تحليل وتعليل وتذليل وتأصيل لقصيدته "الدخول في جحر الضب": الدكتور عودة الله منيع القيسي. أقيم له حفل تكريم في مقر رابطة الأدب الإسلامي العالمية – فرع الأردن بتاريخ 2002/4/16م. وكانت مصادرنا في الحصول على هذه المعلومات: رابطة أدباء الشام. شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث – شعراء بلاد الشام – المجلد الثالث. معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين – المجلد الأول. خاص مؤسسة القدس للثقافة والتراث. رحم الله شاعرنا ومؤرخنا ونحوينا وناقدنا الأستاذ أحمد الجدع!)

73- أحمد قَبّش لُغويُّ العصر

(قام ذلك اللغوي العملاق ، ولا أزكي على الله أحداً بتأليف (المعجم الفيصل) ، والذي هو عبارة عن غربلة جّدّ حذرة على تعبيره ، للقاموس المحيط والجاسوس على القاموس والمنجد والصحاح ومتن اللغة والوسيط ، فكان معجزة في غاية الإبداع والجمال. ومن هنا رُحت أطلق عليه (لغوي العصر) وأنشدت من شعري هذه القصيدة للمعجم الفيصل ولمؤلفه. وفي حديث للمستشرق ماسينون عام 1949 تحدث عن تركيب اللغات المختلفة ، فأوضح أن العربية تفضل العبرية والسريانية لقدرتها على الجمع بين خصائص السامية ، والميزات الخاصة التي تتمثل في سعة مدارجها الصوتية من أقصى الحلق إلى ما بعد الشفتين مما أدى إلى انسجام صوتي مع توازن وثبات بالإضافة إلى الرابطة القوية بين ألفاظها ، ولكل صوت من اللغة العربية صفة ومخرج وإيحاء ودلالة ومعنى داخل وإشعاع وصدى وإيقاع. وهذا واصل بن عطاء الذي لم يكن يحسن النطق بالراء فألقى خطبة بكاملها بدون أن يلجأ إلى الكلمات التي تحتوي على حرف الراء ، وقد أدى وجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية إلى عصمة الخطباء والكتاب من التكرار مثال ذلك قول معاوية: (من لم يكن من بين عبد المطلب جواداً فهو دخيل ، ومن لم يكن من بني الزبير شجاعا فهو لزيق ، ومن لم يكن من ولد المغيرة تيّاها فهو سنيد). فلم يكرر كلمة دخيل واستعاض عنها بكلمتين مترادفتين. وللغة العربية طريقة عجيبة في التوليد جعلت آخر هذه اللغة متصلاً بأولها في نسيج ملتحم من غير أن تذهب معالمها بعكس اللغات الأوروبية ، ففي اللغة العربية نشتق المكتبة (اسم المكان) من الكتاب والكتابة بينما لا علاقة بين (book) التي تعني كتاب في اللغة الإنجليزية وبين (library) التي تعني مكتبة). وتحت عنوان: (أهمية المعاجم في حفظ اللغة وتطويرها) نفحنا الأستاذ الكاتب الكبير: (الحسين بشوظ) بقوله: (قلَّ أن تجد اليومَ كاتباً أو محرراً صحفياً أو باحثاً يستعمل المعاجم في التحضير لكتاباتِه أو إعدادِ بحوثِه ، سواءً المعاجم العامة (معاجم المعاني/ المرادفات) أو المتخصصة (معاجم

المصطلحات العلمية والتقنية) ، وأصبحت الكتابة والتحريرُ والتأليفُ بما اتفق للكاتب من رصيدٍ مُعجميّ ، هي السِّمة الغالبة لدى كثير من المتعاطين للكتابة في العالَم العربي. هذه الحالة السلبية ؛ خلقتْ انحصاراً وتراجعاً كبيراً للغة العربية ، بسبب موت واندثار معجم كبير جداً من الألفاظ والكلمات والمصطلحات العربية الفصيحة ؛ جراء عدم توظيفِها واستعمالِها ، واكتفاء الكُتَّاب ؛ خاصة في مجال الصحافة بما اكتسبوه من زادٍ مُعجمي متواضع ؛ يتم تداوُلُه باستمرار؛ وتدويرُه في كلِّ مقالٍ جديد ، مع تغذيتِه ببعض النُّتَفِ المعجمية المُكتسَبة من القراءة. فانمازَتْ بذلك الصحافة العربية بلُغتِها الهشة والتقريرية الخالية من جمالية البلاغة والصّنعة والإتقان ، وزاد من ضُعفِها وَوَهَنِها ؛ تجرؤُ غيرُ المتخصصين وغيرُ المتمكنين على هذا الميدان الذي صار مُستباحا من القاصي والداني ، فأصبح كلُّ من يستطيع تكوينَ جُملة مفيدةٍ صحفياً له صوت ومنبر ، وأوجدتْ هذه الحالة اللاصحية ؛ جيلا كاملاً من المتطفلين على الصحافة ، يتغذى بعضُهم على أخطاءِ بعض ، والضحية الأكبر هي اللغة العربية ومُعجمِها اللغوي الفصيح. في سبعينيات القرن الماضي (ق20) إلى بداية التسعينيات ؛ كان للمعجم وللقواميس اللغوية بشكل عام اعتبارٌ خاص ، حيث عرفتْ هذه الفترة أوجَ استعمال وتداول المعجم ، بل وكانت أزهى فتراتِه وأكثرِها إشعاعاً ، فأَنْ تمتلِكَ المعجمَ يومَها ؛ يعني أنك إنسانٌ محظوظ ، وكانت المؤسسات الأكثر حظاً ؛ تتوفر على مُعجمين أو ثلاثة فقط، يتداولُهُما التلاميذ والطلبة بمواعيدِ إعارة محددة وصارمة ، وكان الطلبة يستغلون فترة الإعارة ليحفظوا عن ظهْر قلب مفرداتِ هذه المعاجم ؛ سواء منها العربية أو الأجنبية ، ولمن عاش هذه المرحلة الزاهية ؛ سيتذكر جيداً أن المعجم كان جنباً إلى جنب مع المصحف الكريم في البيت ، وكان يَستعمله أفرادُ الأسرة والضيوف أيضاً ؛ ولو بإلقاء نظرةٍ على الصور والرسوم التي يحتوي عليها الكتاب ، أما المعاجم المتخصصة فكانت عُملةً غالية ونادرة جداً ؛ قَلَّمَا يُصادفُها الطالب أو الباحث. وكانت هذه المعاجم عبارةً عن كُتب ثقيلة وضخمة ، ثم تحديثها بطباعة معاجم (الجيب) ، وكانت وقتَها بمثابة الهاتف المحمول اليوم ، وموضة تلك الأيام التي لا غنى للطالب عنها. وكان مردود ثقافة المعاجم في تلك الحقبة طيباً وإيجابياً ؛ حيث كانت الأفواج التي تتخرج من الجامعات ؛ ذاتُ تكوين جيدٍ جداً ؛ وذات مستوى تعليمي وثقافيٍّ ومعرفي عالٍ ، خصوصاً في اللغة العربية وفي اللغات الأجنبية الأخرى ، فتقوتْ اللغة العربية على وجه الخصوص ، ودخلت كثيرٌ من المفردات العربية المهجورة للاستعمال ، وكانت الصحافة يومَها رائدةَ هذا التطوير ، فقد كانت صحافةً قوية من حيث اللغة والأسلوب والمضمون ، وكانت المقالات التي تُنشر في الصحف العربية يومَها ؛ أقرب إلى بحوث منها إلى مقالات عادية. كما كانت اللغة العربية سواء في البرامج الإذاعية أو التلفزية ؛ لغة قوية وفصيحة وسليمة وأخَّاذة ، بخلاف ما هو عليه الحال اليوم مِن تدنٍ وتراجع وانكماش وفقر في الاكتساب والاستعمال).هـ). حفظ الله الأستاذ قبش وضاعف له الأجر على معجمه الفيصل وباقي كتبه الجميلة العذبة!)

74 - أخ النمرود من الرضاعة

(لقد كان النمرود بن كنعان بن كُوش ملكاً غبياً متغطرساً كفاراً أثيماً. ذلك أنه حاج إبراهيم – عليه الصلاة والسلام - في ربه. وكانت المناظرة بينه وبين إبراهيم عاتية ، وانتصر إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – انتصاراً ساحقاً! ولمَّا انتصر الحق بُهت النمرود. والقصة بتمامها في الآية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). أما أخ النمرود من

الرضاعة والذي هو موضوع قصيدتنا مع فارق الزمان والمكان فهو أحد مُدراء المدارس الأغبياء المتغطرسين الذين يُسرفون على أنفسهم في ظلم من تحت أيديهم! ذلك المتغطرس قد غرّه حلم الله تعالى عليه قال يوماً كما قال النمرود ، وزعم لنفسه كما زعم النمرود لنفسه ، وتخبط كما تخبط! وذلك عندما تحدّى معلميه ، وراح يتحكم في كل شيء في المدرسة ، ابتداء من القشة يلتقطها الكناس من الأرض ليُلقيها في سلة القمامة ، إلى لباس المعلم وكلامه وسلامه وطعامه وشرابه وراتبه. وذات يوم قال: سوف أجعل الرواتب حسب الجهد المبذول ، وعلى ذلك فسيكون هناك تفاوت في تقدير الرواتب. فقال أحد المعلمين: إذن يكون هناك حزازات بين المعلمين. وقال ثان: هذا أمر ليس عليه أي مدير مدرسة! وقال ثالث: الأصل توحيد الرواتب وتجعل علاوات تشجيعية أو دورية للمتميزين! وتفرّدت سكرتيرته العاقلة بالنصح بالإقلاع عن هذا! فقال أخ النمرود: إن الله جعل الجنة درجات ، وأنا سوف أجعل الرواتب درجات! فقلت: وما يفترق هذا عن قول النمرود: (أنا أحيي وأميت)؟ فكانت مماثلة دقيقة ، حيث جعل المدير المتغطرس نفسه في موازنة بالله رب العالمين! وتعالى الله ربي عن ذلك! ومن صحيح كلام النبي – صلى الله عليه وسلم -: عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان" ، فقال له رجل: يا رسول الله ، قد قسم لي من الجمال ما ترى ، وإنه يعجبني أن يكون ثوبي حسناً ، ونعلي حسنة ، أفمن الكبر ذلك؟ قال: لا ، إن ذلك ليس بالكبر ، إن الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس. وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن من أحبكم إلي ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون" ، فقالوا: يا رسول الله ، قد علمنا الثرثارون ، والمتشدقون ، فما المتفيهقون؟ قال: "المتكبرون". وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قال الله - عز وجل -: العز إزاري وفي رواية: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني بشيء منهما عذبته. وفي رواية: فمن نازعني واحداً منهما ، قذفته في النار. إنها العجرفة النمرودية - التي أدى إليها الاغترار بالمنصب وحِلم الله – وكل نمرود سيلقى ما لقيه النمرود الأول!)

75 - اختلاف بين فريقين

(فريقان راحا يُقيِّمان أحد المسلمين. كلٌّ منهما يراه بتصوره. فأهل الدنيا يقولون: سفيه لم يُبق من ماله لولده شيئاً. وأهل الدين يقولون: حكيم زمانه ، وادّخر لمن يعول طاعة ربه وتدينه وعمل الصالحات. فكان اختلافاً كبيراً بينهما. والحقيقة الناصعة التي ينبغي الإيمان بها أن أي جدال يجب أن ينطلق من منطلقات وأساسيات وقواعد وأسس ، أما أن يتهم كل إنسان الآخرين بدون دليل وبلا حجة وبلا برهان ، فإن هذه مزايدة ممقوتة مكشوفة ليس إلا. ثم إنني أسأل: لماذا لم ينشغل كل من الفريقين بعيوب أفراده وكم هي كثيرة؟! طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الآخرين. في محاضرة عنوانها: (أدب الاختلاف) يقول الشيخ /عبد الله بن بيه ما نصه: (قال عليه الصلاة والسلام: {وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً}. وهو اختلاف انتشر في الأمة أفقياً وعمودياً في كل الفئات وعلى مختلف المستويات. تعددت أسبابه وتنوعت ألوانه واستعلمت فيه كل

الوسائل من تكفير وتفسيق وتبديع وتشويه وتسفيه وما شئت من مصدر على وزن تفعيل. واستعمل فيه الخصوم كل أدوات الدفاع والهجوم وضاقت بالحياد فيه الأرض بما رحبت فالكل متهم والكل براء وأعجز داء الأمة الدواء فحضر الشهود إلا شاهد العقل واستحضرت الحجج إلا حجة الإنصاف (وما أبرئ نفسي). يقول العلامة ابن القيم: (فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى الالتباس والتحري وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة) (الصواعق المرسلة). كيف نجعل اختلافنا من هذا النوع الذي أشار إليه ابن القيم؟ الاختلاف هو التباين في الرأي والمغايرة في الطرح وقد ورد فعل الاختلاف كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى:{فاختلف الأحزاب من بينهم} ، وقال تعالى: {يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} ، وقال تعالى: {وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات} وقال تعالى:{وما اختلفتم فيه من شيء...}. والاختلاف قد يوحي بشيء من التكامل والتناغم كما في قوله تعالى: {فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها}. وأما الخلاف فإنه لا يوحي بذلك ، وينصب الاختلاف غالباً على الرأي ، اختلف فلان مع فلان في كذا ، والخلاف ينصب على الشخص. ثم إن الاختلاف لا يدل على القطيعة بل قد يدل على بداية الحوار. فإن ابن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف بل أتم معه وقال: الخلاف شر. قد يدل الخلاف على القطيعة. وهناك كلمات قوية في دلالتها على اشتداد الخلاف كالنزاع والشقاق وهو الوقوف في شق أي في جانب يقابل ويضاد الجانب الآخر. والاختلاف ظاهرة لا يمكن تحاشيها باعتبارها مظهراً من مظاهر الإرادة التي ركبت في الإنسان إذ الإرادة بالضرورة يؤديان إلى وقوع الاختلاف والتفاوت في الرأي. وقد انتبه لذلك العلامة ابن القيم عندما يقول: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بغضهم على بغض وعدوانه" (إعلام الموقعين). فإن الشقاق يمكن تفاديه بالحوار الذي من شأنه أن يقدم البدائل العديدة لتجنب مأزق الاصطدام في زاوية الشقاق).هـ. وإذا كان بيت أمرئ من زجاج ، فلماذا يتحمق ويتهور ويرجم بيوت الآخرين بالحجارة؟ إن كل إنسان لو تتبع عيوب نفسه التي هو بلا شك يعرف بعضها ، فحاول إصلاح ذاته بتقويم الاعوجاج المتمثل في تلك العيوب لكان خيراً له. وعموماً أهل الدنيا وعبيدها فريق سفيه ينظر أصحابه تحت أقدامهم: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم). وأهل الآخرة حكماء أذكياء ينظرون في المآلات والعواقب: (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً). وينبغي تمحيص وتدقيق الأخبار قبل تصديقها وإشاعتها بين الناس! وذلك كي لا يسود الاختلاف بينهم ، وكي لا تدب روح الفرقة بينهم. إن مما أمرنا به رب البرية أن لا نتعجل في قبول كل خبر يُنقل! بل لا بد علينا أن نتبين و نتثبت ونتحلى بالرويَّة! خاصة فيما ينقله من هو على غير استقامة! ولا طريقة مرضية! لما قد يترتب على قبول ونقل ما سمعناه منه! من مفاسد عظيمة وأخطار جسيمة ، قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). يقول الشيخ السعدي – رحمه الله -: "من الآداب التي على أولي الألباب ، التأدب بها واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجردًا ، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا ، ووقوعًا في الإثم ، فإن خبره إذا جُعل بمنزلة خبر الصادق العدل حكم بموجب ذلك ومقتضاه فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة". ولا يمكن للفريقين هذين أن يلتقيا! وتلك سُنة الله في خلقه.)

76 - أخجلت تواضعي يا دكتور!

(في ديوانه (حرقة ألم وإشراقة أمل) وتحديداً في ص 237: 241 أورد سماحة الوالد الشاعر الدكتور / عدنان النحوي أبيات من قصيدة لي عنوانها: (لا يطفئ النار الرماد). وهي عبارة عن رسالة عزاء قدّمتها له في التسعينات ، وتحديداً عام 1997م وفي رمضان 1417هـ. وكانت 149 بيتاً من الكامل (نونية). أعزيه في ابنه (إياد) الذي قضى طالباً في الجامعة ، فرحمة الله عليه. وعُدت في طبعة الديوان الثانية فرأيت أن أجعل اسمها (رسالة عزاء رقيقة – إليك يا عدنان) من أجل أن يناسب المقال المقام. فأحسستُ بأنه بإيراده لها في ديوانه العظيم هذا قد أخجل تواضع أخيه أحمد سليمان ، إن لم يكن قد قطع عنقه. ذلك أن مجرّد إيرادها يُعدّ منقبة عظيمة ومجاملة رقيقة وسبقاً يتضاءل حجمي واسمي وقامتي وهامتي عنده. ذلك أن إيراده لها في ديوانه العملاق يُعطي كاتبها صفة الشاعر المُجيد ، الأمر الذي أراني دونه بكثير. وبخاصة أن هذه القصيدة كنت قد كتبتها فيه وأنا في الثالثة والثلاثين من العمر. وعلى ذلك فقل أن تكون قد خلت من الركاكة أو الضعف الفني سواء في الصياغة أو الأسلوب! وإن هو إلا كرم الدكتور عدنان وتشجيعه لشويعر لا يزال يخطو أولى خطوات الشعر ويرتقي على أولى سُلماته! وتحت عنوان: (الشاعر الحقيقي) وفي مجلة: (الجديد) ، كان هناك رأي لإيمان عبدالوهاب حميد هو: (إن الشاعر في وقت الحروب والخراب والانهيارات الأخلاقية ، ليس بالضرورة أن يكتب ، لأنه وقتها يعاني من المدهش في محاولة إيجاد تفسير ومبرر لهذا العبث وهذا الجنون ، وقد يمر الشاعر بصفة خاصة والمبدع بصفة عامة بأزمة نفسية بسبب حساسيته ودهشته مما يحدث. وهذه الازمة ليست بالضرورة أن تنتج نصاً شعرياً ، لأن الشاعر الحقيقي ليس شاعر مناسبات يكتب متى أراد الكتابة. الشاعر ما هو إلا وسيلة للقصيدة متى ما أحبت التجلي والظهور ، وقد يكون هذا التجلي متزامنا مع غرق الإنسانية في العبث والحروب والضياع ، أو ألاّ يظهر ذلك النص إلا حين يهدأ البركان وتسكن مياه البحر ، حين يبدأ الشاعر في محاولة استعادة إرادته المسلوبة ، محبته للحياة واحترامها ، يقوم بتقييم ما حدث على ضوء الدين والأخلاق وسلطة الضمير. ومعظم ما نتج من مسرح العبث أو المسرح الطليعي مثلاً كان بعد أن تجاوز العالم محنته في الحرب العالمية الثانية ، بدأ كُتّاب المسرح بالتعبير عن العبث بكل قيمة جميلة في حياة الإنسان ، وبحياة الإنسان نفسها حين يصبح الموت مجانياً ولا مبرر له ، مسرحية "في انتظار جودو" نموذجاً. وإذن فالشاعر في وقت الحروب مثله مثل أيّ إنسان ينتظر السلام والاستقرار والهدوء ، ليستطيع التفكير في كل ما مرّ به ، وقد ينتج نصا أو لا ينتج! والكتابة ليست واجباً ولزاما على الشاعر ، لأنّ لا حيلة له إلا انتظار القصيدة التي لا يعرف موعدها مثل السلام تماماً).هـ. فجزا الله خيراً أستاذي ومعلمي الدكتور عدنان النحوي!)

77 ـ أخرْتُ عمّنْ هانَ ردّ سلامي!

(أحبتْ هذه الزوجة زوجها حباً جماً ، وأخلصتْ في تبعلها له ولعياله! ولكنه ابتلي بالتطلع للنساء الأخريات والتعلق بهن للحد الذي بات الناس قاصيهم ودانيهم يتكلمون عنه! واشتهرتْ حكايته في القرية! ووصل الأمر متأخراً لزوجته التي قررت ردعه ونهيه وزجره ، وأملتْ أن يعود لرشده وصوابه! فوعظته فلم يجد الوعظ! ونصحته فلم تنفع النصيحة! فدعتْ له الله رب العالمين أن يهدي قلبه! وقررت أن تقاطعه أياماً لعله يرجع ويتوب! واعتادت أن ترد عليه سلامه في سرها بينها وبين الله! فراح يسألها: ما لكِ لا تردّين سلامي؟ وإلى هنا انتهى المشهد بينهما لينفتح على الموقف الذي أردت التعبير عنه لكن من جانب المرأة لا من جانب الرجل! فتخيلتها تجيب على سؤال شاعرنا حمزة فتقول: بسبب تطلعك للنساء الأخريات وذيوع صيتك فأنا لا أرد عليك السلام لعلك ترجع إلى رشدك! ويحلو لكثيرين أن يشوهوا مفهوم الحب في ديننا! والحقيقة أن الحب في حد ذاته ليس حرامًا ، وهذا بشرط أن ينتهي بالزواج! فإذا لم يتوج الحب بالزواج كان عبثاً محرماً! وعلى حد ما ذكرت (إسلام ويب): بمعنى ألا تترك العلاقة بين الجنسين بحجة أنهما سيتزوجان ، بل لا بد من أخذ خطوة عملية ، مع قطع جميع العلاقات السرية ، ولكن الذي لا يمكن القول بحُرمته أن يجد المرء في نفسه ميلاً للآخر ، ولكن التنفيذ العملي لهذه العلاقة يكون بشكل شرعي وهو الزواج ، وتسمية العلاقة بين الجنسين بالحب العفيف لا اعتبار لها في الشرع ، على الصورة السائدة بين الشباب والفتيات ، فالحب العفيف هو ميل الرجل للمرأة دون أن تكون هناك علاقة ، قبل اتخاذ خطوا ت الزواج. ويختلقون حديثاً مكذوباً على النبي – صلى الله عليه وسلم -! يقول الدكتور رفعت فوزي: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "مَن أحبَّ فعشِق فعفَّ فصبر ثم مات فهو شهيدٌ"! هذا الحديث أو ما يُدَّعى أنه حديث ـ موضوعٌ. قال العلامة ابن القيم: (ولا تغترّ بالحديث الموضوع على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ساقه من طُرق ضعيفة ، ثم قال: فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يجوز أن يكون كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن الشهادة درجة عالية عند الله ـ عزّ وجلّ ـ مقرونة بدرجة الصِّدّيقيّة ، ولها أعمال وأحوال هي شروط في حصولِها ، ليس العشق واحِدًا منها وكيف يكون العشقُ الذي هو شرك المحبة وفراغ عن الله ، وتمليك القلب والرُّوح والحب لغيره تُنال به درجة الشهادة هذا من المُحال ، فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد ، بل هو خمْر الرُّوح الذي يُسكرها ويصدُّها عن ذكر الله وحبِّه والتلذُّذ بمُناجاته والأنس به ، ويوجب عبودية القلب لغيره ، فإن قلب العاشق متعبِّد لمعشوقه ، بل العشق لُبُّ العبودية ، فإنها كمال الذُّلِّ والحب والخضوع ، والتعظيم ، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تُنال به درجة أفاضل الموحِّدين وساداتِهم وخواصِّ الأولياء؟ ولا يحفظ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفظُ العِشق من حديث صحيح البتّة). هذا ونضيف إلى ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن هذا الحبَّ الذي يسمُّونه عفيفًا والذي ينشأ بين رجل وبين امرأة أجنبيّة عنه إنما مداخله النظر غير المباح ، أو الخلوات غير المشروعة بالمرة ، أو من كلام طرف منهما لآخر يظهر له فيها حبَّه وهيامه ؛ وما بدأ بحرام فإنه يؤدِّي إلى ما لا تُحمد عُقباه. وإذن فبطلة قصيدتنا هي زوجة ابتليت بزوج هو إلى زير النساء أقرب منه إلى الرجال الأسوياء! من أجل ذلك كانت كلماتها صعبة ولهجتها قاسية لردع زوجها عن غيه!)

78 - اخرجي ولكن استأذني!

(الآية واضحة بشأن قرار المرأة في بيتها (وقرن في بيوتكن ...) ، والحديث واضح بشأن الخروج ولكن بشرط الاستئذان (وأنْ لا تخرج من بيته إلا بإذنه). والوعيد واضح: (أيما امرأة خرجت من بيتها دون إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع). أورد الخولي في موسوعته (القصص الواقعية) صـ 413 قصة امرأة اعتادت الخروج من بيت زوجها دون إذنه. وألفت التبرج والسفور والعطور كذلك إلى أن طرقت كلمات إحدى الداعيات قلبها فتابت وأنابت بعد أن كانت متهاونة في الصلاة. أما زوجها فكثير السفر ، ولذا فإنها اعتادت على الخروج دائماً من المنزل بلا استئذان ، وحتى مع وجود زوجها تخرج بدون استئذان ، وكان إذا قدم من السفر يغضب إذا رأى خروجها وينصحها بعدم الخروج ، ويحثها كثيراً على تربية الأولاد. تقول هذه المرأة: لم أهتم كثيراً بما كان يقول ، وكنت أخرج بدون استئذان ، وكنت ألبس الملابس الفاخرة ، وأتعطر بأحسن العطور ، وسمعت ذات مرة أنه سيقام في منزل أحد الأقارب محاضرة لإحدى الداعيات ، فذهبت إلى حضورها حباً للاستطلاع. فتحدثت هذه المرأة الداعية الحكيمة عن بعض مخالفات النساء ، حتى أبكت الحاضرات. قالت هذه المرأة المتهاونة: فتأثرت بها وسألتها عن حُكم الخروج من البيت من غير إذن الزوج ، فبينت لي أن هذا حرام إلا بإذن الزوج ، وأرشدتني أن لا أتبرج ، وأن أحافظ جداً على نفسي. قالت: فلما قدم زوجي من السفر اعتذرت له وطلبت منه السماح والعفو ، واستأذنته للخروج مرة من المرات ، فقال: منذ متى وأنت تستأذنين مني؟! فقالت له هذا الخبر وهذه القصة ، فحمداً الله عز وجل على نعمة الهداية. والأصل أن المرأة في بيت أبيها لا تخرج إلا بإذنه بوصفه ولي أمرها والقائم عليها. فإذا تزوجت انتقلت القوامة والولاية إلى زوجها بالعقد عليها ، ويزداد الأمر صرامة عندما تنتقل إلى بيت زوجها بوصفها زوجة. فلا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه ، لأن هذا من الحقوق المكفولة الواجبة لهذا الزوج والمنصوص عليها كتاباً وسُنة وإجماعاً. إن طاعتها لأبيها قبل زواجها طاعة واجبة ، وأما إذا تزوجت فالطاعة الواجبة صارت لزوجها ، وأما طاعتها لأبيها فأصبحت مستحبة. فبعد الزواج إن قال أبوها في أمر مباح شرعاً: (افعلي) ، بينما قال زوجها في ذات الأمر: (لا تفعلي) وجب عليها أن تطيع زوجها. ولقد قال الشافعية والحنابلة من أئمتنا: (ليس للزوجة الخروج لعيادة أبيها المريض إلا بإذن زوجها ، وله منعها من ذلك. وذلك لأن طاعة الزوج واجبة ، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب). وقد ذكر الأحناف أنها إن خرجت من بيت زوجها دون إذنه فله أن يؤدّبها. ومن فتاوى اللجنة الدائمة أن المرأة لا يجوز أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه سواء كان ذلك الخروج للمسجد أو لغيره. وبالطبع يستثني من ذلك كله الخروج الاضطراري الذي ألجأتها الضرورة إليه إلجاء كأن تنهدم الدار أو يشب فيها حريق أو تصاب المرأة إصابة يستحيل انتظار إذن الزوج فيها ، فهنا يقاس الأمر على الضرورة التي إنما اشتقت أصلاً من الضرر. وكم من بيوت خربت وكم من نساء طلقن وكم من جرائم ارتكبت بسبب خروج الزوجات من بيوت الأزواج دون إذن الأزواج وهم حاضرون وبعيداً عن الضرورات! وكانت أمهاتنا يستأذن أزواجهن بالأمس. فما الذي تغير؟ هل تغير الشرع؟ بالطبع ، لا. هل تغيرت الأرض أو الزمن أو المعايير؟ أيضاً لا. إن المرأة هي التي تغيرت!)

79 - أخوتان

(دعا ذلك الشقيق أحد أشقائه كان يأنس فيه رشداً ، لأن يكون منه كما كان أصغر القطبين من أكبرهما. رحم الله سيداً وحفظ محمداً. فلقد مثلاً ثنائياً قلّ أن يوجد له نظير في التاريخ. فمن رسم من معالم الطريق وبسط ظلاله وتشخيص مشكلاته وتقعيد خصائصه ومقوماته والتفاؤل بأن المستقبل له ، إلى كشف الجاهلية التي تحاربه وبيان الواقع المعاصر وخوض معركة التقاليد ورسم دروب أصول التربية التوحيدية والعقدية وأيضا تصحيح المفاهيم وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي والاقتباس من أنوار النبي – صلى الله عليه وسلم - ألا إنه كلام ثنائي لم يتكرر حسب علمي في التاريخ. إلا أن الشقيق الآخر الذي دعاه شقيقه ليكون كذلك أدرك بذكائه وعورة الطريق ومحنة سلوكه وعذاباته والبلاءات المترتبة عليه. فاختار لنفسه السلامة وآثر الجاهلية فطريقها من وجهة نظره آمنٌ وسالم. وتبرّأ من راية التوحيد ومِن حاملها. ولم يُبق حتى على الإخوة. ورفع راية الجاهلية وفضل أفكارها. فآثر ما يفنى على ما يبقى. ولم يكن من أخيه قط بمنزلة أحد القطبين من الآخر. فظل الداعي على ما هو عليه! وظل المدعو على ما هو عليه. فهما إذن اخوتان الأولى أخوة إيمان ورحلة جهاد طريقها مفروش بالدم والكوارث من كل صوب ، ونهايتها إذا أخلص صاحبها لله هي الجنة. وأما الثانية فطريقها مفروش بمتاع الدنيا والتمكين فيها على حساب العقيدة. ونهايتها إذا خولفت أوامر الله والمعلوم منها من الضرورة ليس إلا النار. إنهما أخوتان متباينتان لا سبيل إلى التقريب بينهما. وليعلمن ذلك الشقيق الجاهلي المتنازل عن الحق نبأ ما قد فعل بعد حين. إن هذه الحياة الدنيا قصيرة. فما أجمل أن يترك الإنسان بعده الذكرى الحلوة التي عمادها الإيمان! قال مجاهد: صحبت ابن عمر أُريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني. وقام عمر بن عبد العزيز رحمه الله يطلب النصيحة من عمرو بن مهاجر وقال له: (يا عمرو إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلابيبي ثم هزني ثم قل لي: ماذا تصنع). تاريخ بغداد. وقال عبد الله بن الإمام أحمد: (لما أُطلق أبي من المحنة خشي أن يجئ إليه إسحاق بن راهوية فرحل أبي إليه فلما بلغ الري دخل إلى مسجد فجاء مطر كأفواه القرب فلما كانت العتمة قالوا له: اخرُج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه فقال لهم: هذا مسجد الله وأنا عبد الله فقيل له: أيهما أحب أن تخرُج أو نجُر رجلك! قال أحمد: فقلت: سلاماً! فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه فإذا رجل قد خرج من داره فقال لي: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقلت لا أدري أين أمر فقال لي: ادخل فأدخلني داراً ونزع ثيابي وأعطاني ثياباً جافة وتطهرت للصلاة فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة فقيل لي: كل فأكلت معهم. فقال لي: من أين أتيت؟ فقلت: من بغداد. فقال لي: أتعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل؟ فقلت أنا أحمد بن حنبل. فقال لي: وأنا إسحاق بن راهويه). المناقب لابن الجوزي. وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السُبكي: (كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت: اخسأ كلبٌ ابن كلب! فزجرني والدي من داخل البيت فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت: هذه فائدة). وورد عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (ما حاججت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه). وعن عبد الملك أو قيس بن عبد الملك قال: قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته ، وعرض له رجل بيده طومار (صحيفة مطوية) ، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين فخاف أن يُحبس دونه ، فرماه بالطومار ، فالتفت عمر فوقع في وجهه فشجه ، قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس ، فلم يبرح حتى قرأ الطومار ، وأمر

بحاجته وخلى سبيله. وكان ابن عباس كأبي بكر وكثير من الصحابة يرى أن الجد في الميراث يُسقط جميع الإخوة كالأب ، وكان زيد كعلي وابن مسعود يرى بتوريثهم مع الجد ، فقال ابن عباس يوماً: (ألا يتقي الله زيد يجعل الابن ابناً ولا يجعل أب الأب أباً؟) ثم قال: (وددت إن الذين يخالفونني يجتمعون بي عند الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)! وذلك لثقته بصحة اجتهاده. وبعد وقت رأى أبن عباس زيد بن ثابت راكباً دابة فأخذ بركابه يقوده فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: هكذا أُمِرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا! فقال زيد: أرني يدك فأخرج ابن عباس يده فقبلها زيد وقال: هكذا أُمِرنا أن نفعل بأهل بيت رسولنا صلى الله عليه وسلم! ولما مات زيد قال ابن عباس: هكذا يذهب العِلم ، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وعند البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه وهو يصف كرم جعفر بن ابي طالب لإخوانه فقال: (كان خير الناس للمساكين فكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إنه ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها). وفي طبقات ابن سعد عن حُسن عشرة ابن عمر رضي الله عنهما عن مجاهد قال: (كنت أُسافر مع عبد الله بن عمر ، فلم يكن يطيق شيئاً من العمل أعمله ولا يكله إلينا ، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها). وفي الآداب الشرعية قال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري: (ما سألني أحدٌ حاجة إلاَّ قمت بها بنفسي ، فإن تم وإلا قمتُ بها بمالي ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالإخوان ، فإن تم وإلا استعنتُ له بالسلطان). وقال محمد بن مناذر كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شسعي ، فخلع نعله فقلت: ما تصنع؟ قال: أواسيك في الحفاء. وكان الحسن البصري رحمه الله إذا افتقد الرجل من إخوانه أتاه فسلم عليه وسأله عن حاله ، فإذا خرج من عنده دعا الخادمة فأعطاها صرة فيها دراهم فقال: ادفعيها لمولاتك فقولي استعمليها ولا تُخبري بها سيدك). وقال مسور بن الورّاق: ما كنت لأقول لرجل إني أُحبك في الله تعالى فأمنعه شيئاً من الدنيا. وجاءت يزيد بن عبد الملك بن مروان غلة من عُمّاله فجعل يصرها ويبعث بها إلى إخوانه ويقول: إني أستحيي من الله عز وجل أن أسال الجنة لأخٍ من إخواني وأبخل عنه بدينار أو درهم. وكان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله ، فإن كان غائباً وصل أهله وعياله ، وإن كان شاهداً سأله عن أمره وحاله ، ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم وقال: أبا فلان إن الصبيان يفرحون بهذا. وكان بشر بن منصور إذا زاره الرجل من إخوانه قام معه حتى يأخذ بركابه. وكان طلحه بن مُصَرّف يأتي أُم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة ، وذلك بعد أن مات عمارة ببضع عشرة سنة. ولقي الحسن بعض إخوانه ، فلما أراد أن يفارقه خلع عمامته فألبسه وقال: إذا أتيت أهلك فبعها واستخدم ثمنها. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية عن إيثار الإمام أحمد: قال يحيى بن هلال الوراق: (جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه ، فأخرج أربعة دراهم أو خمسة وقال: هذا نصف ما أملك! وجئت مرة إلى الإمام أحمد فأخرج إليّ أربعة دراهم وقال: هذا جميع ما أملك). وفي الأدب المفرد عن أُخُوّةِ أنس بن مالك رضي الله عنه أنه إذا أصبح دهن يده بدهنٍ طيب لمصافحة إخوانه). وعند الطبري في الكبير ورجاله رجال الصحيح عن سلامة صدر أبن عباس رضي الله عنهما: (أن أبي بريدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس فقال له: أتشتمني وفيَّ ثلاث خصال ، إني لا أتي على آيةٍ من كتاب الله إلا تمنيتُ أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم ، ولا سمعتُ بقاضٍ عادل إلا فرحت ودعوت له وليس لي عنده قضية ، ولا سمعت بالغيث في بلد إلا حمدت الله وفرحت وليس لي فيها ناقة ولا شاة). وفي السلسلة الصحيحة عن أبي سليمان الداراني أنه قال: (إني لأضع اللقمة في فم أخٍ

من إخواني فأجد طعمها في حلقي). وفي مناقب الإمام أحمد أن أبا بكر المروزي قال: قال لي أبو عبد الله وذكر رجلاً فقيراً فقال لي: أذهب إليه وقل له: أي شيء تشتهي نعمل لك ، ودفع إليّ طيباً وقال لي: طيّبْه. ودخل علي بن الحسين زين العابدين على محمد بن أُسامة بن زيد يعوده ، فبكى ابن أُسامة فقال: ما يبكيك؟ قال: عليّ دينٌ! قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار ، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار. قال هي عليّ. وعن الحسن قال: إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة. وفي تاريخ بغداد: (إن فتح الموصلي جاء إلى صديق له يقال له عيسى النجار ، فلم يجده ، فقال للخادمة: أخرجي إليّ كيس أخي! فأخرجته ، ففتحه فأخذ منه درهمين! وجاء عيسى لمنزله فأخبرته الخادمة بأخذ الدرهمين فقال: إن كنتِ صادقة فأنت حُرة لوجه الله ، فنظر فإذا هي صادقة فأعتقتْ). وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي ليلى: (ما ماريتُ أخي أبداً لأني إن ماريتهُ إما أن أُكذبه وإما أن أُغضبه). الآداب الشرعية. ويذكر الإمام أحمد عن ابن راهويه وكان يخالفه في أُمور فيقول: (لم يعبُر الجسر إلى خرسان مثل إسحاق بن راهويه وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً). وروى الخطيب بسنده عن عبد الله بن عبد الكريم قال: (سمعت أحمد بن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيُتكئ). وروى الخطيب عن عبد الله بن الخطيب (أن الطيب إسماعيل أبا حمدون من القراء المشهورين كانت له صحيفة مكتوب فيها 300 من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة فتركهم ليلة فنام فقيل له في نومه: لِم لم تُسرج مصابيحك الليلة؟ فقعد فأسرج وأخذ الصحيفة فدعا لهم واحداً واحداً حتى فرغ). وقال ابن عباس رضي الله عنه: (ثلاثة لا أُكافئهم رجل يبدأني بالسلام ورجل وسع لي في المجلس ، ورجل اغبرت قدماه في المشي إليّ يريد السلام عليّ ، أما الرابع: فلا يكافئه عني إلا الله! قيل من هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي). وشتم رجل الأحنف ، وجعل يتبعه حتى بلغ حيه ، فقال الأحنف: يا هذا إن بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره. وورد عن عطاء بن رباح أنه قال: (إن الشاب ليحدثني حديثاً فأستمع له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن تلده أمه). وفي تاريخ بغداد قال ابن مرار: (تكلم عبد الله بن عياش المنتوف بكلام أراد به إساءة ابن عمه عمر بن ذر ، فقام عمر فدخل منزله ، فندم ابن عياش فأتى عمر فقال: أيدخل الظالم؟ فقال: نعم ، مغفور له والله ما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه). وكان الشافعي حين يحدث عن أحمد لا يسميه تكريماً له بل يقول: (حدثنا الثقة من أصحابنا أو أخبرنا الثقة من أصحابنا). وروى أبو نعيم عن أبي وائل الراسبي قال: (أُتي ابن عمر بعشرة آلاف ، ففرقها وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة). وأخرج أبو نعيم في الحِلية عن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما ليُفرق في المجلس ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهر فما يأكل مزعة لحم). ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة ، فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه فقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا؟ فهمّ الحرس فقال عمر: مه إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت: لا. وعن عبيد الله بن أبي الوسيم الجمال قال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين على رجل من أصحابنا ، فأمر بالموائد فنُصبت ، ثم قال لا حتى تُصيب من طعامنا ، فيجب علينا حقكم وذمامكم قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دين وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله (مكارم الأخلاق). وتضع الكاتبة الفاضلة سهير الخالدي إشراقات عن الأخوة الحقيقية فتقول ما نصه: (إن أعظم ما أكّد عليه

الدين الإسلامي هو التأخي والأخوة والمحبة والمودة بين الناس ، على اختلاف طبقاتهم وقومياتهم ومذاهبهم ، بل حتى على اختلاف دياناتهم السماوية ، فقط أكّد الإسلام على الأخوة والصداقة الحقيقية وجعل لها منزلة خاصة ، وأن الأخوة والصداقة في الله والتي تبنى على أسس صحيحة وحقيقية ، كما أنها لو ارتبطت بعقيدة الدين يكون دورها أكبر وأفضل وذلك عبر القران الكريم (إنما المؤمنون أخوة). أي أخوة في الدين والعقيدة ، ولا ننسى ما حصل في زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته الى المدينة المنورة حيث إنه (صلى الله عليه وسلم) جمع بين المهاجرين والأنصار وجعل بينهم رابط الأخوة الحقيقي والصداقة في الله ، ولذلك فإن التاريخ الإسلامي لا ينكر ذلك الموقف الذي وقفه أهل المدينة مع المهاجرين ومشاركتهم في العيش والسكن ، حتى إنه وصل بهم الأمر إلى تقسيم رغيف الخبز بينهم ، رغم تلك المعاناة والغربة والألم الذي تعرّض له المسلمون ، لكنهم بقوا متمسكين في أخوتهم في الله وأعطوا أجمل درس ترجمه التاريخ الإسلامي من خلال المُؤاخاة).هـ. وأنا أسأل: أين إخوة هذا الزمان وأخواته من هذه النماذج الفذة الفريدة؟ أم أنني وقعتُ عليها ونقلتها لهم من الخيال؟ أو طالعتها في (ألف ليلة وليلة)؟ إن الفرق بينهما شاسعٌ للغاية!)

80 - أخونا أغلى من الإرث

(إخوة وأخوات لأب واحد وأم واحدة. نشأوا في بيتٍ واحدٍ ، وبيئةٍ واحدةٍ ، وشربوا من معين واحد. وأثمرت القيم والمُثل فيهم ، فعاشوا عليها ، وتنوعت مصادرُ دخولهم وأرزاقهم لتنوع ثقافاتهم. فمن مهندس إلى طبيب إلى معلمة إلى رجل أعمال إلى مديرة. وتفاوتت الدخول والأوضاع! ولكن أكبر هؤلاء الإخوة ويدعى حُساماً ابتلي بكثرة الأولاد ومحدودية الدخل مما جعله يعيش على الكفاف أو دونه بقليل. وعاش عزيزاً عفيفاً لا يقبل أبداً صدقة أحدٍ أو مِنته أو عطاءه. واعتاد إخوته وأخواته الأشقاء والشقيقات أن يُغدقوا عليه ويُوسعوا ، ولكنْ في صورة هدايا لأبنائه وبناته بحيث لا يشعر. فجعلوا من أخيهم وأولاده قِبلة للصدقات والهبات والأعطيات العينية والنقدية. وذات يوم مات الأب عن تركةٍ هي بيت مؤلف من خمسة طوابق في حي عامر آهل بالسكان. وكان الأب قد سمح لابنه الأكبر هذا بأن يسكن إحدى شقق هذا البيت بإيجار زهيد حتى لا يشعره بمِنته عليه أو تفضله لذات السبب الذي هو حساسية الابن المفرطة ، فلما مات الأب وجاء الأبناء والبنات وقد اتفقوا فيما بينهم ودون عِلم أخيهم الأكبر على أن يتنازلوا عن أنصبتهم في الإرث في هذا البيت لأخيهم الأكبر مقابل دراهم معدودة لا تساوي ربع شقة من شقق هذا البيت. وإنما كان البيع لأخيهم حتى لا يُحرجوه ولا يشعروه بأنه هبة أو عطاء. بل بيع وشراء كالغريب وتم ذلك بـ (1400 ألف جنيه مصري) في عمارة تستحق (مليوني جنيه مصري). وتعلل الأخ بأنه لا يستطيع الوفاء لهم بالمبلغ دفعة واحدة ، فتم تقسيطه على سنوات ، ومن الأشقاء والشقيقات من لم يتحصل على ربع ما اتفق عليه ، ومنهم من نسي أو تناسى وتمنى على الله أن ينساه أخوه الأكبر من نصيبه هذا وقد كان. وتم ذلك بالتراضي والتسامح. وأثبت هؤلاء الأشقاء الكِرام أنه لا البيت ولا المال ولا الدنيا بأسرها أغلى عندهم من أخيهم ، إن مثل هذه المواقف تستحق القصائد والمعلقات. وإذا لم يكن الشعر لمثل هذه المواقف ، ففي أي شيء يكون الشعر؟ قال الأستاذ فريد الأنصاري عن الأخوة

الحقيقية ما نصه: (أحبابي ، إذا تأملتم واقعنا وأمعنتم فيه النظر قلتم: إن هذا الزمان زمن غربة المسلم الحق والمسلمة الحقة ، إذ في زمن الغربة يمضي المسلم يبحث عن حبيب ، يبحث عن نصير ، يبحث عن مُعين ، يبحث عن صديق صادق ، وهو في الأصل يكتفي بالله عز وجل أنيساً ومعيناً ونصيراً ، ولكن مع كثرة الأعداء وكثرة الشبهات والشهوات وقلة الأتباع والأنصار ، يجد المرء نفسه يناجي ربه يشكو إليه ما صار إليه الحال الآن ، ونتمثل قول رسول الله وهو في الطائف: اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربنا ، إلى مَن تكلنا ، إلى قريب يتجهمنا ، أو إلى عدو ملكته أمرنا ، إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لنا ، نعوذ بنور وجهك من أن ينزل بنا غضبك ، أو يحل علينا سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. أيها الأحباب ، نريد أن تصفو قلوبنا بعد هذا الكدر الذي أفرزه واقعنا المرير ، فإنَّ أساس قضية الأخوة هو صفاء القلب لله ، هذا الصفاء الذي يثمر طمأنينة الفؤاد وراحة البال ، وهدوءَ الضمير ، فلا نرتقب خوف الغدر وحسدَ الأعين وأذى الأيدي وكيدَ القلوب وحقدَ النفوس ، إنها ظلال الحب في الله ، لا أخوة المصالح وصداقة المنافع التي شاعت في هذا العصر ، نحتاج إلى أخٍ كالمرآة الصافية المؤمن مرآة أخيه ، يقيل كل منا عثرات الآخر ، يدافع عني وأدافع عنه من ورائه ، يقيمني وأقيمه يعينني وأعينه ، فأين هذه الأخوة؟! تعالوا بنا – أيها المؤمنون – نعيد بناء صرح الأخوة الشامخ ، تعالوا نداوي تلك الآفات ؛ فإن نسيجنا الأخوي يحتاج إلى إصلاح وتجديد وصيانة ، فتلك الروابط التي كانت تجمع قلوب الأخوة قد بَليت ، والحاجة مُلحّة إلى إعادة إقامتها من جديد).هـ. وكلما ذكرتْ قصة هؤلاء الإخوة مع أخيهمُ الأكبر المُعيل ظن من تذكَرُ له القصة أننا نحكي عن ألف ليلة وليلة! وهو معذور لأن مثل هذا الخلق افتقد منذ زمن بعيد بعد طغيان المادة على الإيمان بالله! ولقد ابتلينا بعادة غريبة هذه الأيام ملخصها استحواذ بعض الأبناء على الإرث وتعمد حرمان إخوتهم وأخواتهم منه! كأن المتوفي لم ينجب إلا ذلك البعض! وأحيانا يأخذ أحدهم الإرث كله حارماً الكل!)

81 - ادرسوا قبل إصدار الأحكام

(إنها القضية الجديدة القديمة ذات التفاريع المتشعبة ، تلك القضية التي تخرّص بها علماء الغرب من تسمية الأرض بالكوكب ، ومن القول بأن الشمس هي جهنم ، ومن القول بوجودِ 150000سماء وليست سبعاً فقط كما صرح القرآن الكريم ، ومن القول بأن هناك مائة شمس وسبعين قمراً وليست شمساً واحدة ولا قمراً واحداً كما هو ظاهر النص القرآني القاطع ، ومن القول بثبات الشمس ودوران الأرض حولها ، ومن القول بدوران الشمس والأرض معاً. أقول: فرق بين النظرية البحتة القابلة للبحث والدراسة وبين العلم اليقيني الثابت. وأسرد هنا الأدلة والحجج والبراهين من كتب العلماء ، ثم أورد قصيدتي. إن القول بأن السماوات السبع قد تكون أفلاكاً سبعة أو مجرات سبعة أو مجموعات نجمية سبعة أو سُدماً سبعة أو عوالم سبعة أو أية خلائق فلكية سبعة ، إن هذا الكلام باطل وضلال بعيد وإفكٌ قديم. والكلام على بطلانه وضلاله من وجوه عدة:- * الأول: إن السماوات ليست هي النجوم ، لأن الله أخبر أنه زين السماء بالنجوم ، فقال: "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوما للشياطين". * الثاني: أن هذا القول لم يقله أحد ، وعلى هذا فهو يعتبر من القول على الله بغير علم. وهذا

محرّم في ديننا: "قل إنما حرّم ربيَ الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون". أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن مجاهد في قوله تعالى: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء.....". قال: (خلق الله الأرض قبل السماء. فلمّا خلق الأرض ، خرج منها دخان ، فذلك قوله ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات. يقول: خلق سبع سماوات بعضهن فوق بعض وسبع أراضين بعضهن تحت بعض).هـ. وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات". قال: (إن الله كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً قبل الماء. فلمّا أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء ، فسما سماء ثم أيبس الماء ، فجعله أرضاً فتقها واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أراضين في يومين في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت وهو الذي ذكره في قوله: "فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم". والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة والصخرة في الريح وهى الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت ، فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرّت ، فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله: "وجعل لها رواسي أن تميد بكم" وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها ، وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء. وذلك قوله: "قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض..." إلى قوله "وبارك فيها" يقول: أنبت شجرها وقدّر فيها أقواتها! يقول لأهلها: "في أربعة ايام" ← سواء للسائلين. يقول: من سأل فهكذا الأمر. ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، ثم فتقها فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض ، وأوحى في كل سماء أمرها ، قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها من البحار أو جبال البر ، وما لا يعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها سبحانه زينة وحِفظاً من الشياطين ، فلمّا فرغ من خلق ما أحب "استوى على العرش".هـ. مجلد (1) صـ 43. والقول بدوران الشمس حول نفسها كلام باطل وإفك مبين ، بل هو مخالف تماماً للقرآن وللحديث ولإجماع علماء السنة! يقول الله حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: "قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب". فلو كانت الشمس حقيقة تدور حول نفسها كما قال: "يأتي بالشمس من المشرق" والذي لا يجري لا يؤتى به من المشرق إلى المغرب. فمن زعم أن الشمس ثابته تدور حول نفسها فهو مكذب لكتاب الله القرآن. وقال تعالى: "وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال". فمن ادّعى أن الشمس ثابته فقد رد ما صرّح الله به في كتابه من طلوع الشمس وغروبها ، لأن كونها ثابتة ينافي طلوعها وغروبها. والآيات القرآنية في ذلك كثيرة. وفي الصحيحين من حديث بن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا طلع حاجب الشمس فأخّروا الصلاة حتى تغيب). وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (غزا نبيٌ من الأنبياء ، فدنا من القرية ، وقد دنت الشمس من الغروب فقال للشمس: إنكِ مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبستْ ، ففتح الله له) متفق عليه. وهذا الحديث عن النبي يوشع بن

نون. فهذان الحديثان صريحان في طلوع الشمس وغروبها وسيرها ، ولو كانت واقفة ثابتة لا تتحرك لما احتاج أن يقول: اللهم احبسها. ولكان يقول: الله أمسك علينا دوران الأرض حتى تغيب الشمس. وهذا واضح باللغة والعقل. وعن أبي ذر - رضى الله عنه – أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس: "أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها. فيقال لها: ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها. فذلك قوله تعالى: "والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم". قال الحافظ ابن حجر في الكلام على هذا الحديث:- "والغرض منه هنا بيان مسير الشمس في كل يوم وليلة ، وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك ، فإنه يقتضي أن الذي يسير هو الفلك ، وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ومثله قوله تعالى: "كل في فلك يسبحون" أي يدورون. "فتح الباري مجلد (6) صـ 299. وأنا أقول: إن القول بثبات الشمس ودورانها حول نفسها في مكانها افتراء وكذب ومخالفة لصريح القرآن والسنه وإجماع أهل العلم. يقول الله: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساء مصيراً". والقول بان الفلكيين قد حسبوا سرعة الشمس باثني عشر ميلاً في الثانية قولٌ عجيب في الضلال. إذ كيف لهم أن يدركوا ذلك والشمس في السماء ، وبيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟! بنص الأحاديث الصحيحة. - إن الأرض ثابته لا تتحرك ولا تدور: "أم من جعل الأرض قراراً"! قال ابن كثير: أي قارّة ساكنة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش ولا الحياة. "وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم" أي: لئلا تميد بكم: أي تتحرك وتميل ، والمَيد في اللغة هو الاضطراب والتكفؤ ، ومنه قيل للدُوار الذي يعتري راكب البحر ميد. وقد روى ابن جرير عن علي – رضي الله عنه - في قوله تعالى: "والبيت المعمور" قال: بيت في السماء يقال له الضراح ، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حُرمته في السماء كحُرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ولا يعودون فيه أبداً. وذكر نحوه عن مجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم ، فهذا دليل واضح على ثبوت الأرض ، ولو كانت تدور لما صارت الكعبة محاذية له أبداً. روى البخاري والبزار من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة". * القول بأن العرش هو المجرة قول باطل وضلال *. ذلك أن الأدلة على إثبات حقيقة العرش وصفته قد دلت عليها آيات وأحاديث كثيرة. من أن العرش حقيقة وأنه ذو أركان وقوائم وأن له حمَلة يحملونه وأنه فوق جميع المخلوقات. يقول الله: "وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد" ويقول: "وكان عرشة على الماء". ويقول: "الرحمن على العرش استوى" ويقول: "الذين يحملون العرش ومن حوله" ، ويقول: "ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية"! فهل يقول عاقل منصف أن المجرّة هي العرش؟ وهو القول المفترى والإفك المبين ، جرياً على مذاهب أصحاب الهيئة والفلك والمعاصرين. وأما من الأحاديث: فعن عِمران بن حُصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأواسط الجنة وفوقها عرش الرحمن. رواه البخاري. وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الناس يُصعقون يوم القيامة فأكون أول من يضيق ، فإذا موسى باطش بقائمة من قوائم العرش". رواه البخاري ومسلم. وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: "اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ" رواه

البخاري في المناقب ورواه مسلم أيضاً. وقد علم المسلمون من صريح السنة ، أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض ، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وأن العرش خلق من مخلوقات الله ، لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته. وأشار إلى هذا كله شيخ الإسلام بن تيمية في مجموع الفتاوى (صـ 50) المجلد الخامس. وعن العباس بن عبد المطلب – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك. وليس يخفى عليه شيء من أعمال بنى آدم" أخرجه أبو داود وغيره ، ورواه الترمذي وابن ماجه. وفي قرة العيون في التعليق على كتاب التوحيد قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحم الله الجميع: "وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما ، فلا عِبرة بقول من ضعّفه! والقول بأن الأرض تسبح وتدور حول الشمس بسرعة ستين ألف ميل في الساعة أقول: هذا يلزم منه أن الشمس ثابتة لا تطلع ولا تغرب إلا بدوران الأرض حولها ، وهذا كفر وتكذيب بصريح القرآن والسنة. وإن فكرة دوران الأرض وحركتها أصلاً مأخوذة عن فيثاغورث اليوناني الوثني ، كما أشار إلى هذه الحقيقة صاحب كتاب "الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة" وهو قول باطل أي قول فيثاغورث – فقام صاحب الصواعق بالرد عليه ، وأقام الأدلة على جريان الشمس وثبات الأرض واستقرارها! ونلخصها بعده في الآتي:- قول الله تعالى: (إن الله يُمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكها من أحدٍ من بعده ، إنه كان حليماً غفوراً). ولو كانت الأرض تدور كما يزعم أهل الضلال لتغير مكانها ولأخذنا مكان أمريكا يوماً ما ، ولأتت أمريكا مكان استراليا أو مكان جنوب أفريقيا يوماً ما! وقوله تعالى: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره. قال البغوي: قال ابن مسعود – رضي الله عنه -: قامتا على غير عمد بأمره سبحانه وتعالى. وقال ابن كثير في تعليقه على قوله تعالى: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" كقوله تعالى: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وقوله تعالى: "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا". وقال ابن منظور: أي جبالاً ثوابت. وفي لسان العرب: ويجيئ القيام بمعنى الوقوف والثبات. يقال للماشي قف لي ، أي تحبس مكانك حتى آتيك وكذلك قم لي بمعنى قف لي ، وعليه فسروا قوله سبحانه ، وإذا أظلم عليهم قاموا. قال أهل اللغة والتفسير: فقاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين. إلى أن قال: ومنه قول الله: "ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره" فمعناه الوقوف والثبات وعدم الحركة والدوران. وروى عبد الرازق وابن جرير عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: لمّا خلق الله الأرض قمصت وقالت: تخلق عليّ آدم وذريته ، يلقون عليّ نتنهم ، ويعملون عليّ بالخطايا؟ فأرساها الله بالجبال ، فمنها ما ترون ومنها مالا ترون ، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه اختلاجاً. ويشهد لهذه الآثار الواردة ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: لمّا خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرتْ. وقال ابن كثير في تفسيره في سورة النحل: ذكر الله تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسي والشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش لسبب ذلك وقال في قوله تعالى: "وجعلنا في الأرض رواسي" أي جبالاً أرسى الله

الأرض بها وقرّرها وثقلها ، لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها. وقال في سورة لقمان عند قوله تعالى: "وألقى في الأرض رواسي" يعنى الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تتحرك وتضطرب بأهلها على وجه الماء. ولهذا قال: "أن تميد بكم" أي لئلا تميد بكم. وقال القرطبي في آية الأنبياء: "وجعلنا في الأرض رواسي". أي جبالات ثوابت ، أن تميد بهم أي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها ، قاله الكوفيون. وقال البصريون: المعنى كراهية أن تميد ، والميد هو التحرك والدوران ، يقال ماد رأسه أي دار والميد ← دوار البحر كما أشرنا من قبل ونكرر. وإذن فالجبال خلقت لئلا تميد الأرض ، والمعنى أي لكيلا تتحرك الأرض ولا تدور ولا تضطرب ولا تختلج بأهلها. وقال الشوكاني في قوله تعالى: "وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم". والميد التحرك والدوران أي لئلا تدور وتتحرك وتدور بهم. وفي آية الرعد: "وهو الذي مدّ الأرض – وجعل فيها رواسي وأنهاراً" قال ابن كثير: أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض ، وأرساها بجبال راسيات شامخات. وقال البغوي في قوله تعالى: "وجعل فيها رواسي" أي جبالاً ثابتة ، واحدتها راسية. وقال القرطبي: أي وجعل فيها رواسي أي جبالاً ثوابت ، واحدتها راسية ، لأن الأرض ترسو بها أي تثبت ، والإرساء الثبات. وقال البغوي على الآية: "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي" أي بسطناها على وجه الماء ، وألقينا فيها رواسي أي بسطناها على وجه الماء ، وألقينا فيها رواسي أي جبالاً ثوابت ، وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال. وقال البغوي تعليقاً على آية فصلت: أي وجعل فى الأرض جبالاً رواسي ثوابت ، واحدتها راسية لأن الأرض ترسو بها وتثبت ، والإرساء الثبوت. وقال ابن كثير على ذات الآية:- أي وسّعنا الأرض وفرشناها وألقينا فيها الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها.اهـ. ولقد نفى الله الدوران عن الأرض بقوله في سورة تبارك: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟" والمَوْر في لغة العرب هو الحركة والدوران والهُوي. قال ابن كثير: تمور: أي تذهب وتجيئ وتضطرب وتختلج. وقال البغوي قال الحسن: أي تتحرك بأهلها ، وقال: تهوي بهم. قال الراغب الأصفهاني: المَور هو الجريان السريع. يقال: مار يمور مورا. قال: يوم تمور السماء موراً ، ومار الدم على وجهه والمور التراب المتردد بالريح ، وناقة تمور في سيرها فهي موّارة. وقال الجوهري والهروي من ائمة اللغة: مار الشيء يمور موراً إذا جاء وذهب. وقال ابن الأثير: وفي حديث قس بن ساعدة الأيادي: "ونجوم تمور" أي تذهب وتجيئ. قلتُ: والمعنى في قوله تعالى "فإذا هي تمور". كالمعنى في قوله: "يوم تمور السماء موراً" قال مجاهد في هذه الآية: تدور دوراً. وقال الضحاك استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض. قال ابن كثير: وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة. قال: وأنشد أبو عبيدة معمر ابن المثنى بيت الشاعر الأعشى الذي يقول: (كأن مِشيتها من بيت جارتهـا مور السحابة لا ريث ولا عجلُ)! أقول: كمثل قول كعب بن زهير: (عفته رياح الصيف بعدي بمورها وأبرته الجوزاء بالوبل والديم)! وقال البغوي في تفسيره: "يوم تمور السماء موراً" أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخرساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض ، وقيل تضطرب. والمور يجمع هذه المعاني كلها فهو في اللغة الذهاب والمجيئ والتردد والدوران والاضطراب.اهـ . وإذن فقد علم من آية سورة الملك أن الأرض قارة ساكنة لا تدور فتذهب وتجيئ. ولهذا امتن الله تعالى على عباده بتذليلها لهم وحذرهم من عقوبته بخسف الأرض. وبجعلها تمور بهم. ولو كان الأمر على ما يزعمه

العصريون الجهلة الحمقى لكانت الأرض تمور دائماً كما تمور النجوم والسحب والريح ، ولم يبق للتخويف بمورها فائدة: "أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور"؟! القول بأن الأرض كلها بما عليها وبمن عليها تابعة للشمس قولٌ باطل وهراء ويحتاج إلى دليل وإلا فهو الافتراء. وإلا فهو الجهل المحض! وهذا التخبّط والتخرّص مدوّن في كتب الجغرافيا في كل بلاد الدنيا عربها وعجمها. يقولون: (المجموعة الشمسية) عانين بهذا المصطلح: (مجموعة الكواكب التي هي توابع للشمس وتدور حولها!) ، فإذا من بين هذه الكواكب (الأرض) وعلى هذا تكون الأرض كلها تابعة للشمس بوصفها أحد الكواكب التي تدور حولها وتشكل مجموعتها. * القول بأن شمسنا واحدة من ملايين الشموس في المجرة الواحدة هو باطل مخالف لما دلت عليه الآيات من أنها شمس واحده فقط. "وجُمع الشمس والقمر". وقول النبي ﷺ ": "تدنو الشمس من الخلائق يوم القيامة حتى تكون قدر ميل أو نحوه ". رواه مسلم. ولم يقل: تدنو الشموس لأنها واحدة. والقول بأن الأرض تسيح في الفضاء قول باطل! لأن الأرض ثابتة مرساة بالجبال: "والجبال أرساها" ، "ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً". * القول بأن هناك كتلاً نارية ضخمة متناثرة في الفضاء وسُدما تناثرتْ من الشموس يعتبر كذلك قولاً باطلاً ، ونسأل: أين ذكرت هذه الشموس التي يزعمها الخرّاصون. هلا ذكرت في القرآن أو في السنة أو تكلم بذلك أحد من علماء المسلمين الموثوق بهم؟ أفيظن الظانون أنهم عثروا على علم ما أخبر به الشرع وقد قال تعالى:- "ما فرطنا في الكتاب من شيء" ، وقال ﷺ: "ما بقى شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم". وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وذكر لنا منه علماً".هـ. يقول الله تعالى: "إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت" ، ويقول: "إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت" ، ويقول:- "وخسف القمر وجمع الشمس والقمر". قال البغوي: "وإذا النجوم انكدرت": أي تناثرت في السماء وتساقطت على الأرض. "وإذا الكواكب انتثرت" نفس الشيء.اهـ. وروى ابن أبي حاتم بإسنادٍ ضعيف عن ابن عباس قال: "يكوّر الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويبعث الله ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً". وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس. قال ابن كثير: وكذا قال عامر الشعبي.اهـ. أقول: ويشهد لهذا الأثر ما رواه البخاري في صحيحه: حدثنا مُسدّد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة - رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة". ورواه البزار وفيه أن أبا سلمة بن عبد الرحمن حدث في مسجد الكوفة والحسن يسمع ، أن رسول الله ﷺ قال: إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة. فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدّثك عن رسول الله ﷺ وتقول: وما ذنبهما؟ وهذا الحديث إسناده صحيح على شرط الإمام مسلم. وروى الحافظ أبو يعلى عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "الشمس والقمر ثوران عقيران في النار". قال الهيثمي فيه ضعفاء قد وُثِقوا. وأنا أقول: وحديث أبي هريرة في البخاري يشهد له ويقويه بصرف النظر عن الضعفاء الذين وثقوا بعد. وقد أجمع المسلمون على ثبوت الأرض وأنها لا تتحرك إلا لعارض كالزلزلة ونحوها. كما ذكره الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميمي في كتابه "الفرق بين الفرق" وقال في كتابه "أصول الدين" صـ60: "اختلفوا في المسألة على مذاهب ، فقال المسلمون وأهل الكتاب بوقوف الأرض وثباتها وسكونها وأن حركتها إنما تكون في

العادة بزلزلةٍ تصيبها ، وبه قال جماعة من الفلاسفة منهم أفلاطون وأرسطو طاليس وبطليموس وإقليدس! وزعم بعض السمنية أن الأرض تهوي أبدا بما عليها. وزعم قنادوس وحكي عن ميلاوس أن الأرض تتحرك حركة دورية ، لكنها لا تزول عن مركزها. وحكى أرسطو طاليس في كتاب (السماء والعالم) عن قوم من الفلاسفة أن الفلك أي المدار ساكن وأن الأرض هي التي تدور بما عليها من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة. وإذن فالمسلمون مُجْمعون على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها ، بينما الخلاف كان بين الفلاسفة الوثنيين الذين لا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب ، فمنهم من وافق المسلمين في النظرية ، ومنهم من خالفهم وقال بعكسها. فلا إله إلا الله. القول بأن الأرض كرة تسبح في فضاء الكون قول باطل لا دليل عليه ، بل الكتاب والسنة والإجماع على خلافه. * أولاً: لأن ثبات الأرض وسكونها واستقرارها ورسوخها على قواعد متينة ثابته هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة ، وسار عليه الرسول ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها. ثانياً: لو كان هذا صواباً وحقاً لدل عليه القرآن أو السنة ولو مرة واحدة ، ومن هنا فإنه قول باطل وضلال بعيد. والاحتجاج بقول الله: "وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب" هو احتجاج باطل لأن هذا إنما يكون يوم القيامة بإجماع المفسرين ، ليس قضية هينة سهلة خاصة إن كان من أجل كوبر نيقوس الوثني أو فيثاغورث عابد الصنم المشرك الذي نعال أحد أهل التفسير من المسلمين أشرف من ملئ الأرض منه ومن أمثاله. ثالثاً: أن هذا القول يوهم أن هناك شيئاً أسفل من الأرض وهذا باطل. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية أن الأرض هي المركز وكل ما هبط فإنه ينتهي إليها. وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل". رواه الترمذي وأحمد وابن جرير والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وكثير من المتغطرسين اليوم يقولون ما كان الرسول ولا أصحابه يعلمون هذه الأشياء! أقول بكل صراحة وصرامة ووضوح وجزم ويقين: افتراض أن الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين ما كانوا يعلمون عن دوران الأرض المزعوم حول الشمس شيئاً ، بل كانوا يعتقدون دوران الشمس حول الأرض يعتبر فيه تجهيل لهم ، وهذا في حد ذاته كفر. إذ كيف لي أن أعتقد اليوم جهل الرسول في قضية (عقديةٍ) مثل هذه ، وعلمي أنا اليوم بها؟ تعدد الشموس ودوران الأرض حولها وما إلى ذلك من الهراءات والهرطقات. إن الحكم على هذه الأشياء يختلف عن الحكم على الأوائل للإنترنت ولسفن الفضاء والحاسوب وما نحو ذلك. هذه المخترعات ليست من العقيدة في شيء. ولكن الأرض والشمس والعرش هذه عقائد يا قوم لا يجوز العبث فيها. فإذا ادّعى أحد أن رسول الله وأصحابه والتابعين علموا هذه الأشياء ولم يبينوها (يعنى كتموها عن الناس وحاشاهم) كان ذلك قدحاً في حقهم ، ومعلوم أن هذا باطل. وقد قالت عائشة رضى الله عنها: "من زعم أن محمداً كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب ، لأن الله تعالى يقول: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك". متفق عليه. وهذا قول المتفلسفة كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في المجموع مجلد 5 صـ 32: ومنهم من يقول: بل الرسول علمها ، لكن لم يبينها ، إنما تكلم بما يناقضها ، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها ، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.اهـ. وإن قال: إنهم لم يعلموا ذلك ، وعلمه أهل هذا الزمان (موازناً هذا بالكمبيوتر والفيروس والإنترنت ونحوها) فهذا لا يقوله إلا ملحد لم يقدّر الرسول حق قدره. قال شيخ الإسلام – رحمه الله – لما ذكر

المنحرفين عن طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان قال: "وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل وأهل التأويل وأهل التجهيل فُساق الكلام ، إلى أن قال: ثم هم على قسمين ، منهم من يقول أن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ، ويقولون إن من الفلاسفة الإلهيين من علمها وكذلك الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية سواء باطنية الشيعة أو باطنية الصوفية الغلاة".اهـ. مجموع الفتاوى ج 5 صـ 32 . فإن قال: لم تكن عندهم وسائل توصلهم إلى معرفة ذلك (تلسكوب وسفن فضاء ومحطات فلكية) قيل إن الله قادر على إعطائهم وسائل توصلهم إلى معرفته. فإن قال: هذا من علم الدنيا ولا يتعلق بالدين ، قيل هذا الكلام مرفوض من وجهين:- 1- أن هذا له تعلق بالدين ، وهذا العلم الجديد مسبب لرد ما ثبت في الكتاب والسنة من جريان الشمس وثبوت الأرض. 2 – إذا كان الله قد اختار لأفضل الخلق الجهل بعلوم الدنيا ما يكون سبباً لكثرتها وخاف علينا النبي ﷺ ما يفتح من زهرة الدنيا ولم يخف علينا الفقر ، فالأكمل لنا أن نختار ما اختار ونزهد فيما زهد فيه. * وهذه طائفة عطرة من الأحاديث الدالة على ثبات الأرض: 1– روى الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه – عن النبي ﷺ قال: "لمّا خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فألقاها عليها فاستقرت". وهذا الحديث يعتبر نصاً قاطعاً في استقرار وثبات الأرض وسكونها. 2 – روى الإمام أحمد والترمذي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح عن صفوان بن عسّال المرادي أن النبي ﷺ ذكر باباً من قبل المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله ، وذلك قول الله تعالى: يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقد رواه ابن ماجه في سننه بإسناد صحيح ولفظه: "إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً للتوبة حتى تطلع اشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، وهذا الحديث يعتبر من أقوى الأدلة وأنصعها على أن الأرض قارّة ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبداً ، وهذا يستفاد من النص على أن باب التوبة ثابت من ناحية المغرب لا يزايله ، ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله ، ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الضلال الذين يقولون بدوران الأرض لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بدوران الأرض وسيرها حول الشمس. وهذا إبطال للنص بغير دليل شرعي بل بمجرد الظنون الكاذبة الغثة والتوهمات الخاطئة. 3 – روى الأزرقي في أخبار مكة عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "البيت الذي في السماء يقال له الضراح ، وهو مثل بناء هذا البيت الحرام. ولو سقط سقط عليه ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً". ورواه الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط وإن له في السماء حُرمة على قدر حرمة مكة يعني في الأرض". وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: "في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة". ولهذا الحديث شاهد قوي جداً في الصحيحين ويستفاد منه برواياته كلها أن الكعبة بحيال البيت المعمور في السماء وأن البيت المعمور لو سقط يسقط على الكعبة. ولو كان الأمر ما يزعمه الخرّاصون من أهل

دوران الأرض لما كان البيت المعمور بحيال الكعبة ، ولو خر لم يخر عليها بل يخر على الشمس لأنها المركز الذي تدور عليه الأفلاك على حد زعمهم الباطل الكاذب ، ولو قالوا بدوران الأرض والشمس فعلى أي شيء يسقط البيت هذا من السماء؟ 4 – روى الطبراني وأبو نعيم في الحِلية وله شواهد في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله حرّم هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض ، وصاغه يوم صاغ السماوات والأرض ، وصاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام ، وإنه لم يحل لأحد قبلي وإنما أحل لي ساعة من نهار ، ثم عاد كما كان". أقول: وفي هذا الحديث دليل على ثبات الأرض واستقرارها ، ولو كانت الأرض تدور لما كان حرم السماء بحيال حرم الأرض في كل وقت ، بل يكون بحياله تارة وبحيال غيره تارات. 5 – روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبيهقي وقال الترمذي: هذا حديث إسناده حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل". ووجه الاستدلال بهذا الحديث على ثبات الأرض أن الله تعالى جعل الأرض مركزاً للأثقال ومستقراً لما ينزل من السماء ، ولو كانت الأرض تجري وتدور حول الشمس لكانت الشمس هي المركز والمستقر للأثقال ، وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح ، لا لشيء سوى لسواد عيون فيثاغورث وأذنابه الرطبة الذين لا يؤمنون بيوم الحساب. 6- روى الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم والبزار عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدْعونه ، ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف. ثم قال: كم تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة ، ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: فإن فوق ذلك سماءين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سماوات ، ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض. ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بُعد ما بين السماءين. أقول: وتحديد النبي ﷺ المسافة بين السماء والأرض بخمسمائة عام ثابت من جميع الجهات لأن النبي ﷺ أطلق ولم يخص أو يحدد ، ومن هنا نستنتج ثبات الأرض ، لأنها لو كانت تدور وتتحرك فبالضرورة تتغير المسافة بـ (خمسمائة عام) طولاً أو قصراً والأمر واضح. وليس هذا كلامي وحدي ، فلقد وجدت له شاهداً عند الإمام الحسين بن المنادي ووافقه على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ويراجع في هذا: - مجموع فتاوى ابن تيمية. 7 – روى ابن خزيمة في كتاب التوحيد بإسناد صحيح على شرط مسلم. عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: ما بين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم. 8 – روى البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذ" . وروى أحمد ومسلم والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح عن المقداد بن الأسود – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله

ﷺ يقول: تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل. وفي رواية لأحمد والطبراني نفس الحديث وزيادة ← "ويزاد في حرّها". وروى الطبراني عن سلمان - رضي الله عنه – قال: "تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ، ثم تدنى من جماجم الناس". ولهذا الحديث السابق عن سلمان حكم الرفع إلى النبي ﷺ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي وإنما يقال على التوقيف. وفى هذه الأحاديث السابقة دليل على أن الأرض ثابته قارة لا تفارق موضعها ، ولو كانت الشمس هي القارة لكانت الأرض هي التي تدنو منها ، ولو كانت الشمس تدور والأرض تدور فعلا فكيف تدنى الشمس من رؤوس الخلائق وهم على الأرض يوم الحساب؟! هذا ولقد حكى إجماع ثبات الأرض ودوران الشمس حولها الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي في آخر كتابه: (الفرق بين الفرق) وأيضاً ذكر إجماع أهل التفسير وأهل التفسير وأهل الفقه فى الدين وأهل الحديث العلامة ابن القيم على ثبات الأرض ودوران الشمس في كتابه العظيم: (مفتاح دار السعادة). ولم يخالف هذا الإجماع سوى الكفرة الملاحده من أمثال كوبر نيقوس البولوني وهرشل الإنجليزي وأذنابهم الرطبة من الخرافيين الفلكيين العلمانيين المعاصرين. وخالفهم فيثاغورث اليوناني الوثني وجوقة معه من المشركين وقالوا بثبات الأرض ودوران الشمس حولها. ولا اعتداد بمن قال تدور الأرض حول الشمس ، ولا بمن قال تدور الشمس حول الأرض والأرض ساكنة من هؤلاء لأنهم أصلاً كفرة فجرة وليس بعد كفرهم بالله ذنب. وأيضاً أقول: القول بأن الشمس (نجم) لا دليل عليه لا من قريب ولا من بعيد. يقول الله: "وسخر الشمس والقمر" ، "والنجوم مسخرات بأمره" ، ويقول: " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم". وإذن فالشمس تختلف عن النجوم لأن العطف في الآيتين السابقتين من سورة الأعراف والحج يقتضي المغايرة كما يرى جمهور علماء التفسير. والقول بأن النجوم متناثرة في فضاء الكون هو خلاف ما أخبر الله به من أنه جعل النجوم زينة للسماء وأنه جعل النجوم متناثرة في الفضاء أبداً. والقول بأن هناك ما يسمى بالمجموعة الشمسية باطل ، فلا وجود إلا لشمس واحدة فقط. وهذا ما دل عليه القرآن ، وأثبتته الأحاديث. ولو كان ذلك صواباً فلماذا أتت الشمس مفردة في القرآن كله ولم تأت ولو مرة جمعاً؟! تأمل ← وردت فى القرآن 33 مرة مفردة. الحجة الواهية القائلة بأنه لولا دوران الأرض حول الشمس ما تعاقب الليل ولا النهار ولا كانت الفصول الأربعة حجة في غاية الضلال ، والردّ عليها من وجوه:- الأول: أن دوران الشمس حول الأرض هو الذي يسبب الفصول الأربعة والليل والنهار. الثاني: أن الأرض ثابتة قارّة "أم من جعل الأرض قراراً" قال ابن كثير كما أسلفنا: أي قارة ساكنة ثابته لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا تنجرف بهم ، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش ولا الحياة. الثالث: أن الأرض هي المركز وليست الشمس ، يعنى مركز الكون هي الأرض كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة العرشية. وقد أخبر الله عز وجل عن المشركين قولهم: "فأسقط علينا كسفا من السماء". الرابع: إن معرفة الفصول الأربعة بدوران الشمس وثبوت الأرض ، لا بالعكس. فإن هذا القول الأخير ردٌ للكتاب والسنة وإجماع العلماء من أن الارض ثابتة والشمس تجري. قال العلامة ابن القيم في (مفتاح دار السعادة): (ثم تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس ، انخفاضها وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم ، إذ لو كان الزمان كله فصلاً واحداً لفاتت المصالح المترتبة على الفصول الباقية).اهـ. ص 208 ← مفتاح دار السعادة. القول بأن الأرض التي نعيش عليها (كوكب) قول باطل علمونا إياه مترجماً عن الغرب

الصليبي الوثني الكافر. ولقد درجنا ونحن صغار على أن الكوكب هو الجسم المعتم الذي لا يضئ بذاته ، بل يعكس ضوء النجم عندما يسلط عليه ، ودرجنا كذلك على أن النجم هو الجسم المشع المضيء بذاته. وعلى هذه القاعدة الملعونة تكون الأرض والقمر كوكبين لأنهما معتمان بزعم الكفار. وتكون الشمس نجماً. أقول: لقد نص القرآن على أن الشمس والقمر مضيئان ونوران ومنيران. "تبارك الذى جعل في السماء بروجاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً" ، "ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل الشمس فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً" "هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نـوراً". "وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى". وإذن فالشمس تجري والقمر يجري والأرض ثابته ويتعاقب تبعاً لجريانهما أي الشمس والقمر: الليل والنهار والفصول الأربعة. ونعود للضلال المفتري المتغطرس الذي يقول بأن الأرض كوكب فنقول: قد أخبر الله عن الكواكب أنها تتناثر يوم القيامة كما في قوله: "وإذا الكواكب انتثرت". قال ابن جرير: أي تساقطت. وكذا قال ابن كثير والقرطبي والبغوي وغيرهم ولم يذكر مثل هذا عن الأرض. بل قال الله: "يوم تبدّل الأرض غير الأرض". فعلم أن جعل الأرض كوكباً باطل. ثم أنه تعالى قد أخبر أن الكواكب تنكدر يوم القيامة. قال تعالى: "وإذا النجوم انكدرت". قال ابن جرير: "تناثرت من السماء فتساقطت ، وأصل الانكدار والانصاب كما قال العجاج: أبصر خربان فضاء فانكدر. وذكر عن ابن زيد قال: رمي بها من السماء إلى الأرض ، فهذا يؤخذ منه أن الكواكب يرمى بها؟! وأيضاً: أخبر الله عن الكواكب أنها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع. "إنا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد". ومعلوم أنهم يسترقون السمع من السماء فيأتون به إلى الأرض كما قال ﷺ كما يروي البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله حتى إذا فُزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير". فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق الكلمة فيلقيها إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه".هـ. فهذا يدل على أنهم يرمون قبل أن يصلوا إلى الأرض ، فعلم أنها ليست كوكباً! لا شك أن مما ينبغي لطلاب العلم الشرعي هو أن يقرّبوا العلوم الدنيوية إلى العلوم الشرعية لا العكس ، فإن فعلوا العكس فلربما زاغت القلوب. ولقد أخبر المولى جل جلاله – فقال: "والشمس تجري لمستقر لها". قال الشيخ السعدي في تفسيره: (أخبر الله أن الشمس والقمر والنجوم تجري لمستقر لها). وقلتُ: فلم يذكر الله أن الأرض تدور حول الشمس بل ذكر أن الجبال جعلها الله رواسي في الأرض. ولقد قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في ردّه على من يقول أن الشمس ثابتة والأرض تدور عليها أن هذا الكتاب ينافي الكتاب والسنه ، وإن قال معتقداً ذلك فقد كفر. وقد سئل سماحة الشيخ ابن عثيمين حول دوران الشمس حول الأرض؟ فقال: (ظاهر الأدلة الشرعية تثبت أن الشمس هي التي تدور حول الأرض ، وبدورانها يحدث تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض ، وليس لنا أن نتجاوز ظاهر الأدلة إلا بدليل أقوى من ذلك يُسوّغ لنا تأويلها عن ظاهرها. ومن الأدلة على أن الشمس تدور حول الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار ما يلى: 1– قال الله تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – في محاجته لمن حاجه في ربه: "فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب". فكون الشمس يؤتى بها دليل ظاهر على أنها تدور حول الأرض. 2– وقال أيضاً عن إبراهيم – عليه السلام: "فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما

تشركون". فجعل الأفول من الشمس لا عنها ولو كانت الأرض التي تدور لقال (فلما أفل عنها). 3 – قال – سبحانه وتعالى -: (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) فجعل الازورار والقرض من الشمس وهو دليل على أن الحركة منها ، ولو كانت من الأرض لقال يزاور عن كهفهم عنها ، كما أن إضافة الطلوع والغروب إلى الشمس يدل على أنها هي التي تدور وإن كانت دلالتها أقل من دلالة قوله: "تزاور" و "تقرضهم" 4 - وقال – سبحانه وتعالى -: "وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون". 5 – قال سبحانه وتعالى "يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً". فجعل الليل طالباً للنهار والطالب مندفع لاحق ، ومن المعلوم أن الليل والنهار تابعان للشمس. 6 – وقال – سبحانه وتعالى – : "خلق السماوات والأرض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار". فقوله: "يكور الليل على النهار" أي يديره عليه ككور العمامة وهو دليل على أن الدوران من الليل والنهار على الأرض ولو كانت الأرض التي تدور عليهما لقال: (يكور الأرض على الليل والنهار). وفي قوله: "كلٌ يجري لأجل مسمى". المبين لما سبقه من دليل على أن الشمس والقمر يجريان جرياً حسياً مكانياً لأن تسخير المتحرك بحركته أظهر من تسخير الثابت الذي لا يتحرك. 7 – وقال سبحانه وتعالى –: "والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها" ومعنى (تلاها) أتى بعدها وهو دليل على سيرها ودورانها على الأرض ولو كانت الأرض تدور عليهما لم يكن القمر تالياً للشمس بل كان تالياً لها أحياناً وتالية له أحياناً ، لأن الشمس أرفع منه والاستدلال بهذه الآية يحتاج إلى تأمل. 8 – قال – سبحانه وتعالى -: "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون". فإضافة الجريان إلى الشمس وجعله تقديراً من ذي العزة والعلم يدل على أنه جريان حقيقي بتقدير بالغ ، بحيث يترتب عليه اختلاف الليل والنهار والفصول ، وتقدير القمر منازل يدل على تنقله فيها ، ولو كانت الأرض هي التي تدور لكان تقدير المنازل لها من القمر لا للقمر ، ونفي إدراك الشمس للقمر وسبق الليل والنهار يدل على حركة اندفاع من الشمس والقمر والليل والنهار. 9 – وقال النبي ﷺ - لأبي ذر وقد غربت الشمس: "أتدري أين تذهب؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، فيوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها". أو كما قال - ﷺ - متفق عليه. فقوله: "ارجعي من حيث جئت! فتطلع من مغربها" ظاهر جداً في أنها تدور على الأرض وبدوارنها يحصل الطلوع والغروب.اهـ. من فتاوى ابن عثيمين – رحمه الله. وبعض الناس يمكن أن يقول بأن الشيخ ابن باز قد رجع عن فتواه بكتاب آخر في هذه المسألة. فالرد على ذلك بأن الشيخ رحمه الله قد تناول إمكانية الصعود إلى القمر والقول بدوران الأرض حول الشمس في كتاب واحد صدر عن دار الإرشاد والفتوى والدعوة بالسعودية. وبعد دراسات ومراجعات أصدر الشيخ بياناً في كتاب آخر يرجع فيه عن القول باستحالة الصعود إلى القمر فقط. أما دوران الأرض حول الشيخ فالشيخ لم يرجع فيه لعدم رجاحة الأدلة فليُتفطن إلى ذلك. والكتابان موجودان في المكتبات لمن أراد التثبت والرجوع.)

82 - أراجيف الشتاء

(روى مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات نساء دوس حول ذي الخلصة). قال النووي: (والمراد يضطربن من الطواف حول صنم ذي الخلصة ، أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها). وروى مسلم كذلك من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه – قالت: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم - يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى). وإذن فإنني أكتب (أراجيف الشتاء) لأشير إلى أن الشتاء الذي جاد بالنماء والخير ، يوشك أن يرتجف ولا تكون منه قطرة. لقد عاشت الأرض ردحاً من الزمان تتفيأ ظلال الحق المبين والحنيفية السمحة ، وتستروح أرج العدل والحقيقة ويخللها القسط برونقه ، ويتخلل أنوف أهلها عبق الهدى وترفل في أفق الأمن الطاهر الوضيء ، ثم ما لبث القوم بعد فترة وجيزة في ميزان التاريخ ، أن بدّلوا وزهدوا في القيم التي عاشوا عليها دهراً. وأنا أتعجب كيف وصلت الأمة إلى هذا الحد من الانحطاط والتردي حتى غزاها ذلك الفصام النكد الممقوت! ويصدّق مقالتي ما قاله الأستاذ عبد الجواد يسن في كتابه: (مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة) حيث يقول: (إن الأمة التي قامت على الإسلام في القرن السابع للميلاد ، أضحت اليوم خبراً من أخبار التاريخ ، ينظر إليه البعض منا في عجب وانبهار ، لا يكاد يصدق أنه بمقدور البشرية ، أن تسمو إلى تلك القمة السامقة الرفيعة التي تسنمتها بالإسلام في ذلك العهد البعيد. ولا يكاد يصدق بعد ذلك أن بمقدورها - إن هي حاولت – أن تعود فترتقي هذه الذروة من جديد. أصبحت هذه الأمة قصة تروى ، وتاريخاً مضى في الغابرين! وإذا الزمان اليوم كالزمن البعيد يوم جاء هذا الدين للبشرية أول مرة. فقد جاءها حينذاك وهي تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، ظلمة في عقيدتها وتصوراتها ، وظلمة في شرائعها ونظمها وكذلك ظلمة في أخلاقها وقيمها. وها هي ذي اليوم تتخبط من جديد في هذه الظلمات العاتية بأعيانها. ظلمة العقيدة والتصور ، وظلمة الشرائع والنظم ، وظلمة الأخلاق والقيم. لقد واجه الإسلام يوم جاء للناس في القرن السابع للميلاد مجتمعاً جاهلياً. وها هو يواجه في القرن العشرين مجتمعاً جاهلياً. السمات هي السمات ، والصفات هي الصفات. خلل العقيدة هناك هو خلل العقيدة هنا ، وصور الشرك المتعددة هناك ، يقابلها أيضاً صور للشرك جديدة هنا ، وغياب الشريعة الربانية هناك ، يماثله غياب الشريعة الربانية هنا ، وفساد الأخلاق هناك ، يضارعه فساد الأخلاق هنا. ومع ذلك فإن هذين المجتمعين الجاهليين يختلفان في سمة أساسية بارزة. وذلك أن المجتمع الجاهلي الأول كان مجتمعاً واضح المعالم محدد السمات ، من حيث موقعه الظاهر البارز خارج دائرة الإسلام ، تلمح فيه للنظرة الأولى سمة الجاهلية وخلقها ، لا يزعم الناس فيه أنهم مسلمون ، وإنما هم في ظاهرهم وباطنهم ، وعلى ألسنتهم وجوارحهم كفار مشركون يسجدون للأصنام والأوثان والأشجار والأحجار ، ويحلفون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، الشرع عندهم ما شرعه الكهان والآباء والأجداد ، والحكم عندهم ما قضت به الأهواء والشهوات في وضح وسفور. وأما مجتمع الجاهلية الحاضرة الذي يواجهه الإسلام اليوم فهو مجتمع باهت المعالم مختلط السمات من حيث موقعه المتأرجح عند تخوم الدائرة لا هو يدخلها فيستقر في قلبها ، ولا هو يأبى إلا أن يقيم بقربها كي يمس حدودها. إنه مجتمع يزعم الناس فيه أنهم مسلمون. بل إنك لترى من بعضهم تلك الهبة المضرية العارمة إذا ما قاربتهم فلمست منهم ذلك الوصف الأخير. وإنك حينئذ لتسمع قائلهم يقول: أولست ترى المساجد تملأ أرحابنا؟ أولست تستمع الأذان؟ أوليس يخطف ناظريك المهطعون إلى الحسين؟ أوما ترى أسماءنا ومصاحفنا ومسابحنا واحتفالاتنا بالأولياء؟ أولسنا نقرأ القرآن على الموتى ونحتفل بيوم ميلاد الرسول؟ ولسنا ننكر على هذه الجاهلية شيئاً

من ذلك ، وإنما ننكره عليها قولها إن ذلك وما يشابهه يثبت لها الإسلام ، وذلك أن الإسلام لا يقبل من مجتمع من المجتمعات أن ينسب إليه حتى تقوم فيه أركانه وشرائطه ، تلك التي بينها الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم – وقامت على أساسها دولة الإسلام أول مرة!)هـ. جزا الله الأستاذ عبد الجواد عنا خير ما جزى معلماً عن طلابه. فلقد علمنا الله على يديه الكثير والكثير من دقائق الإسلام وهدي القرآن والسنة ، في مرحلة كنا أحوج ما نكون إلى من يهدينا السبيل! هذا ، ويعرج الدكتور عبد العزيز غنيم على سمات مجتمع الجاهلية فيقول: إن العرب كانوا في شبه الجزيرة بَدْوًا يَسكنون الصحارى ، ويتنقَّلون عبر نواحيها الشاسعة ؛ طلبًا للماء ، وسعيًا وراء الكلأ ، وحَضَرًا يَقطُنون القرى ، ويَستوطِنون المدن ، ويَحوزون أرزاقَهم من التجارة أو الزراعة أو منهما معًا ، ولم يكن أولئك ولا هؤلاء يُشكِّلون دولة لها نُظُمها وأجهزتها ، ولها قوانينها ودساتيرها ، وإنما كانوا قبائل ، لكل قبيلة سيد ، ولكل سيد مجلس يُعاوِنه ويشير عليه. ولا خلاف بين المؤرِّخين في أن الرابطة كانت قوية بين القبيلة وبين أفرادها ؛ فقد كان الفرد يَقِف إلى جانب قبيلته راشدة وغالية ، وكانت قبيلته تقف إلى جانبه ظالمًا ومظلومًا ، وكانت تَطيرُ من أجل ذلك الهامات ، وتتدفق الدماء ، وتَشتَعِل شبه الجزيرة بالمعارك والحروب. وكان منهم الصُّرحاء ، وهم الذين يُولَدون من أب عربي وأم عربية ، والذين يَضْرِبون بأنسابهم إلى جِذْمِ القبيلة أو إلى أصلها الأصيل الذي تنتهي إليه وتتسمَّى باسمه أو بلقبه ، وكان منهم أيضاً الموالي ، وهم أربعة أصناف: 1 - الحليف: وهو المقيم في القبيلة . 2 - المُجَار: وهو المقيم فيها بصفة مؤقَّتة. 3 - العتيق: وهو مَن حرَّره سيدُه بمال ، أو لعملٍ جليل قام به في السِّلم أو الحرب الهجين: وهو ابن العربي من جاريته البيضاء ، فإن كانت أُمُّه سوداءَ فهو الغراب. أما الموالي ، فهم وإن كانوا في منزلة أدنى ، ومكانة أقل. وهناك مجتمع آخر كان يعيش في شبه الجزيرة ، وكان يرفض عاداتها وتقاليدها ، وهو مجتمع الصعاليك ، ويقول المؤرخون: إنه كان يتألَّف من الشُّذَّاذ وخُلَعَاء القبائل ، ومُحترفي السطو والقتل ، وكان مقره رؤوس الجبال. وتبقى الحياة الدِّينية ، ولا خلاف بين الكُتَّاب في أن العرب منذ الحكم الخزاعي لمكة حتى بِعثة النبي صلوات الله وسلامه عليه! قد كانوا وثنيين يعبدون ما يَنحِتون من الهياكل والتماثيل ، وكانت لهم بيوت يحجون إليها ، وينصبون أصنامهم حولها ، وكان أشهرَ هذه البيوت بعد البيت الحرام الذي بمكة: بيتُ الطائف ، وبيت صنعاء ، ورضاء ، والأقيصر ، وذو الخلصة ، وكعبة نجران.)هـ. ومن هذه المماثلة بين المجتمعيْن أدركنا مدى التشابه المقيت المكشوف! وإنني حقيقة أنعي مجد الأمة ، وأناشدها العودة إلى ذلك المجد التليد ، وأسأل الله أن يعيد لها مجدها وعزها وكرامتها!)

83 - من أرشيفِ الغربة

(اغترب هذا البائس عن أهله لسنوات. فقام بعضُ أهل الأغراض من ذويه بالاستيلاء على كتبه وممتلكاته التي قد تركها عند الأهل أشبه وأقرب ما تكون بالأمانة. فلما رجع رثى للحال وأخذ يقلب أوراق الغربة من أرشيفها. والأصل أن يحافظ الأهل على مُقتنيات ابنهم إن كانوا أهلاً حقيقيين! أما أن تكون ممتلكات الغائب نهباً للسِباع والضواري ، فهي إذن أعراف الغابة وتقاليد الأوابد والوحوش! تلك الأعراف والتقاليد التي لا تحترم ملكيات فردية ولا خصوصيات لآخرين! قول صلى الله عليه وسلم: {أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر} رواه الشيخان. وأيضاً: {لا إيمان لمن لا أمانة له}.) والغربيون

يرون أن الغربة عجوز تبكي وهي تحاول أن تتذكر اسمها. وقيل: ليست الغربة عن الأوطان فقط ، فحين يشعر المرء أنه في زمان غير زمانه فهو من أشدّ الغرباء. ويبقى الوطن وطناً مهما زاد فيه الألم ، وتبقى الغربة كربةً مهما ارتقى فيها السكن. وللغربة أوجاع لا يعلم بها إلا من عاشها. لا وجود لأراضي الغربة ، إنما المسافرون فقط هم الغرباء. وفي كل حرف من حروف الغربة ، حرقة قلب ، ومشتاق ، وحنين ، وألم ، وعذاب. والاستقرار لا يمحو الغربة. وفي الغربة عن الأهل ، والأحبة ، والوطن ، نصمد لحظة ، ونتهاوى لحظة ، نبتسم وهلة ، ونبكى أياماً. وللغربة أوجاع لا يعلم بها إلا من عاشها. والغربة كلها شبه جملة ، والغربة شبه كلّ شيء. وغربة المكان تنجلي مع الأيام و، ما يخيف فعلاً هو غربة الروح. وفي الغربة ، يسقينا الحنين وجعاً من أنين الذكريات. وأعرف جيداً أن المراكب في المرفأ تشكو الضجر ، ولكن المراكب المبحرة تشكو الغربة ، وتشهد أن موسم الهجرة إلى الوطن قد حان. وعن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفاً حلالاً: لأهل بيت غرباء. وعن حزم بن أبي حزم قال: مر بنا يونس على حمار ، ونحن قعود على باب لاحق ، فوقف ؛ فقال: أصبح من إذا عرف السنة عرفها غريباً ، وأغرب منه: الذي يعرفها. وعن فرقد السبخي قال: الغريب: من ليس له حبيب. والغربة معلم محنك كبير يدرك حقيقة الزمن والأحداث!)

84 - ليتني ارتضيتُ زواجه!

(حدثني من أثق في كلامه أن امرأة جميلة (ولا يجوز في ديننا وصف النساء ، لكنه هنا لا يعرِّف بامرأة معينة معروفة للسامعين ، فليتنبه إلى أن في الأمر سعة!) هذه المرأة عرض عليها زوجها أن يتزوج من أخرى صالحة. فقالت: إن لي أهلاً هم أبي وثلاثة إخوة. ألحقني بهم وعش كيف شئت: فأخذ يحذرها من سوء العاقبة ، ولكن دون جدوى. فطلقها بناء على طلبها ، وتزوج. ولحقت الأولى بأهلها. وبعد عشرة أيام توفي أبوها وإخوتها الثلاثة في حادث مروع. وبقيت وحدها وأنْ ورثت الكثير ، حيث كانت الوريثة الوحيدة. فهل أغنى عنها المال شيئاً؟ وهل أبدلها من ضيق فرجاً ، ومن خوف أمناً ، ومن حزن فرحاً؟ بالطبع ، لا. ناهيك عن الخطاب الذين تزاحموا على بابها وقد أتوا من كل صوب وحدب. وجُلهم يريد الزواج منها إما لجمالها ، فهي جميلة ، وإما لغِناها فهي غنية. وأحست هذه الموفقة العبقرية بمدى المخاطر التي تتهددها ، فاختارت الرجوع إلى زوجها ، ولو أن تعيش مع ضرّة لها أفضل من هؤلاء المغرضين ، فراحت ترسل الرسل لتعيش في بيتها مع زوجها قبل أن تنقضي عِدتها ، وتمنت لو لم تفعل ما فعلت. وكان زوجها كريماً طيباً إذ أعادها إلى بيتها زوجة مكرمة معززة ، متناسياً ما كان منها من قبل - شأن كرام الناس الذين ينسون إساءة من أساء إليهم إن جاءهم معتذراً مقراً بالخطأ -. وعاشت مع ضرّتها على السويّة كما شرع الله تعالى في كتابه: (لهذي ليلة ، ولتلك أخرى!) وكان هناك مبدأ الحِياد الإيجابي والتعايش السلمي ، ولكن على هُدى من الله وكتاب منير. وفي معرض جوابه عن سؤال عن التعدد قال الدكتور الفيلسوف أحمد الفرجاني ما نصه: (لا شك أن وسائل الإعلام وضعف الإيمان وقلة العلم الشرعي وغيرها من وسائل وأسباب هي التي ساعدت على انتشار هذه المفاهيم الغربية ، وإذا لاحظ الإنسان الهدي الذي كان عليه رسولنا والراشدون يلاحظ أنهم جميعاً كانت لهم عدد من الزوجات ، ومضى هذا الخير في أمة النبي صلى الله عليه وسلم حتى حَلَّ المستعمر بديارنا وترك نابتة شريرة من بني

جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا ، وليتهم إذا خرجوا من الدين كانوا وحدهم ، لكنهم يُصرون وما زالوا على إخراج الناس معهم ، وذلك عن طريق تطاولهم على أحكام الشريعة وطرح ثوابت الأمة للأخذ والرد دون علم أو معرفة ، فجاء من يقول: ما رأيك في التعدد؟ وجاءت من تتكلم عن مساواة المرأة مع الرجل في الميزان! إلى غير ذلك من القضايا والإشكالات التي لو عرض بعضها على عمر رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر. ورحم الله مسلماً ومسلمة ومؤمناً ومؤمنة يقفون عند حدهم ويرددون بلسان أهل الإيمان: سمعنا وأطعنا ، ولا يقدمون على قول الله وكلام الرسول رأياً أو فكرة ؛ لأنهم يفهمون قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). ولا عجب فإن مجرد الحرج في أحكام هذه الشريعة قد يُخرج الإنسان من دائرة أهل الخير والإيمان ، قال تعالى: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ، ومشروعية تعدد الزوجات فيها من الحكم البالغة والفوائد الحاصلة الشيء الكثير ، والإسلام دين عظيم جاء ليعالج مشكلات الحياة ويواجه ظروف وضرورات الفرد والمجتمع. والإسلام صان للمرأة كرامتها ، وتوعّد من يميل إلى زوجة دون الأخرى بالوعيد الشديد ، وطبّق الصحابة الأبرار هذا العدل لدرجة أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان لا يشرب الماء في بيت زوجته الأولى إذا كان اليوم للثانية. وقد أقر الإسلام نظام تعدد الزوجات وجعله رخصة لمن ضاقت به ظروف الحياة ، وجعل فيه حماية للأسرة من التصدع ، ومن هنا كان فيه مصلحة عظيمة للمرأة ؛ فهل الخير للمرأة التي تعجز عن أداء وظائفها والقيام برسالتها أن يتركها الزوج إلى غيرها أم الأفضل لها أن تظل في رباط الزوجية معززة مكرمة مع أختٍ لها أخرى يجمع بينهما الإيمان والطاعة للرحمن؟! وفي ذلك نفتح لفرص زواج جديدة لأخوات مسلمات ، وفيه حماية للرجل من الانحراف ، وفيه منع له من الخيانة التي تدفع ثمنها المرأة أمراضاً وأضراراً. وقد تطاول بعض السفهاء فمنعوا التعدد وأباحوا اتخاذ الخليلات ؛ يقلدون في ذلك الكفار أعداء الله ، وليس بعد الكفر ذنب ، ولكن عار على أهل الإسلام أن يتركوا شريعة الله ويسيروا خلف القوم. وخير من يتكلم في هذه الأمور بعد أكابر العلماء هن الداعيات الفاضلات ، وهذا طرف من أقوالهنَّ ؛ فهذه الداعية زينب الغزالي تقول: تعدد الزوجات له حكمة أراها أولاً من صالح المرأة ، وقد اشترط الحق تبارك وتعالى العدل بينهنَّ في المبيت والنفقة حتى الكلمة الصالحة التي يجامل بها من أحب يجعلها عملاً صالحاً له عند الله للأخرى. إلى أن تقول: وتعدد الزوجات أراه شامة في تشريعنا الإسلامي ، فماذا يفعل الرجال الذين لا تكفيهم معاشرة امرأة واحدة؟ وكيف يتصرف من يتقي الله؟ والله تبارك وتعالى الذي قرّر أن الرجم هو عقاب الزاني المحصن هو الرحيم الذي اقتضى عدله أن يمنح الرجل رخصة التعدد. إلى أن تقول: وأقول للمرأة هل الأفضل أن يعود زوجك نظيفاً طاهراً على صلاة ووضوء من عند أختك في الإسلام لها فيه مثل ما لك فيه ، غير خائنة ولا معتدية ، أم الأفضل أن يأتيك ملطخاً بالآثام والأمراض من عند خليلته بالحرام؟ أما الداعية الأمريكية آمنة شولتز فتقول: "تعدد الزوجات تشريع إسلامي وهو رحمة من الله ، ومن نكون نحن حتى نناقش أوامر الله تعالى – وصدقت والله وأحسنت – والتي ترفض ذلك لا تؤمن بالآية التي تبيح التعدد ، والذي لا يؤمن بآية واحدة لا يعد مسلماً ، على أنه يشترط في تعدد الزوجات العدل والقدرة على تحمل الأعباء ؛ فإن لم يستطع فواحدة". أما الدكتورة كوثر كامل فقد ذهبت إلى أبعد من ذلك حين قالت: "إن التعدد ليس مما يلجأ إليه عند الضرورة ، والدليل على ذلك هو أمر النبي صلى الله عليه وسلم عقب نزول آية تحديد الزوجات بأربع ،

حيث أمر كل من أسلم ومعه أكثر من أربع أن يختار أربعاً ويطلق الباقي ، ولو كان التعدد لا يلجأ إليه إلا عند الضرورة لأمر باستبقاء واحدة فقط ثم أعطى الرخصة لمن كانت زوجته مريضة أو عاقراً ، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. والفضل ما شهدت به الأعداء ، وهذا ذكر لبعض أقوال الكافرين ، ويشهد الله أننا لم نكن بحاجة لذكر أقوالهم لولا ما عند بعض أبناء الأمة من ميل إليهم وإعجاب بأقوالهم، ونسأل الله أن يلطف بنا وبإخواننا وأن يردنا إليه رداً جميلاً ، يقول د. جوستاف بول: "إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الإسلام من أفضل الأنظمة وأوفاها بأدب الأمة التي تذهب إليه وتعتصم به ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالاً وأوجه شأناً وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية". أما الألماني شوينهور فيقول: "ولقد أصاب الشرقيون في تقريرهم لمبدأ تعدد الزوجات ؛ لأنه مبدأ تحتمه وتبرره الإنسانية" ويقول الدكتور فيشر: "إن الأخطار الهائلة التي يتعرض لها المجتمع الغربي يمكن أن تحل بإباحة تعدد الزوجات ، بل إن إباحة التعدد ضرورية جدّاً لتخليص المجتمع الغربي من الهاوية التي أوشك أن يقع فيها". ونحن من جانبنا ندعو الرجال والنساء إلى الاحتكام إلى هذه الشريعة: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) ، ومن الضروري كذلك أن تكون النيات خالصة ؛ (فبعض الأزواج يقصد الإضرار بزوجته ، وبعضهم يتكلم بالزوجة الثانية سنوات ولا يتعدى مقاله ؛ ولكنه يربك تصرفات زوجته ويجعلها تفسر كل التصرفات والمواقف انطلاقاً من ذلك التهديد.) والرجل ليس مُلزماً بأن يُفاوض ويُحاور ويُشاور في أمر الزوجة الثانية).هـ. ولقد فصلتُ أمر التعدد تفصيلاً ، ودعمتُ فيه القول بالأدلة من الكتاب والسنة واجتهاد احابة والعلماء على مدار التاريخ! وذلك في مقدمة قصيدتي: (تزوجتُ اثنتين) في معرض ردي على الأعرابي احب العنوان ذاته: (تزوجتُ اثنتين لفرط جهلي!) والحقيقة أن الناس لو اطلعوا على علم الغيب لاختاروا الواقع . فتأثرت بهذه الواقعة ، وكتبت هذه القصة!)

85 - أرجوزة تنتظر أرجوزة

(أحد الشعراء الفسقة كتب قصيدة فاحشة تغزل فيها بكل جزء في المرأة. وكانت أرجوزته تلك دعوة إلى الفجور. ثم وعد بأن في الطريق أرجوزة أخرى غزلية. فاستهجنتُ ذلك مُنددا بهذا التبجح والسفول. روى البخاري ومسلم من حديث سالم بن عبد الله ، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلُّ أُمَّتي معافًىً إلا المجاهرين ، وإنَّ من المجاهرة أن يعمل الرَّجلُ بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول: يا فلان ، عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربُّه ، ويُصبِح يكشف سترَ الله عنه». البخاري ومسلم. قال ابن حجر: "والمجاهِر هو الذي أظهر معصيتَه وكشف ما ستَر الله عليه ، فيحدِّث بها ، أما (المجاهرون) فيحتمل أن يكون بمعنى مَن جَهَر بالمعصية ، ويحتمل أن يكون المراد الذين يُجاهِر بعضهم بعضًا بالتحدُّث عن المعاصي.)

86 - أردتُ زيداً ، وأرد الله عَمْراً

(تعاقدت هذه المعلمة مع مَدرسة حتى تدرس فيها تخصصها (الرياضيات) ، فإذا بالمديرة ترْغمها على تدريس (مادة التربية الإسلامية) أو تلغي عقدها. فقبلت على مضض. فكانت حصتها الأولى عن الحجاب ، بينما هي متبرجة تبرجاً يُزري بها كإنسانة مَرة ، ويُزري بها كمعلمةٍ مربيةٍ

للتربية الإسلامية ألف مرة. وقامت بالتدريس بكل روتينية من عرض ومناقشة للأفكار وأسئلة وتقويم ونحوه. وكان أن توجهت تعليقات فريق من الطالبات لها مباشرة مجملة في فكرة واحدة مضمونها: (أين أنت يا معلمتنا من الحجاب والحشمة والوقار؟) وفريق آخر من الطالبات يسأل: (وهل الحجاب مطلوب منا نحن بوصفنا طالبات مسلمات وليس مطلوباً منك بوصفك معلمة مسلمة؟) مما كان سبباً في إحراج المعلمة جداً ، وجعلها تشعر بالفصام النكد الذي عاشته عقدين ونصفاً من عمرها وهي لا تشعر به. فكانت نقلة بعيدة لها يومَ قررتْ إدناء جلبابها واتباع سُنة نبيها في الحجاب ابتداء. وبعد ذلك راحت تبحث عن الحق ، وتلتمس الطريق إلى الهداية ، وتعمِل فكرها في النصوص ، وتطالع الكتب ، وتعترف لنفسها أنها كانت تعيش في جاهلية ، المسافة بينها وبين الإسلام تزيد كثيراً عن المسافة بين المشرق والمغرب. وراحت تقول: صدقتِ العرب: (رب ضارة نافعة!) وعلمت علم اليقين أن الذي يختاره الله لنا أفضل من الذي نختاره نحن لأنفسنا. وأيقنتْ كذلك أنها أرادت زيداً ، وأراد الله عَمْراً على حد تعبير العرب في مَثلهمُ المأثور. فلقد قصدتْ إلى هذه المدرسة لتدرّس الرياضيات ، تلك المادة التي تجيدها بحكم التخصص والدراسة ، فإذا بالمديرة ترْغمها إرغاماً على تدريس التربية الإسلامية ، ليتم مُراد الله من انتفاع هذه المعلمة بعلم الشريعة الذي كان الباب إليه (الحجاب). وذلك لتنطلق منه فيما بعد لجميع القضايا. فلله الفضل والمِنة ، وله الحمد والشكر والثناء الجميل الحسن. إن خير ما انتفعت به هذه المعلمة هو الإنابة إلى الله والهداية إلى الصراط المستقيم! قال الله – تعالى -: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ). والعبد يقول: لو أن الله هداني ويكتفي بهذا ، بل يجب أن يأخذ بالأسباب الجالبة للهداية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى): (وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس ، فإن ذلك يحصل للحيوانات العُجم ، فإن الحمار والجمل يميّز بين الشعير والتراب ، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده...ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد ، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مِنّة عليهم أن أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبيّن لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالاً منها ، فَمَنْ قَبِلَ رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شر البرية ، وأسوأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم – ثم ذَكَرَ حديث أبي موسى في قوله صلى الله عليه وسلم: مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم – فقال: فالحمد لله الذى أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفي ضلال مبين! وقال اهل الجنة: (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ).هـ. وقال ابن القيم: (إن لم يَصرف عنه الموانع والصوارف التي تمنع موجب الهداية وتصرفها لم ينتفع بالهداية ولم يتم مقصودها له ، فإن الحكم لا يكفي فيه وجود مقتضيه بل لا بد مع ذلك من عدم مانعه ومنافيه ، ومعلوم أن وساوس العبد وخواطرَه وشهواتِ الغيّ في قلبه كل منها مانعُ وصول أثر الهداية إليه ، فإن لم يصرفها الله عنه لم يهتد هدى تامّاً ، فحاجاته إلى هداية الله له مقرونة بأنفاسه وهي أعظم حاجة للعبد).هـ. وانفتحت هذه المعلمة فيما بعد على علوم الشريعة المختلفة ، للحدّ الذي تناظر فيه وتدعو وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ودرَستْ إسلامها واتبعت ما فيه ، وبكت وخشعت ، وأنابت إلى ربها ، وانتحبت وحزنت على ما فرطتْ في جَنب الله ، فكانت فاتحة خير. فرُحتُ أتخيلها تولد من جديد ، وهي تحكي لنا قصتها مع الإسلام!)

87 - عفواً أرسلتْ صورتها فقط!

(أسرة صغيرة تضمّ أخاً أكبر وأخاً أصغر بينهما (الهنوف) أختٌ لهم في العشرين. كانت ضحية (هدى) التي أقنعتها بإرسال صورة لها عبر (الإنترنت). وأرسلت الهنوف صورتها لتركِي ، ذلك النذلُ الساقط الذي دمّر حياتها بتلك الصورة. حيث أصابها بحالةٍ نفسيةٍ عاتية تقاومها اليوم في مصحةٍ نفسيةٍ بعد طلاقها من زوجها (عبد العزيز) الذي لم يَسْلم هو الآخر. بل أصيب بالشلل الرّباعي ويسير بكرسي متحرك. فإنا لله وإنا إليه راجعون. عائلة صغيرة ومتحابّة تجمعُها الألفة والمودة ، لا تفرّقها الظروف ، يعملُ أفرادُها سوياً لأجل أن يبقوا معاً! هذه العائلة مكونة من سعد ذلك الشاب اليافع الذي يبلغ 22سنة ، ويَدرسُ في آخر مستوى تخصص إعلام وعنده أخته الهنوف وتبلغ20سنة وتدرس في كلية التربية ، وأخوهما الصغير فيصل16 سنة. وهذه العائلة فاقدة للحنان بعد وفاة والدتهم قبل ست سنوات في حادث سيارة مع خالهم! وكانت الهنوف أشبه بالوردة اليانعة! فهي فتاة ودودة ، وحنونة ، ومؤدبة. وكانت باختصار حُلم كل الشباب ، حدثتْ للهنوف بعض المشاكل في دراستها واضطرت أن تنسحب قليلاً من الدراسة ، وتجلس في البيت لفترةٍ مؤقتةٍ ، ربما تطولُ وربما لا! وأما هدى فهي ابنة خالة الهنوف ، وهي فتاة متهورة قليلاً منفتحة كثيراً على العالم الخارجي وليست مثل الهنوف في شيء. وكانت الهنوف قد استكانت لهدى ، وخالطتها كثيراً لقضاء فترة الفراغ التي تحيط بها خصوصاً بعد حذف الترم والجلوس في المنزل . ارتبطت الهنوف بهدى كثيراً ، وأصبحت تقضي معها أوقاتاً بطولها ، ومرت الأيام والأسابيع والاثنتان أمام بعضهما البعض! وبدأت عندها هدى بتسميم أفكار الهنوف ودسّ السم في تلك الزهرة اليانعة لإفسادها ، دعونا نقول من دون قصد! مرّت الأيام وانتشرت لعنة الإنترنت في المجتمع. وبدأ الناس يتحدثون كثيراً عن هذا المدعو إنترنت! هذ الضيف الغريب المخيف نوعاً ما. زرعتْ هدى أول لغم فتاك في رأس الهنوف ، وذلك بإدخال الإنترنت عنوة في حياة الهنوف. ولم ترشدها للاستخدام المفيد النافع له! ويوماً وراء يوم وهدى تتكلم عن هذا الإنترنت أمام الهنوف ، ومن باب حب الاستطلاع أرادت الهنوف الغوص في غمار هذا الإنترنت لمعرفة المزيد عنه ، ربما من باب المعرفة لا أكثر ولا أقل ، ولكنها لم تعلم أن هذا الإنترنت هو بداية النهاية بالنسبة لها. وأما سعد أخو الهنوف فكان شاباً مثالياً لا يرد أخته في أي طلب ، وكان واثقاً فيها كل الثقة. ذهبت الهنوف لسعد وخاطبته قائلة إنها تريد أن تشغل نفسها بشيء يقضي وقت فراغها عوضاً عن الذهاب لبنت خالتها هدى! عندها استغرب سعد وسأل سؤالاً عاماً مثل ماذا يا هنوف؟ أجابت: الإنترنت! ولم يكن سعد هو الآخر يعلم شيئاً عن مخاطر الإنترنت ، ولم يكن يريد أن يردّ أخته في أي طلب خصوصاً بعد أن تركت الدراسة مؤقتاً ، لأنه لا يريد أن يُشعرها بالنقص أبداً. ذهب سعد مسرعاً وأحضر كل المستلزمات المتطلبة من جهاز كمبيوتر واشتراك إنترنت ، وكل ذلك لأجل عيون أخته الهنوف ، فرحت الهنوف لذلك كثيراً ، ولم تستطع أن تتمالك نفسها ، فذهبت إلى الهاتف وهاتفت هدى وهي فرحة مسرورة لتخبرَها بأن الإنترنت أصبحَ بين يديها وهي لا تعلم أنها بدأت بحفر قبرها للتو! ضحكتْ هدى قليلا ثم قالت للهنوف: اصبري ، أنا قادمة إليك ، الآن سوف نعيش فعلاً! تلك الكلمة المخيفة التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني المتوجسة! أتت هدى وأخذت تغوص في بحور الإنترنت ، ومعها الهنوف كمتفرجة فقط! بدأت بالشاتات مروراً بالماسنجر وانتهاء بالمحادثة الصوتية ، والهنوف مازالت متفرجة .تركتها هدى وذهبت ،

وبقيت الهنوف وحدها مع الجهاز! في ليل مظلم ! لا تعلم ماذا تفعل .عادت بها الذكريات قليلاً وقالت: لم لا أفعل كما فعلت هدى ولكن بحذر! دخلت الهنوف إحدى الشاتات التي دخلتها هدى. وهناك وبينما هي تتفرج ، فوجئت بتركي أحد زوار الشات يطلب التحدث معها ، لم تمانع لأنها لا تعلم ماذا يُخفي! تحدثت الهنوف معه وأعجبها أسلوبه ولباقته وجمال كلامه ، بدأ تركي يتغلغل في أعماق الهنوف ، وبدأ يعمل كملهمها الأول في الإنترنت. ويوماً ما طلب تركي من الهنوف أن تضيفه ماسنجر؟ لم تكن الهنوف تعلم ما هو الماسنجر فما كان منه إلا أن عمل لها واحداً ، وأضاف نفسه فيه ، وأهداه إياها ، ففرحت الهنوف لذلك كثيراً ، وبدأت تدخل يوماً وراء يوم بحثاً عن المدعو تركي! مرّت الأيامُ والهنوف وتركي يغوصان سوياً في بحار الإنترنت! وفي يوم من الأيام سأل تركي الهنوف سؤالاً غريباً! فقال: يا هنوف ، هل لديك إسكانر؟ كان هذا سؤاله الغريب والذي يطمع من ورائه للكثير والكثير؟ فأجابت الهنوف بكل عفوية. ما هو الإسكانر؟ فأخبرها وبدأ بمدحه أمامها إلى أن فرحت الهنوف لذلك كثيراً ، ووضعته كهدف جديد تريد تحقيقه وامتلاكه. ذهبت الهنوف لأخيها سعد وأخبرته بأنها تريد إسكانر! فلم يمانع لأنه يثق فيها ثقة عمياء كما أسلفنا ، وجلب لها إسكانر. لم يكن سعد يعلم بأنه قد جلب لأخته رصاصة الرحمة التي سوف تقتلها. جلبت الهنوف الإسكانر ، ودخلت لتجد الذئب البشري تركياً أمامها جاثماً ينتظر فريسته على أحرّ من الجمر فأخبرته وأخبرها كيف تستخدمه. وطلب منها أن تجلب صورة لكي تجرب لترى إن كان الإسكانر يعمل أم لا! فصدقت الهنوف وجلبت إحدى صورها واستخدمتها بالإسكانر ، وقتها كان تركي يحاول الغوص في أعماق جهاز الهنوف ليحصل على مراده! وفعلاً استطاع ذلك لقلة خبرة الهنوف! دخل جهازها ووجد الصور فتفاجأ بجمالها الأخاذ ، وقرّر أن يلعب لعبته الدنيئة. أكمل تركي يومه معها كالمعتاد ولم يفعل شيئاً ونامت الهنوف تلك الليلة ، وفارس أحلامها تركي في بالها لم يفارقها دقيقة. وفي اليوم التالي دخلت الهنوف ولم تجد تركياً! فاستغربت جداً ، وبعد ذلك فتحت بريدها لتجد رسالة من تركي توقعتها اعتذاراً منه أو توضيحاً لأمر ما. وفتحت الرسالة ولم تصدق ما ترى! وجدت صورتها أمام عينيها وتحتها رقم جوال المدعو تركي! اتصلى وإلا سأنشر الصورة ، هكذا كان عنوان رسالته الحقيرة! خافت الهنوف وضاقت الدنيا بها ، ولم تستطع أن تفكّر في الأمر مجرد التفكير ، حتى لم تصدق أن تركيا ذلك الشاب النقي الصالح يفعل ذلك! عرفت أنها وقعت ضحية لصيّاد متمرّس ، خافت من الفضيحة ، تذكرتْ أخاها سعداً ، التقطت الجوال واتصلت بتركي! وحادثها وأملى عليها شروطه ، ولكنها لم ترضخ له ، بل قاومته كثيراً بكل ما تستطيع وتركته. وعملت كل ما تستطيع لنسيان ذلك! وغيّرت رقم جوالها وقررت أن تترك الإنترنت للأبد لتبدأ حياتها من جديد. تذكرتْ أن لها ابن عم يُدعى عبد العزيز يحبها أيما حب! تذكرته الآن بعد فوات الأوان! تمنت أن يتقدم لخطبتها ، تمنت أن تتزوج! طلبت من سعد أن يسأل عبد العزيز ليرى إذا كان مازال يريدها أم لا؟ لم يصدق عبد العزيز وتقدم لخطبتها وتم زواجها ، زواج الهنوف على عبد العزيز في ليلة بهيجة وفرح بهيج! مرت الشهور شهراً وراء شهر والهنوف تعيش أحلى حياة مع عبد العزيز. حياة لا تشوبها شائبة. حياة سعيدة حقاً! أخلصت لعبد العزيز. وسخرت حياتها كلها له ، وتفانت في خدمته وإسعاده وأحبته كثيراً وأحبها كثيراً! وكان عبد العزيز ميسور الحال وفي وظيفة مرموقة ، وفي يوم من أيام الوظيفة العادية والمعتادة دخل عليهم موظف جديد! تقرب عبد العزيز من هذا الموظف كثيراً بداعي أنهم في مكتب واحد! ويوماً بعد يوم أصبحا صديقين! وأحب عبد العزيز هذا الموظف ، وفتح هو قلبه

لعبد العزيز وصارحه بكل شيء. وفي يوم من الأيام وذات صباح ، أتى هذا الموظف لعبد العزيز وقال له: يا أبا سعود ، هل تريد أن ترى أجمل فتاة رأتها عيني في يوم من الأيام؟ من باب طيش الشباب لم يمانع عبد العزيز ، وقال: أجل أرني إياها ، وليته لم يُره إياها ، ليت عمره توقف قبل أن يراها ، ليت عقارب الساعة أعلنت رحيلها قبل أن تحدث هذه اللحظة. سكت عبد العزيز ولم يستطع الحركة ، ووقع من هول الصدمة ، لم يفهم تركي ماذا يحدث! وقع عبد العزيز ولم يقف على رجليه بعدها! نعم لقد أصابه شللٌ رباعي كامل من هول الصدمة. عندما أفاق عاد إلى بيته هذه المرة على كرسي متحرك ، وكانت الهنوف بانتظاره ، ولم تكن تعلم أنها تنتظر طلاقها. لقد طلقها وتركها وحيدة! تصارع أمواج الحياة العاتية! كان ذلك الموظف تركي قد رسم نهاية أسعد عائلة بيده ، وفرق بين حبيبين لم يتصورا يوماً أن هذا سيحدث بعد عشر سنوات! ثم توفي عبد العزيز ، والهنوف مرضت مرضاً نفسياً ، وهي الآن في إحدى المصحّات! وتركي رئيس في عمله وموظف ناجح. وإلى هنا انتهت المأساة. وأورد القصة الأستاذ الخولي في قصصه الواقعية ص 634. وكم شرّد الإنترنت من صغار وكم طلق من نساء وكم دمر من أسر والبقية تأتي. إن كل أب مسئول بين يدي الله – عز وجل – عن إفساد أسرته بمثل هذه التقنيات إذا لم يكن هناك رقابة أسرية صارمة وخطوط حمراء لا يجوز تجاوزها ، وإلا رفعت هذه التقنيات وأخرجت من البيوت إلى غير رجعة (وكذلك كل أم وكل ولي أمر ورب أسرة). إن دور الأسرة لا ينبغي أن يقتصر على الإطعام والإسكان والإيواء فقط. إن للأسرة دوراً في الرعاية التربوية والسلوكية التي ترشد الأبناء والبنات إلى صراط الله المستقيم ودينه القويم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل). وقال: (الوحدة خَيْرٌ مِنَ الجليس السُّوء ، والجليس الصَّالح خَيْر مِنَ الوحْدَة ، وإملاء الخير خَيْرٌ مِنَ السُّكوت ، والسُّكوت خَيْر مِنْ إملاءِ الشَّر). وقال: (لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي). وإن كان هذان الحديثان الأخيران ضعيفين إلا أن المعنى صحيح! وقال: (مَثَلُ الجليس الصالح مثل الداريّ إن لم يُحذِك من عطره علقك من ريحه ، ومثل الجليس السوء مثل الكِير إن لم يحرقك من شرار ناره علقك من نَتَنِه). ورواية أخرى: (مثل الجليسِ الصَّالح مَثَل العَطَّار ، إنْ أصابَك منه وإلا أصابك من ريحه ، ومثلُ الجليسِ السُّوء مثل القين ، إن أصابك منه وإلا أصابَك من دخانه). وعن أبي ذَر أنَّه قال: يا رسول الله ، الرجل يُحِبّ القَوْم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: (إنَّك يا أبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبتَ) ، قال: "فإنّي أُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ، قال: (أَنْت يَا أبا ذَرٍّ مَع مَنْ أَحْببتَ). وعن أبي موسى ، قال: أَتَى النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - رجلٌ فقال: "يا رسول الله ، أرأيتَ رَجُلاً يُحِبّ القَوْم ولمَّا يَلْحقْ بهم؟"، قال: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ). ولا ألوم هدى هداها الله ، ولكن ألوم الهنوف! أنشدت في هذه القصة بدمع فؤادي ومداد قلمي وانكسار مشاعري أحكي شعراً ما وعيت منها وأحذر الجميع آباء وأبناء من الاستخدام السيء لـ (الإنترنت) وأدعو إلى وجوب أخذ الحيطة والحذر قبل اقتنائه في البيوت ، وإلا بكى الكل وندموا ، ولات ساعة مندم.)

88 - تراني عندما أرى لحيتك

(تقدّم أحد الرجال المؤمنين للزواج من هذه الموفقة! وكان مبتلىً بحلق لحيته للأسف! وذلك على رغم استظهاره الكامل لكتاب الله ، ووعيه بكثير من الأحاديث النبوية والإلهية الشريفة! وله كذلك إلمام بالفقه والفهم والوعي! ورحّب الأهل به إذ كان يجمع إلى كل ما تقدم البيت ويسر الحال والغنى! وعلقوا موافقتهم بموافقة ابنتهم العروس! وذلك عندما أصر عليهم أن يكون ذلك أمامه في مجلس يُعقد لاحقاً ، وبالمرة ينظر إليها بما في ذلك وجهها النظرة الشرعية! فلقد كانت من صويحبات الحجاب الشرعي الكامل الشامل لكل الجسم بما في ذلك الوجه! وعندما جاء الخاطب وحضرت المخطوبة أو المرشحة للخطبة (العروس المرتقبة) بحضور الأهل في منزلهم بالطبع ، رحبت العروس بالخاطب وأثنت عليه خيراً ، وأعلمته أن مثله لا يُرد! ولكن! فقاطعها قائلاً: ولكن ماذا؟ قالت: أفصح أنت عن مرادك وطلبك وسوف أقول لك ولكن ماذا! فقال: أريد أن أرى وجهك الرؤية الشرعية كما هو معلوم في كتب الفقه! فقالت في ثقة المؤمنة وإيمان الواثقة: سوف ترى وجهي عندما أرى لحيتك! وانتهى المجلس! ودارت رحى الحرب الكلامية بينها وبين أهلها بعد انصراف الضيف العريس! فقائل: أنت متشددة! وقائل: اطلبي هذا بعد الزواج! وقائل: لقد أضعت العريس من يدك ، وأنى لك بعريس مثل هذا؟ فقاطعت الكل وقالت: إن كان فيه خير فسوف يعود ملتحياً وهذا ظني بالله تعالى ثم بالعريس ، فما طلبت شيئاً ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -. وإن كان غير ذلك فلا أرجعه الله ، وأبدلني – سبحانه وتعالى - خيراً منه! وانقطعت أخبار العريس ثلاثة أشهر! ثم طرق الباب ملتحياً على شرط عروسه! فرحب به الجميع وجاءت العروس ورآها ورأى وجهها! وتم العقد والبناء ولله الحمد! لقد أثبتت هذه العروس عدلها في الأمور ، كما أثبتت شجاعتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولم تقف بالنفس عند عقدها ورغباتها من ضياع العريس بعد إحراجه أمام الناس! لقد تحدت نوازع الشر مستصحبة نوازع الخير! لقد راهنت على القرآن والإيمان اللذين عند عريسها المتقدم لخطبتها! وهو صراع داخلي عنيف! وتحت عنوان: (نوازع الخير والشر) يشاركنا الدكتور علي الطراح الرأي فيقول ما نصه: (يرى بعض العلماء أن الذاكرة موزعة بين القلب والنفس ، خصوصاً بأن للقلب مكونا من موصلات عصبية في غاية التعقيد تعمل بمعزل عن الأعصاب المخية. وعندما يصاب المرء بمرض عضال تتفاوت الاستجابة ؛ فالبعض يتصدى للمرض بقوة وإرادة ويستطيع أن يشفى نفسه ، والبعض الآخر تصاب نفسه بهزال وتضعف ومن ثم يقتحم المرض كل خلايا جسده فيصاب بالضعف والإنهاك. فالنفس المؤمنة والقوية تقوى على مواجهة الواقع وتتمكن من هزيمة الألم ، وهذا ما يفسر لنا ميل البعض نحو التفاؤل والبعض الآخر نحو التشاؤم ، وهذا النوع الأخير يسير حياته حيث الطاقة السلبية هي المسؤولة في مثل هذه الحالات. والنفس تكل وتتعب عندما نرهقها بتناقضاتنا السلوكية ، ويغيب الانسجام عنها ، والبعض منا لا يعبأ أو لا يشعر بضخامة التناقضات التي يقوم بها في كل يوم ، خصوصاً هؤلاء الذين يظهرون بمظهر الخير بينما هم يضمرون الشر ويدبرونه للمحيطين بهم ، وهم في مثل هذه المواقف يعرضون نفوسهم للألم الخفي. وكثير من هؤلاء يكونون محكومين بخبرات سابقة أثرت عليهم وأطّرت سلوكهم ؛ فهم أصحاب نفوس مريضة ومضطربة ، تغيب عنها البهجة الداخلية وتفتقر لراحة الانسجام. نحن كبشر ، خليط من الشر والخير ، والعقل هو المهذب للسلوك ، ونتعرض لمواقف مؤلمة من البعض ، وقد لا نتحلى بالصراحة فنخفي الألم الذي

تسبب به البعض ، ومن ثم نفكر في رغبة الانتقام والثأر وهي رغبة شريرة مدمرة للنفس حيث تمثل رؤية الانتقام فرحة ، بينما هو مرض يؤكد الرغبة في التشفي. علينا أن لا نشغل البال بهذه النوعية من الناس وأن ندعهم ينعمون بمؤامراتهم ، وكل ما علينا هو أن نحصن أنفسنا بنوازع الخير لأن من يضمر الشر سيعود إليه).هـ. لقد أذهلتني لهجة الفتاة ، فتأثرت بجرأتها في الحق وانصياعه في الطاعة والاستجابة! واحترت عمن أكتب؟ عن العريس الذي استجاب لأمر الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم -؟ أم عن العروس التي ما أبدت تمسكاً بعريس تحلم به كل فتاة مسلمة؟ ولما كانت كلمتها الصريحة (تراني عندما أرى لحيتك) رأيت أن أجعلها عنواناً وتهنئة شعرية ، لهذه العـروس الفذة المسلمة المؤمنة الموحدة! أكثر الله من أمثالها!)

89 - ارجعْ إليا! (التغريدة الثانية اليمنية!)

(أصيب ذلك الزوج اليماني في حادثٍ كانت معه فيه زوجته وأولاده! وأصيبوا جميعاً بإصابات وكدمات وجروح أمكن علاجها ولله الحمد! أما هو فكانت إصابته بالغة ، حيث بقيَ تحت العلاج عدة سنوات فاقداً للوعي تماماً! وفي العام السابع وعبر ساعات الليل ، دخل الطبيب المناوب ليجد مريضنا فاقد الوعي يسأله وقد عادت له الذاكرة: أين أنا؟ فلم يرد عليه ، بل استوثقَ من رجوع الذاكرة والتماثل للشفاء ، وفرح طاقمُ المستشفى من رئيس القسم حتى الحارس ، وتبادلوا التهاني والتبريكات! بينما اتصل الطبيب المناوب بزوجته ، وكانت تتوقع من خلال شاشة الهاتف أنه النبأ المتوقع من المستشفى من سنين بوفاة زوجها نظراً لتوقف الأجهزة وتوقف القلب معها وانعدام التنفس ، وذلك لتبدأ في إجراءات الغسل والتكفين والصلاة والدفن! ولكن الطبيب فاجأها بقوله: لقد عادت الذاكرة لفلان وأصبح يُميز كل شيء حوله وما به بأس! ولم يزد الطبيب على ذلك! ففرحت فرحاً شديداً أعجزها تماماً عن الكلام وشكر الطبيب على اتصاله ومجاملته الرقيقة! وكل الذي تذكره هو قولها في حالةٍ من البكاء المختلط بالضحك: الحمد لله! وسقط الهاتف من يدها ، وبدأت تنظر إلى الأولاد وهم نائمون ، وتخيلت فرحتهم وفرحة الدار بكامل ما فيها من جدران ونوافذٍ وصالة وحجراتٍ ومتاع وأثاثٍ وأبواب! فرثيتُ لحال المرأة اليمنية الزوجة المحترمة الوقورة ، وليست العاشقة ولا فتاة الليل ولا بائعة الهوى التي ربّت جدائل شعرها وشالات الحرير والعطور والمساحيق لعشيقها ، معاذ الله! فتخيلتُها في شعورها وإحساسها اليماني الرقيق اللطيف تقول لزوجها: ارجع إلي يا رجُلي ، أنا وأولادي مشتاقون إليك!)

90 - أشواق الغربة

(اغترب عن أهله وعشيرته وأصدقائه ورفقاء دربه! وعانى آلام الغربة ومآسيها ككل غريب! ولكن الأشواق الهائجة لرؤية الأحباب كانت له بالمرصاد! فراح يتذكر عطير أحاديثهم وعذب كلامهم وجميل مواقفهم وسالف أيامهم! كما راح يتذكر صلة الأرحام وقيام الليل وصيام النافلة وقراءة القرآن ومُدارسة العلم! كما راح يتذكر السواقي وهي تروي الحقول ، والطيور على أغصان الأشجار وفي جو السماء ، والشمس وهي تشرق على دياره ، والقمر وهو ينير ليل هاتيك الديار! وقارن حياته الماضية بحياة الغربة! فكيف يعيش ومن يُعد له طعامه ومن

يُسليه ومن يُصَبره ومن يُعينه على غربته ومن يُرتب له متاعه وغرفته؟ لقد كان ملِكاً في دياره ، ثم صار عبداً في غربته! فلم ينقم على الغربة! كما لم يتسخط عليها! ولم يصب جام غضبه عليها وعلى من كان سبباً فيها! بل وصف الأشواق الحلوة والحنين العذب!)

91 - أشواق لها إيقاع

(لمّا كان زوجها بين يديها ، وفي بيتها وبين أولادها كانت تحبه وتحرص على رضاه. وعندما سافر عنها اشتاقت إليه. وكان لأشواقها إيقاع تُستلهم معه الذكريات وتُتذكر المناسبات. فأخذتْ تستعرض هذا كله. وأنشدتُ من شعري حكايةً عنها ، متخيلاً إياها تحتفل بالأشواق والآمال والأحلام معاً! إذ الحكمة تقول: (اضحك تضحك الدنيا معك!) وحكمة أخرى تقول: (كنْ جميلاً تر الوجود جميلاً). وأوصى حكيم عبداً تقياً اعتزله الناس لدينه فقال: (لو وكل عسير إذا استعنت شعرت ببعد الناس عنك أو بوحشة أو غربة ، فتذكر قربك من الله). بالله فهو يسير. وقال بولرمان: (التفاؤل يمنحك هدوء الأعصاب في أحرج الأوقات). ويقول البير كاميه: (إذا شعرت بالتشاؤم ، تأمل الوردة). ويقول بيرون: (المتشائم أحمق يرى الضوء أمام عينيه ، لكنه لا يصدق). والمثل الغربي يقول: (إنما المستقبل لأولئك الذين يؤمنون بالجمال). والمشهد الشعري العربي يشهد شعراء قليلين يعكسون واقعهم في أشعارهم ولا يهربون منه! وتحت عنوان: (الشعر في الأردن: مسارات ورؤى ومشارب) يقول الأستاذ جعفر العقيلي ما نصه: (المتأمّل في المشهد الشعري العربي في شكل يجده واحدًا في واقعهِ ، وفي التحديات التي يواجهها ، وفي الأسئلة الأكثر إلحاحًا المطروحة على الشاعر ، وكذلك في المأزق الكبير الذي يعيشه الشعر العربي اليوم. لكن الأمر لا يخلو من فروقات وتباينات في التفصيلات بين بلدٍ وآخر ، تبعًا لطبيعة التجربة في كل بلد ، وامتداداتها التاريخية والمعاصرة ، والسياق العام الذي يتحرك الشعراء – وبقية المبدعين - في إطاره ، وبخاصة في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها السنوات الأخيرة ، على الصعد كافة. وفيما يتعلق بخصوصية التجربة الأردنية ، شهد العقد الأوّل من الألفية الثالثة فورةً شعرية نوعية في الأردن ببروز ثلّةٍ من الشعراء الشباب من الجنسين أكثرهم من طلبة الجامعات ، غير أن تلك الفورة أخذت تخفت بحسب الشاعر والناقد والأكاديمي خالد الجبر ، في ظل التغيّرات الهائلة في الحياة الاجتماعية ، وتراجع الاهتمام بقطاع الشباب ، وانحسار الاهتمام المجتمعيّ بالشعر نتيجةً لتركيز النقّاد والمؤسّسات الثقافية على الرّواية ، وذبول الوجدان الجمعيّ حيال القضايا الكبرى).هـ. ويقول الأستاذ خالد الجبر: (إنّ عددًا من كتّاب الشعر تمكّن من تحقيق منزلةٍ كبيرةٍ واضحةٍ في العالم العربيّ ؛ ومنهم بحسب الجبر: نبيلة الخطيب ، ومها العتوم ، وراشد عيسى ، وناصر شبانة ، وسعيد يعقوب ، وعماد نصّار ، ومحمد مقدادي. ويرى الجبر أن شعراء القصيدة الكلاسيكية وشعراء التفعيلة تمكّنوا من تجاوز العقبات التي فرضتها مصادرات الوسط الثقافيّ المنحاز إلى قصيدة النثر منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين ، ممتدّين بالقصيدة تشكيلًا وبنيةً وصورةً ولغةً إلى آفاقٍ بدتْ ذات حينٍ في العصيّ البعيد. وهو ما يجعله يؤكد أن بإمكاننا النظر اليوم إلى التنوّع البادي في الحالة الشعرية في الأردنّ بكثيرٍ من التفاؤل ، مطمئنّين إلى استعادة الشعر مكانته اللائقة في الحياة الأدبية على مستوى الأمّة).هـ. وأراني بشهادة من نقدوا شعري ، من قبيل الشعراء الذين يعالجون الواقع بالشعر! وعموماً الشعر شعور وإحساس صب في قالب

وفق ضوابط وقواعد معينة! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ألا نسمع معاً ذلك الأنين وتلك الشكوى ينبعثان من الشعر الحديث ، وكأني بهما يعبِّران عن الضياع والتخبط اللذين نعيشهما هذه الأيام؟ ثمَّ ألا نلمح سويةً ذلك الهروب أو عدم القدرة على طرح الحلول للمشاكل وللصعوبات التي يعاني منها الشاعر والمجتمع؟ إن واقعنا صعب ، والعالم يمرُّ بفترة من أحلك الفترات التي مرَّت على كرتنا الأرضية ؛ وفي حين تتفاقم المشكلات الفردية والجماعية للإنسان ، تتضح حقيقةُ ترابطها وتداخُلها ، وتنبثق من ذلك الصعوبةُ المشتركة التي يعاني منها كلُّ إنسان بطريقة مختلفة عن الآخرين. أمن الممكن أن ما كان ينبغي أن يجعل الشعرَ الصادق الحيَّ يتدفَّق من أعماق "الإنسان–الشاعر" لا ينفكُّ يشوِّش عليه ويُضنيه ، حتى ينفثه دخاناً تَرَكَ في الداخل ، هناك في الأعماق البعيدة للكائن الإنساني ، سموماً لم نجد ترياقاً لها بعد؟ لا. إن ما يمكن أن يعتمل في قلب الإنسان لهو غير ما يتبطَّن عليه الإنسان في الحقيقة. ويجب علينا إنْ نحن أردنا أن يتجلَّى الباطنُ فينا ، أن ننقِّي مشاعرنا وأفكارنا وعواطفنا. عندما قلت إننا لا نعرف ما نريد عنيتُ أننا لا نزال نتخبَّط في البحث عن حلول لا تنبع من داخلنا ، فتكون بالتالي غير قادرة على الثبات أمام تقلُّبات الخارج وعواصفه).هـ.)

92 - أشواق وراء المجهول

(إنني لا أميل أبداً إلى كتابة ما سوى القصيدة العمودية الخليلية. وأبعد ما أكون إذ نقشت إحدى قصائدي على كل ما يخالف أشعار العرب الأصيلة التي قوانينها وعروضها وأوزانها وأسسها وقواعدها ونحوها وصرفها ولفظها وصورتها عندي توقيفية كالعبادات! فلا سبيل إلى الخروج عنها قيد أنملة ولا أقل من ذلك. شأنها في ذلك شأن اللغة العربية ذاتها. ولكنني في قصيدتي (أشواق وراء المجهول) ركنتُ الشيء القليل إلى ذلك التجديد في الشكل: (نظام السطر العروضي والقافية المنوعة التي تعتمد ازدواجية المعنى وثنائية العرض فتكون الفكرة الجزئية في بيتين وهكذا!) وهذا على كل حال من شعري القليل الذي لا يمثل القاعدة. وشجعني على هذا الاتجاه قراءتي لكتاب صغير المبنى عظيم المعنى والمغزى لأستاذي الدكتور عدنان النحوي ، ألا وهو كتاب: (لماذا اللغة العربية اليوم؟) وأراه دافع دفاع المستميت عن حتمية الانتصار للغة الضاد ، وأن الحاجة إليها اليوم أصبحت مُلِحّة أكثر من أي زمان مضى. وأضيف إلى هذا الكتاب كتاباً آخر لم يكن لي شرف الاطلاع عليه ، وبذلت جهدي المرير في الحصول عليه ولم أفلح. إلا أنني قرأت تحقيقاً مستفيضاً عنه ، ومدح الكتاب غير ما ثقة وحجة من الأساتذة ، ألا وهو كتاب: (جناية الشعر الحر على اللغة العربية) للدكتور أحمد فرح العقيلان. وأعترف بأنني سعدت بهذين الرجلين: النحوي والعُقيلان ، وأسعدني إصرارهما على المواجهة. وأعتذر هذه المرة عن القصيدة العمودية. والحقيقة أن كثيراً من الناس منتهى آمالهم وطموحاتهم أن يُحصّلوا المال ويشتروا الطين ويبتنوا الدور ، مثلهم في ذلك مثل أكثر أهل الدنيا وعبيدها من المرتزقة! على حين نرى بعض الأقوام لهم من الطموحات والآمال والتطلعات ما تعجز عن وصفه الأقلام وتضيق عن تصوره الأفهام. وساعة يصطدم المرء بما لا يمكنه من تحقيق آماله وطموحاته من العقابيل والعراقيل فإنه يستعرض سر أشواقه التي تختبئ وراء المجهول والغيب المخبوء! داعياً ربه أن يزيل هذه العراقيل ، ويزيح تلك العقابيل ، ويحطم هذه الحواجز

ويدمر هاتيك الموانع حتى يرى آماله تتحقق! وأعلم أنني التزمت خمس تفعيلاتٍ من الكامل ، ولم ألتزم التفعيلات الست (تاماً)! ذلك أنني لو فعلت لما كان لمصطلح السطر الشعري أن يكون سائغاً ، ولا حتى لو استخدمت التفعيلات الأربع (مجزوءاً). وإن هي إلا اجتهادات ورؤى! ومحاولات في طريق التجديد والمحافظة على الأصل! هذا للعلم!)

93 - أشواك على الطريق

(مخطئ من وضع في حساباته أن طريق الدعوة إلى الله مفروش بالورود والرياحين. بل هو مفروش بالأشواك بكل نوع من أنواعها ، ومُحاط بالعقابيل والعراقيل. وعلى الداعي أن يتجاوز هذا كله بحكمةٍ وروية. والنصرُ حليفُ الحق. ولكل مجتهدٍ نصيب. ويهب الله العصمة على قدر البلاغ: (يا أيها الرسولُ بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين). وقد ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الجنة حفت بالمكاره وأن النار حفت بالشهوات. وطبيعي جداً أن تكون الشهوات محببة إلى نفوس الكثيرين من الناس ، حيث إن الله زينها لهم ابتلاء واختباراً: (زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب). وطريق الدعوة هو السبيلُ الموصّلة إلى الجنة فكان ولا بد من أن تكون محفوفة بالمكاره والمخاطر. والذي لا يجد في نفسه القدرة على تحمل الجد والمشاق والمتاعب والمكاره فليحاول أن يوطن نفسه عليها ، فإذا وجد من نفسه جزعاً أو هلعاً أو خورا فليلزم نفسه بطاعة ربه وليترك مضمار الدعوة لغيره من القادرين على تكاليفه الشاقة! في محاضرته الطويلة التي عنوانها: (عقبات في طريق المسلم) يقول الشيخ: (عبد الله الجلالي) ما نصه: (في طريق الجنة زلزلة وبأساء وضراء وأمور مخيفة وإزعاج وأذىً للمؤمنين وتقييد لحرية الدعاة وغير ذلك ، إلى أن يصل الأمر إلى شيء من اليأس في نفوس بعض المؤمنين ، وشيء من الاستبطاء في نفوس الصادقين من المؤمنين والأنبياء فيقولوا: (متى نصر الله)؟ وفي مثل هذه اللحظات يأتي نصر الله ، ولكن بشرط أن لا يرجع المسلمون من منتصف الطريق ، وهذا هو أخوف ما نخاف على المسلمين ، لا سيما الذين ولدوا في حياة آمنة مطمئنة ، ولا يعرفون في طريق الجنة هذه العقبات ، ثم يفاجئون بهذه العقبات ، ثم يصابون بشيء من الفتن ، ثم يرجع بعضهم من منتصف الطريق ، ويقول: أنا هربت من العذاب ، فكيف أقع في العذاب؟ وهذه فكرة ناس من ضعاف الإيمان ، ولذلك يقولون هذا. ولذلك الله تعالى ذكر عن هؤلاء القوم أن منهم من يقول: (آمنا بالله) بلسانه ، ثم يبتليه الله عز وجل بشيء من هذه العقبات التي تعترض سبيل المؤمن في طريقه إلى الله عز وجل والجنة والدار الآخرة ، ثم لا يتحمل ؛ لأن إيمانه ضعيف ، ثم بعد ذلك يرجع من منتصف الطريق ، وهؤلاء هم الذين يقول الله تعالى عنهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ، يعني: أصابته فتنة من فتن الحياة الدنيا جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ، أي: أذى الناس (كَعَذَابِ اللَّهِ) أي: كأن يقول: أنا هربت من عذاب ووقعت في عذاب محقق أمامي أراه بعيني وأعيشه ويؤذيني ، فهل أتحمله من أجل خوف وهروب من عذاب منتظر ما رأيته حتى الآن؟ يقول بنفسه كذا ؛ لأن إيمانه ضعيف ، فيرجع وينكص على عقبيه. لكن إذا جاء النصر وجاء المال وجاءت النعمة والخيرات مع هذا الدين يأخذ هذا الدين ؛ لأنه ليس فيه مشقة ، فإذا ما أصابه

الفضل من الله عز وجل أخذ بهذا الدين ، ولذا قال: وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ ، يعني: أصبح المسلمون في عزة لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أي: في هذه الغنيمة أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ؟ فالذي يكابد هذه الشدائد والذي يريد أن يأخذ من هذا الإسلام ما لان عليه أن يعلم أن الله تعالى أعلم بما في صدور العالمين. هذه هي الفتنة التي نسمع أخبارها في القرآن ، وهذا هو الابتلاء الذي يقص الله تعالى علينا أخباره ، وأن هناك من الناس من لا يتحمل هذه الشدائد لأنه يعبد الله على حرف ، أي: على طرف بين الإيمان والكفر ، بمعنى أنه لم يتمكن الإيمان من قلبه! ولذلك لا تعجب في أيام الفتن من أن ترى من الناس من يضطرب إيمانه ، ومن يهتز يقينه بالله عز وجل وخشيته من الله عز وجل ، فيرجع دون أن يكمل المشوار إلى الله عز وجل وإلى الدار الآخرة ؛ لأنه كان يعبد الله على حرف ، وعلى طرف بين الجاهلية والإسلام ، فهذا لا يمكن أن يثبت على دينه إلا حينما يكون هناك خير وتكون سعادة ويكون رخاء وتكون غنائم ويكون المسلمون في راحة ، وهذا هو الذي يحتاجه كثير من المسلمين في أيامنا الحاضرة! يريدون إسلاماً ليست فيه فتنة ، وليس فيه ابتلاء ، فالجهاد ثقيل على النفوس ، سواء أكان جهاداً بالحُجّة التي ربما تضع بعض العراقيل في طريق المسلم في سيره إلى الله تعالى ، أم بالمال الذي هو غالٍ عليه ونفيس ، أم بالنفس التي يراق فيه الدم وتسلب فيه الروح).هـ. والله تعالى يهب العصمة للداعية على قدر بلاغه! وصدق الله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)! والداعي فليستعد!)

94 - أشيب لم ينذرْه الشيب

(ظل ينفخ في البوق ، وتارة يضرب بالطبل ذي الجلاجل ، وتارة يُحرّك الأوتار ، وأخرى يشير بيده للفرقة! ذلك الأشيبُ الذي يدعى علقمة ، والذي لم يحترم شيبه. وجادلته كمايسترو لفرقة موسيقية معروفة ، فأعرض ونأى بجانبه! فطالبته بالبحث والتحرّي بُغية الوصول إلى التحريم فازداد نفوراً وإعراضاً! ونظرتُ فإذا باقي أفراد فرقته شوّابٌ قد جاوزوا الستين أو السبعين أو هم عوان بين ذلك! والشيب رسول أرسله الله لكل أشيب ليدرك ما فات في زمان الشبيبة من المعاصي! والشيب نذير حثيث بقرب النهاية وأنه لم يعد في العمر قدر ما مضى منه! والشيب ناقوس يدق في عالم النسيان والغفلة الذي يبتلى به المرء حال تقدمه في العمر! فليتق الله كل أشيب وليحرص على طاعة ربه وليجتنب معاصي الله! لقد يدركه الموت فجأة فما هو صانعٌ إن قبض على معصية من المعاصي أو كبيرة من الكبائر؟!)

95 - كيف أصبحت بهم أولى؟!

(من ادّعى أنه أولى بأولاد زيدٍ أو عمْر من أبيهم ، فقد أبعد النجعة وأعظم الفِرية. ولكن أحياناً يحلو للبعض أن يجعل الواحد منهم نفسه قوّاماً وعائلاً لأولاد زيدٍ أو عمْر للوصول إلى مآرب وأغراض لا يعلم بها إلا الله. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ

رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، - قَالَ في رواية أخرى: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ). [أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عمر]. فتخيلتُ والدَ الأولاد يقول للدعيّ لا!)

96 - اصبر وأنت البصير

(قليلة تلك القصائد الشعرية التي كنت قد نقشتها على البحر العروضي المتدارك (فعلن/ فعلن/ فعلن/ فعلن) ، ذلك البحر الذي كان الأخفش تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي قد استدرك به على معلمه الخليل. وعمومًا ، قِلتُها عند شاعر بسيط مثلي في أول الدرب لا يزال يخطو أولى خطواته المتعثرة ليست تضر كثيرًا وذلك أن هذا البحر المتدارك لم يكن له النصيب الأوفر الأوفى ولا الحظ الأكبر في شعر العرب الأوائل ولا الأواخر. وباستقراء الشعر العربي من امرئ القيس بل حتى قبل امرئ القيس إلى يوم الناس هذا ، نجد فعلًا أن القصائد التي كُتبت على البحر المتدارك أقل بكثير من التي كتبت على البحور الأخرى ، فهل كان عُزوفُ الشعراء الأوائل والأواخر عنه لعدم الاعتراف به أم لصعوبته - وهو سهل يسير - أم لعدم إدراك الموسيقى فيه - وكله موسيقى - أم لعدم كتابة العرب الأقدمين عليه؟ والجواب: لا علم لي به. غير أنني أعلن أن لي عزاءً في كوني لم أكتب عليه كثيرًا من قصائدي. إن قصيدة: «اِصبر وأنت البصير» أنقشها اليوم على المتدارك ، لتكتمل الرؤية التي أصبو إليها ، من إهداء ديوان على كل بحور الشعر العربي أهديها لعيني الجريحة تلك. إنَّهُ لمِنَ البلاءِ المَرير العَسير العاتِي أنْ يُمسيَ المرءُ بكلتا حبيبتيه، ثمَّ يُصبحَ وقد فقد إحداهما ، وأما الأُخرى فقد رُبطَت عليها ضمادة ، وباتتْ لا ترى غيرَ الظلام المُخْلَوْلَك الدامسِ مِنْ حولها ، ولقد عِشتُ مع قول الله تعالى: (واصبر وما صبرك إلا بالله) ، وقوله: (والله يحب الصابرين) ، وقوله: (واستعينوا بالصبر والصلاة). وعشتُ مع قول النبي ﷺ: «والصَّبرُ ضِياءٌ». وأخذتُ أسترجعُ شِعْرًا أحفظه في الصبر والتصبر والاحتساب والاسترجاع والتجلد ، ومنه: قول ابنِ الصَّلْت في الثناء على الصبر وأنه وسيلةُ المبتلى حيث إنه يُهديء من خلجات النفس واضطرابات الشعور:

الصـبر أفضـلُ شـيءٍ تسـتعينُ بـه علـى الزمـان إذا مَـا مَسَّـك الضـررُ

وعشِتُ مع بيْتٍ آخرَ للشاعر العراقي المحترم جَميل صِدقي الزهاوي يقولُ فيه:

تمسـكْ بحبـل الصـبر فـي كـل كرْبـةٍ فـلا عُسـر إلا سـوف يعقُبُـه يُسْـرُ

وعشتُ مع بيت آخر للشاعر أحمد شوقي في الصدق والالتزام بالقول الذي يصدر مِنَ الإنسان عندما يقول به ، ولا ينبئك مثل خبير إذا تكلم شوقي الفذ عن الصبر:

والمـرءُ لـيس بصـادقٍ فـي قولـه حتـى يؤيِّـد قولَـه بفِعَالِـه

وتذكرتُ أني قلتُ (اصبرْ) لكلِّ مُصاب ، فرجعتُ وقلت: أعملُ هنا بقولي وألتزمُه ، وقلتُ لقلبي: اصبر ، وأنتَ البَصير. وليس بوسعي فعل أي شيء! ولا شك أن الصبر دواء ناجع لكل مبتلى!)

97 - أبجديات شعرية

(حاولت جاهداً أن أوفي جميل الشعر العربي الأصيل عليّ فما استطعت. ومن هنا جعلتُ أتمثل أبيات الشعر العربي من الجاهلية حتى اليوم في معرض الدفاع عنه. ولنحدد موقفه – صلى الله عليه وسلم – من الشعر ، وكيف أنه كان يتمثل ببعض أبياتاً منه في كثير من مواقفه - صلى الله عليه وسلم - وكيف أنه كان كثيراً ما يثني على بعض الشعر ، ويكره لأصحابه أن يمتلئ قلب أحدهم بالشعر ، وهو يثني على بعضه ويرى أن الشعر الذي ينافح عنه - صلى الله عليه وسلم - وكذلك الشعر الذي يفاخر به - صلى الله عليه وسلم - شعر مؤيد بروح القدس. ويُثني على شعر عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ويعتبره أسرع في الكفار وأمضى من نضح النبل عليهم! ويرى أن الشعر قد يأخذ على بعض النساء قلوبهن فمنع أنجشة منه ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يرى أن الشعر سلاحٌ فتاكٌ في هجاء المشركين الكفرة الفجرة. ففي الحديث المرفوع عند البخاري وأبي داود - رحمهما الله -: (إن من الشعر حكمة). وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضى الله عنهما – قال: جاء أعرابيٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل يتكلم بكلام فقال: (إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر حكماً). وثبت في الصحيح مسلم عن أبي سعيد قال: بينما نحن نسير مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال صلى الله عليه وسلم - خذوا الشيطان ، أو امسكوا الشيطان! لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيرٌ له أن يمتلئ شعراً. وثبت في صحيح البخاري وفي سنن أبي داود وفي سنن الترمذي عن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يُفاخر عن النبي - صلى الله عليه وسلم – أو ينافح فيقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو ما فاخر عن رسول الله. وعن عمر بن الشريد عن أبيه – رضى الله عنهما – قال: ردفت النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت: نعم! قال هيه ، فأنشدته بيتاً. قال: هيه ، فأنشدته. قال: هيه. فأنشدته مائة بيت. وفي رواية لمسلم: لقد كاد يُسلم في شعره. وثبت في سنن الترمذي عن جابر بن سَمُرة - رضي الله عنه – قال: جالستُ النبي – صلى الله عليه وسلم - أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون شيئاً من أمر الجاهلية ، وهو ساكت ، فربما تبسم. وثبت في الصحيحين وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن عمر مرّ بحسانَ وهو ينشد الشعر في المسجد ، فلحظ إليه شزراً فقال: لقد كنتُ أنشد فيه - وفيه من هو خير منك - ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس؟ فقال أبو هريرة: اللهم نعم. وثبت في سنن الترمذي وسنن النسائي عن أنس رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل مكة في عُمرة القضاء ، وكان عبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول: خلوا بني الكفار عن سبيله ، اليوم نضربكم على تنزيله ، ضرباً يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله ، فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: خل عنه يا عمر ، فلهو أسرع فيهم من نضح النبل. ولهذا الحديث وجهٌ آخر يُروى منه. روى الشيخان - عليهما رحمة الله - عن أنس أن النبي – صلى الله عليه وسلم - كان في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : ويحك يا أنجشة ، رويدك سوقك بالقوارير! وفي رواية: قال أبو قلابة - رضى الله عنه -: تكلم – النبي –

هذا ، ويقول الأستاذ موسى .صلى الله عليه وسلم - بكلمة لو تكلم بها بعضكم لِعبتموها عليه ديب الخوري في تصوره للشعر: (إننا حين نحاول أن نكشف عن صور الداخل فينا ، نتكشَّف نحن عن تلك الصور ، ونعبِّر عنها بتطوُّرنا وبتفتحنا وبتساميا ؛ فإذا ببحثنا عن الحقيقة يصبح اكتناهاً لها ، وشعوراً بها واقتراباً لا حدود له منها. إن التعبير الإنساني يبدأ بالبحث عن الحقيقة في أُطُرِ مفاهيم عامة مختلفة ، كالجمال والمحبة والطبيعة ، لكنه ينتهي إلى لحظة يتجلَّى فيها الإنسان ذاتُه بحقيقة الوجود. وتكون تلك اللحظة هي لحظة الشعور بالاتحاد مع كل شيء ؛ وفيها تنبع في الإنسان ، وتتدفق منه نغماتُ الشعر الصادق الحي في اللحظة التي يصبح فيها الشاعرُ هو الشعر يتسنَّم الشعورُ ذروةَ تألُّقه. وتلك هي اللحظة الشعرية الخاطفة ؛ اللحظة التي يكون فيها الإنسانُ كلمة وأغنية وتعبيراً حياً ؛ اللحظة التي يحيا فيها الإنسان شعورَه العميق الكامل بصدق وبنقاء ؛ اللحظة التي ينسى فيها نفسه ويستيقظ فيه معنى الأخوَّة الإنسانية الشاملة الكلِّية والوحدة مع كلِّ ما في الكون. هكذا تتبدَّى لنا التجربة الشعرية: تجربة داخلية ، ومعاناة تُفصِح عن نفسها بإقصاء نفسها وبإطلاق طاقة الشعور لتعبِّر عن فعل الحياة بنا وفينا).هـ. ويقول الدكتور محسن الرملي: (أعتقد بأن الشعر هو شيء ذاتي حميمي ، شيء بالغ الجوهرية بحيث لا يمكن تعريفه دون التشتت. أمر يشبه محاولة تعريف اللون الأصفر ، الحب ، أو سقوط أوراق الشجر في الخريف. أنا لا أدري كيف يمكننا أن نعرف الأشياء الجوهرية. وأعتقد بأن هذا يعرف الشعر بشكل ما ، حيث إنه لا يعرفه بشكل جامد ، وإنما يعرض أمام المخيلة هذه الصورة لملاك أو عصفور.).هـ. ويقول خورخه لويس بورخيس: (إذا شعرنا بلذة ، وإيقاع منتظم ، وانفعال عند قراءتنا لنص ، فإنه نص شعري. وإذا لم نشعر بذلك ، فإنه لمن العبث أن يجعلونا نلمس أن القوافي جديدة ، أو أن المجازات كانت مُبتَدعة من قبل المؤلف أو أنها عائدة إلى تيار معين. لا شيء من هذا ينفع. علينا أن نشعر أولاً بالانفعال ثم نحاول تفسير أو فهم هذا النص. فمادة الشعر هي – إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير- الانفعالات! والشعر من ناحية أخرى هو معرفة ، وخلاص ، وسلطة وهجران. عملية قادرة على تغيير العالم. إن النشاط الشعري هو ثوري بطبيعته ، تمرين روحي ووسيلة لتحرير الدواخل. الشعر يكشف عن هذا العالم ، ويخلق عالماً آخر. إنه خبز المتميزين. غذاء روحي وعاطفي وشعوري. يعزل ويوحد. دعوة للترحال ، عودة للأرض الأولى. إلهام ، تنفس ، تمرين عضلي. تمرين عاطفي ووجداني وروحي ، ودعاء للفراغ ، حوار مع الغياب يغذيه الضجر والحنق واليأس والأمل والتفاؤل).هـ. ولله در من عرّف الشعر بقوله: (الشعر هو فن الكلام بشكل راق ، لغة بدائية. طاعة قواعدٍ واختراع أخرى. تقليد للقدماء ، استنساخ للواقع ، استنساخ نسخة مُستنسَخة عن الفكرة. جنون وتوقد ، توهج ، علامات. عودة إلى الطفولة ، ممارسة حب ، حنين إلى الجنة ، ونفور من الجحيم ، واشتياق إلى البرزخ. لعب ، عمل ، نشاط روحي ، اعتراف ، تجربة فطرية ، رؤية ، موسيقى وإيقاع من خلال أوزانه وقوافيه ورمز ، وتناظُر ، والقصيدة هي الحلزونُ الذي تصدح فيه موسيقى العالم ، وحيث الأوزان والقوافي ليست سوى استجابات أو أصداء لتناسق العالم. الشعر هو تعليم أخلاقي ، ونموذج ، كشف ونقاش ، وحوار داخلي. صوت الشاعر ، لغة المتألم السعيد صاحب الأمل ، كلمات خرجت من القلب. صفاء وشفافية ، نص صادق منطوق ، مرسوم ، مكتوب. يمثل كل الوجوه ، ولكن ثمة من يؤكد بأنه لا يمثل أي وجه فالقصيدة هي قناع يُخفي الفراغ ، دليل جميل على العظمة غير الضرورية لكل عمل إنساني).هـ. وبعد هذا الاسترسال الطويل في الاستشهاد بموقف النبي –

صلى الله عليه وسلم – من الشعر ، وهذه هي خاطرتنا المسماة بـ (أبجديات شعرية) نحيي فيها الشعر! وأدرك جيداً أنها خطفة وسريعة ، ولكن كان لا بد من تحية الشعر العربي بخاطرة تبين حقيقته! وإذن فهذه الخاطرة تبين كيف أنظر إلى شعر العرب وأراه قد خفف الله به عنيَّ معاناة كبيرة في هذه الحياة! حيث كان الشعر العربي بالنسبة لي هو الواحة الظليلة في هجير الجاهلية اللافح! وكان السلاح الوحيد الذي أحارب به كل من تسول له نفسه النيل من الإسلام والقيم والأخلاق! وكان الشعر ديوان حياتي بأفراحها وأتراحها! ثم اتجهتُ للنثر في القصص!)

98 - ابدأ بنفسك - نصيحة هامة

(إن هذا الشعار (ابدأ بنفسك!) شعارٌ عظيم النفع. يُضمنه كتاب الله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب)؟ وجميلٌ جداً من الداعي أن يتأسى بما يقول ويعمل به ، ويلزم نفسه الوقوف على ما يدعو إليه الآخرين. إنه إن فعل ذلك يكون قد دعا إلى ما يدعو الآخرين مرتين: الأولى بالقول ، والثانية بالعمل. والنفس بها البدءُ وإليها ينتهي الختام. (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس). وإذن فالنفس ما لم يتعهدها كل عاقل حصيف أوبقته ، وأوقعته في شر الأعمال والأقوال. (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها). ومَن أخذ بأسباب هُدى النفس اهتدت نفسه. ومن أخذ بأسباب تدسيتها تدسّت وخابت وخسرت. ولقد أسرفتُ على نفسي كثيراً بانتقاد الآخرين عقيدة وسلوكاً. إلى أن أصبح ذلك ديدني ليل نهار! فأصبحتْ نفسي خاوية لانشغالها بالناس. فرأيتُ أن أكتب قصيدة أهديها لنفسي ، أعظها فيها وكأني أقول لها: (طوبى لمن شغله عيبُه عن عيوب الناس) وصدق الشاعر إذ يقول ناصحاً من ينشغل بعيوب الآخرين غافلاً أو متغافلاً ناسياً أو متناسياً نفسه:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنهُ فأنت حكيمُ

وحكيم آخر راح يوبّخ نفسه ويقول لها: (يا نفس قبل أن تنظري إلى ذرات الرمال التي علقت بالآخرين انظري الحجارة التي علقت بك ولا تزال!) ألا وإن وعظ الشاعر الحكيم لنفسه ، وحثها على الخير وعظائم الأمور ، وزجره لها للانتهاء عن السوء ومحقرات الأعمال ، لمن أصعب الأمور التي لا يتصورها عقل مهما أوتي من حكمة! وكل من استطاع أن يوقف نفسه عند حدها فهو حكيم! عَن أبي مَسعودٍ - رضي اللَّه عنه - قالَ: قال لي النبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: "اقْرَأْ عَلَيَّ القُرآنَ" قلتُ: يا رسُولَ اللَّه ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قالَ: "إِني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي". فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّساء ، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآية: {فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّة بِشَهيدٍ وجِئْنا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً} قال: "حَسْبُكَ الآن". فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عِيْنَاهُ تَذْرِفانِ. متفقٌ عليه. وتحت عنوان: (مفاتيح في تربية وبناء النفس) يقول الأستاذ عبد الله بن سعيد آل يعن ما نصه: (التخلية والتحلية! وطريقة ذلك أن يتخلى الإنسان عن بعض الاعتقادات الخاطئة عن تعامله مع القرآن! كأن يقول أنا غير قادر على تلاوة القرآن. أو أنا غير قادر على المحافظة على جدولي الأسبوعي مع القرآن وهكذا من الخيالات المثبطة عن التعامل مع القرآن باعتناء ، والواجب أن يحدث الإنسان نفسه بأنه يستطيع التخلي عن المعوقات التي تعيقه عن

الاعتناء بالقرآن ، ويحدث نفسه بأنه سوف يحفظ ويتقن القرآن. وغير ذلك من الشعور الذي يُفضي إلى النفس حبّ القرآن والأنس به).هـ. ذلك أن القرآن هو مربي النفس الأول. والنفس القريبة من القرآن العاملة به نفس أبية كريمة ولاشك! ولا مُشاحة في الاستظهار! إذا منّ الله على العبد واستظهر القرآن كله أو جُله أو بعضه فبها ونعمت! وإلا فلا ينبغي عليه أن يجعل الاستظهار غاية في ذاته ، على عادة المُرتزقة المنافقين الذين ختموا الاستظهار ليس لله بل للوظيفة!)

99 - إبراهيم مصطفى عند الله!

(في تمام الساعة الرابعة من صباح يوم الثلاثاء الموافق 17 – 7 – 2018م ، وبينما كنت أستعد لصلاة الفجر جاءني ابني يوسف وقال: احتسب خالي إبراهيم مصطفى رزق عند الله ، وسامحْه وادعُ له بالرحمة! فظننته يمزحُ أو يُلقي بالكلام على عواهنه! وناشدته الله هل ما تقول صحيح يا بُني؟ فأقسم أنْ نعم! فأخذتني سَورة الحُزن ودخلتُ في قشعريرة الذهول للخبر المباغت في هذا الوقت. وقلتُ في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا إليه راجعون! ورحم الله الأخ والصديق والصهر إبراهيم مصطفى رحمة واسعة ، وتجاوز عن سيئاته ، وأشهد الله وملائكته ومن قرأ القصيدة بعدي أني سامحته في كل ما بدر منه تجاهي! والحقيقة أنني ما اعتبرتُه يوما صهراً فحسب ، بل كان نعم الأخ والصديق! ومناقبه لا تعد ولا تحصى كثرة ، ولا أزكّي على الله أحدا! وإذ مات فندعو له بالرحمة والمغفرة ولأهله ولأبنائه بالخير وأن يخلفه الله فيهم! ولقد عاش معي في غربتي قرابة الربع قرن هنا بالإمارات! ألفيته أخاً عزيزاً فاضلاً ، وكان من الراسخين في معرفتي بصدق! ولمّا كان حزني عليه أكبر من الشعر وأوزانه وبحوره وقوافيه ، حاولتُ بعد جهدٍ جهيد أن أكتب في رحيله شيئاً فما استطعت أن أتماسك وأكتب في أول الأمر! حيث كان لزاماً عليّ أن أتصبر وأخبر أخته أم عبد الله بذلك الخبر الأليم! واستطعتُ أن أحقق شيئاً من ذلك بفضل الله ورحمته ومعونته! وصليتُ فجري ورحتُ أتعجب من الدنيا التي يُصبح الإنسان فيها خبراً في أقلّ من لمح البصر! وعجبتُ أكثر من عُباد الدنيا الذين يغرّهم طولُ الأمل فيسفِكون الدماء ويظلمون الناس ويأكلون حقوق الآخرين ، وينهبون أقوات وأرزاق الناس بغير حق ، ويسعَوْن في الأرض الفساد ، ويهتكون الأعراض ، ويحاربون أولياء الله في الأرض لقولهم ربنا الله! ويوالون أعداء الله علانية! إنها لقصيرة تلك الحياة! وإنا جميعاً راحلون ولو بعد حين! فليعدّ كل إنسان نفسه للموت والقيامة!! فرحم الله الصاحب الجليل إبراهيم مصطفى ، ولا حرَمنا أجره ولا فتننا بعده! واليوم يموت إبراهيم أيضاً في حادث سيارةٍ فظيع بشع ، وكأن الأقدار الربانية تريد أن تقول له: إن حادث 25-11-1994م مع أخيك شوقي عبد الحميد وأحمد سليمان لم يكن مستهدفاً منه إلا الأخير بذهاب إحدى حبيبتيه عينه! وأن آجال الجميع (شوقي وإبراهيم وأحمد سليمان) لا تزال فيها بقية! أما حادث اليوم فالمستهدفُ فيه إبراهيم فقط ، وأسأل الله أن يُعجّل بشفاء ابنه وابني مصطفى إبراهيم مصطفى رزق! اللهم اشفه شفاءً لا يُغادر سقماً ، واجعل ما حدث له ولأبيه كفارة من الذنوب والخطايا! وأذكر أنني اختلفت مع إبراهيم حتى ليمكنني القول بأنني وإياه لم نتفق على شيء! وكم تجاذبنا أطراف الحديث حول عدة قضايا منها ما يتصل بالدين ومنها ما يتصل بالدنيا ، ولم يعمد يوماً للنيل مني بغير حق! ولم يذكر كلمة نابية ولا جافية قط! وكم كان حريصاً على مصلحتي

ومصلحة أخته ، فيتدخل للإصلاح فارضاً شخصيته بالمناسبة وبغير المناسبة ، وكان يشفع له في كل مرة سمو الغاية ونبل القصد وصفاء النية! ولم يكن معنا فقط يفعل ذلك ، بل امتد إلى الآخرين من حولنا ، فما إن يسمع بخلافٍ أو خصام بين زوج وزوجه تربطه بهما علاقة إلا ويبادر للإصلاح! وأذكر له حرصه على الصلاة في مواعيدها وصيامه للنافلة عند القدرة عليها. وأذكر له دفاعه عني عندما استطال عليّ من هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، وأذكر له زيارته المشفوعة بقول الله تعالى عند الدخول: (وإن قيل لكمُ ارجعوا) فأقول له: ارجعوا! فيعقب: وهل جئتُ لأرجع ويقسم أن لا رجوع! يا الله ما كان ألطفه وأخفه! فكان بذلك أخاً عزيزاً وصديقاً طيباً. وأذكر يوم الحادث الذي أودى بعيني وكان معي في ذات السيارة ، والدم ينهمر من شريان المخ على ثيابه وأنا أحولق وأحوقل وهو يقول: لا بأس عليك ، سيشفيك الله ولن تضار فاصبر واحتسب! وأذكر له صموده معي في المواقف الصعبة عندما تنكرت لي الدنيا فما هي بالتي أعرف وتنكر لي الكل فما هم بالذين أعرف ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت وضاقت عليّ نفسي! ومن هنا يُعرف الرجال الحقيقيون لا بالمال ولا بالشهادات والدرجات العلمية ، بل بالمواقف الصعبة! وكم كنت أتمنى أن لا أعيش هذا الموقف ولا أن أستمع لمثل هذا الخبر ولا أن أفجع في أخ غال وصديق عزيز كإبراهيم هكذا! وعزائي أن تكون لقيانا هناك في الجنة عند الله في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر ، أسأل الله من فضله العظيم! والحمد لله أن وجد إبراهيم صديقاً له يرثيه ويبكيه وينعيه في قصيدةٍ معلقةٍ كهذي فقد تجاوزت السبعين بيتاً من البحر البسيط وعلى القافية الميمية! وهذا واجبي حِياله لا مِنة مني ولا تكرماً عليه! إنّ حزن وبكاء الشعراء يجب أن يكون شعراً! ومن هنا يأخذ حزنهم وبكاؤهم صفة الخلود! وأما بكاء غيرهم فسويعات وأيام وليال ويجف كأن شيئا لم يكن! وها أنذا قد وفيت! وأسأل الله أن تكون هذه القصيدة على طولها شافعاً لي تقصيري في حق إبراهيم ، وكفارة لما وقعتُ في عِرضه واغتبته عاماً أو غيرَ عامد! وإنني لأبتهل بإخلاص إلى الله تعالى لنفسي وللمسلمين ولهذا الصاحب فأقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ ، وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وباعد بينه وبين خطاياه كما باعدت بين المشرق والمغرب ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِه ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِه ، ودماً خيراً من دمه ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ). (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا ، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا ، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا ، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا ، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلاَمِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ). (اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ إبراهيم مصطفى احْتَاجَ إِلَى رَحْمَتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ ، إِنْ كَانَ مُحْسِناً – وظني به كذلك - فَزِدْ فِي حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً - وظني به غير ذلك - فَتَجَاوَزْ عَنْهُ). اللهمّ عامله بما أنت أهله ، أنت أهل التقوى وأهل المغفرة ، ولا تعامله بما هو أهله ، هو أهل الخطايا والذنوب! اللهمّ اجزه عن الإحسان قبولاً وإحساناً ، وعن الإساءة عفواً وصفحاً وغفراناً. اللهمّ إن كان عندك محسناً فزد من حسناته ، وإن كان عندك مسيئاً فتجاوز عن تقصيره وسيّئاته. اللهمّ آنسه في قبره ، وفي وحدته ، وفي وحشته ، وفي غربته. اللهمّ إنّه في ذمّتك وحبل جوارك ، فقِهِ فتنة القبر ، وعذاب النّار ، وأنت أهل الوفاء والحقّ ، فاغفر له وارحمه ، إنّك أنت الغفور الرّحيم. اللهمّ إنّه عبدك وابن عبدك ، خرج من الدّنيا ، وسعتها ، ومحبوبها ، وأحبّائه فيها ، إلى ظلمة القبر ، وما هو لاقيه. اللهمّ إنّه كان يشهد أنّك لا إله إلّا أنت ، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك ، وأنت أعلم به. اللهم إن وقته كان قد اتسع لقراءة

القرآن ومُدارسة سُنة الحبيب العدنان فشفع فيه القرآن يا رب العالمين! اللهم واجعل من أبنائي وأبنائه من يدعو لي عند موتي بهذا الدعاء! اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم إلى يوم الدّين. وأجعل قصيدتي مرثية عزاء للكِرام المؤمنين من أهل تفتيش كفر سعد في رحيل ابن بار من أبنائهم هو إبراهيم مصطفى رزق. كما وأعزي آل رزق في فقيدهم وأقول للجميع: (إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيئ عنده بمقدار ولأجل مسمى ، فلتصبروا ولتحتسبوا). وليكن موت النبي – صلى الله عليه وسلم – مُهوّناً علينا جميعا هذا المصاب الجَلل! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب). وهذا مما يهوّن علينا مصيبتنا في إبراهيم! يقول الله تعالى: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}. ذكر الثعلبي رضي الله عنه في هذه الآية قال: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنيْن فقال: يا رب ، إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك ، وطاعة رسولك ، وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر. ويخبرني أني ملاقيك ، يا رب فلا تضله بعدي ، واهده كما هديتني ، وأكرمه كما أكرمتني. فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما ، فيقول الله تعالى: (لِيُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه) ، فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ، ويخبرني أني ملاقيك ، فيقول الله تعالى: (نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب كان)! قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب ، إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك ، فأسألك يا رب ألا تهده بعدي ، وأن تضله كما أضللتني ، وأن تهينه كما أهنتني ؛ فإذا مات خليله الكافر قال الله تعالى لهما: (لِيُثْنِ كل واحد منكما على صاحبه) ، فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك ، فأسألك أن تضاعف عليه العذاب ؛ فيقول الله تعالى: (بئس الصاحب والأخ والخليل كنت). فيلعن كل واحد منهما صاحبه. والآية عامة في كل مؤمن وكافر ومضل. وجاء عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أحاديث عديدة تحثُ المسلمين لاختيار الصحبة الصالحة ومنها: أن اَبَا بُرْدَةَ بْنَ اَبِي مُوسَى روى عَنْ اَبِيهِ ـ رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ الجليس الصَّالِح والجَليس السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً». (متفق عليه) ، واللفظ للبخاري. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ عَلَى دين خَلِيله فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». (قَالَ الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وأبو داوود). وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله ، أي جُلسائنا خير؟ قال: «مَن ذكَّرتكم بالله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكَركم بالآخرة عمله». (رواه أبو يعلى). وتحت عنوان: (العاقبة في ذكر الموت) يقول الأستاذ الفاضل عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي ما نصه: (والحقيقة أن الموت أمرٌ كُبار لمن أنجد وأغار وكأس تدار فيمن أقام أو سار وباب تسوقك إليه يد الأقدار ويزعجك فيه حكم الاضطرار ويخرج بك إما إلى الجنة وإما إلى النار. خبر ـ علم الله ـ يصم الأسماع ويغير الطباع ويكثر من الآلام والأوجاع. واعلموا أنه لو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ونسيانك أحلى الليالي والأيام لكان والله لأهل اللذات مكدراً ، ولأصحاب النعيم مغيراً ، ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجراً ومنفراً! كما قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: إن هذا الموت نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه! فكيف ووراءه يوم يعدم فيه الجواب ، وتدهش فيه

الألباب ، وتفنى في شرحه الأقلام والكتاب ، ويترك النظر فيه والاهتمام به الأولياء والأحباب. واعلموا أن الناس في ذكر الموت على ضروب: فمنهم المنهمك في لذاته ، المثابر على شهواته ، المضيع فيها ما لا يرجع من أوقاته ، لا يخطر الموت له على بال ، ولا يحدث نفسه أبداً بزوال ، قد أطرح أخراه ، واكب على دنياه ، واتخذ إلهه هواه ، فأصمه ذلك وأعماه ، وأهلكه وأرداه. فإن ذكر له الموت نفر وشرد ، وإن وعظ أنف وبعد ، وقام في أمره الأول وقعد ، قد حاد عن سواء نهجه ، ونكب عن طريق فلجه ، وأقبل على بطنه وفرجه ، تبت يداه ، وخاب مسعاه ، وكأنه لم يسمع قول الله: (كل نفس ذائقة الموت). ثم ربما أخطر الموت بخاطره ، وجعله من بعض خواطره ، فلا يهيج منه إلا غماً ، ولا يثير من قلبه إلا حزناً ، مخافة أن يقطعه عما يؤمل ، أو يفطمه عن لذة في المستقبل ، وربما فر بفكره منه ، ودفع ذلك الخاطر عنه ، ويا ويحه كأنه لم يسمع قول الله عز و جل: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم).هـ. والحقيقة أن العين لتدمع ، والقلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا سبحانه وتعالى: (إنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون! وإن مواقف إبراهيم مصطفى معي في دار غربتي مواقف خالدة لأنها مشرفة! لقد عاش معي على الحلوة والمرة! وكان يجتهد كل الاجتهاد في المحافظة على العشرة والصحبة! ومن هنا كانت هذه القصيدة ترجمة لهذه الصداقة وتلك الصحبة وها تيك العشرة! وكنتُ أتمنى أن لا أعيش إلى اليوم الذي ينعى إلي إبراهيم! لقد كنت أرجو أن نعود معاً من دار غربتنا لنعيش معاً! ولكنها إرادة الله تعالى!)

100 - شجاعة إبراهيم مصطفى

(في تسعينات القرن المنصرم ، عام 1993م صليتُ الجمعة في أحد المساجد ، ولم أكن أدري أنه - بكل صدق وموضوعية وواقعية وحيدة – أحد مساجد الضرار وما أكثرها! ودارت الخطبة حول إثبات أن الأئمة الأربعة أبا حنيفة ومالكاً وأحمد والشافعي كانوا قد أحدثوا فتنة في الأمة المسلمة! وأن مذاهبهم الأربعة كانت أشبه ما تكون بأربعة أديان! وأنهم اخترعوا مذاهب متناقضة ومناهج متضاربة يسير عليها الناس! وعندما خرجنا من المسجد ، تجاذبتُ مع أحد أصدقائي أطراف الحديث حول هذه الخطبة وخطيبها – عليه من الله ما يستحق – بصوت لا يكاد يُسمع ، فإذا نحن بطرف ثالث كان قد أقحم نفسه بالقوة في حوارنا ، وحوّل موضوع الحوار إلى وجهةٍ أخرى لا علاقة لنا بها أصلاً! وإذا نحن بمجموعةٍ من الأشخاص على شاكلة ذلك الطفيلي المعتوه وكانوا جهلاء سفهاء! ووجدنا أنفسنا - أنا وصديقي وأحد أصهاري إبراهيم مصطفى رزق – نغرق في خِضم من الأسئلة التي لا ناقة لنا فيها ولا جمل! وأحاط بي أنا شخصياً

هـؤلاء جميعـاً إحاطـة السـوار بالمعصـم! وكـأنني أنـا المسـتهدف وحـدي! واحتـرتُ كيـف أسـكتهم أو أقـنعهم أو أهـرب مـنهم! فسـألت سُـؤالاً غايـة فـي السـهولة لأصـرفهم عـن الموضـوع ، فقلـت: أتحـدى أن يكـون مـنكم مـن يـذكر لـي أحـدكم نـواقض الوضـوء! وكنـتُ علـى يقـين أنـه لـن يفطـن إلـى نـاقض الـردة حسـب كتـب الفقـه الأولـى كتـب السـلف الـذين كـانوا ينظـرون إلـى نـاقض الـردة أنـه يـنقض كـل شـيء مـن الإسـلام والإيمـان إلـى المناسـك! فاستشـاطوا غيظـاً ، ووصـلوا معـي إلـى الـذروة! وبـدأت الأيـدي تتحـرك وتصـمت الألسـنة. الأمـر الـذي دعـا إبـراهيم مصـطفى إلـى أن يصـيح فـيهم صـيحة عاليـة مدويـة قـائلاً: (هـو أنـتم فـاكرين أنـه لوحـده؟! لا يـا حبيبـي أنـت وهـو! ونشـر ذراعيـه جانبـاً وجعلنـي خلفـه وقـال لهـم: الرجـل مـنكم مـن يلمسـه لمسـة ، وأنـا والله أخليـه نصـفين! كفـوا عـن الاسـتهبال! لقـد هـزمكم ولـم تسـتطيعوا الـرد عليـه! الزمـوا حـدودكم وإلا نـدمتم نـدما لا حـدود لـه!) وكـان صـوت إبـراهيم قـد جعـل بعـض النـاس يفحـون نـواذهم أو ينظـرون مـن شـرفاتهم ويسـاءلون: مـا الـذي يجـري هنالـك؟ فخـافوا وتراجعـوا ، وأدركـتُ سـاعتها كلمـة الصـحابي الجليـل والخليفـة الراشـد ذي النـورين عثمـان بـن عفـان – رضـي الله عنـه -: (يـذع الله بالسـلطان مـا لا يـذع بـالقرآن!) فكـان موقفـاً مـن مواقـف إبـراهيم مصـطفى الجريئـة يسـتحق قصـيدة عصـماء كتبـت أبياتهـا الأولـى بعـد عودتنـا إلـى البيـت ، ثـم أكملـتْ بعـد سـنوات! ونحـن إذا عـدنا لأسـلافنا الكـرام وجـدناهم كـانوا كـذلك ، يـدافعون عـن المظلـوم ولا يسْـلمونه للظـالمين ، وإلا لعُـدّ ذلـك خـذلاناً ، نهـاهم عنـه النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – فـي غيـر مـا حـديث مـن أحاديثـه الشـريفة العطـرة! وإذا كـان حفـظ المسـلم عـن غيبـةٍ يغتابـه فيهـا أحـدهم كـان حريـاً أن يعتـق رقبتـه مـن النـار ، فمـا بالنـا بالمسـلم الـذي يقـدم نفسـه فـداء لأخيـه غيـر مبـال بمـا قـد تـتمخض عنـه العواقـب والنتـائج؟! عـن أسـماء بنـت يزيـد - رضـي الله عنهـا - قالـت: قـال رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم -: (مـن ذبَّ عـن عـرض أخيـه ، كـان حقًّـا علـى الله أن يعتقـه مـن النَّـار). وعـن القاسـم بـن عبـد الـرحمن الشـامي قـال: (سـمعت ابـن أم عبـد يقـول: مـن اغتيـب عنـده مـؤمن فنصـره ، جـزاه الله بهـا خيـرًا فـي الـدنيا والآخـرة ، ومـن اغتيـب عنـده مـؤمن فلـم ينصـره ، جـزاه الله بهـا فـي الـدنيا والآخـرة شـرًّا ، ومـا الـتقم أحـد لقمـة شـرًا مـن اغتيـاب مـؤمن ، إن قـال فيـه مـا يعلـم فقـد اغتابـه ، وإن قـال فيـه بمـا لا يعلـم فقـد

بهته. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: من رد عن عرض أخيه. جاء في (دليل الفالحين في شرح رياض الصالحين) ما نصه: (أي: في الإيمان وهو المسلم، أي: بأن يمنع من يريد اغتياب المؤمن عنها ، إما قبل الوقوع بالزجر والردع عنها ، وإما بعده لرد ما قاله عليه. وإن كان ذلك الإنسان بخلافه كما يأتي فيما بعد ، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وذلك: لأنه رد مريد الغيبة عن عذابها لو فعلها فجوزي بردها عنه في الآخرة ورد عن المغتاب ما يلقاه مما رمى به ممن اغتابه ، فردّها الله عنه (رواه الترمذي وقال حديث حسن). ورواه البيهقي في السنن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أيضاً بلفظ: من رد عن عرض أخيه ، كان له حجاباً من النار. وفي الجامع الكبير للسيوطي بعد إيراده باللفظ الذي أورده المصنف رواه أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة. وباللفظ الثاني رواه عبد بن حميد بن زنجويه والروياني والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني وابن النجار في عمل يوم وليلة ، ورواه الطبراني والخرائطي من حديث أبي الدرداء بلفظ: "من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار" وفي رواية: "كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة". ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة من حديث أم الدرداء بلفظ: "من رد عن عرض أخيه كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة. ورواه ابن أبي الدنيا، من حديث أسماء بنت يزيد بلفظ: "من رد عن عرض أخيه بالغيبة ، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار").اهـ. وإنه مما يثلج الصدر ويطيب الخاطر هذا الحديث الذي هو أصل في هذا الباب! (عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ذبَّ عن عرض أخيه بالغِيبة ، كان حقًّا على الله أن يعتقه من النَّار). وعن القاسم بن عبد الرحمن الشامي قال: (سمعت بن أم عبد يقول: من اغتيب عنده مؤمن فنصره ، جزاه الله بها خيرًا في الدنيا والآخرة ، ومن اغتيب عنده مؤمن فلم ينصره ، جزاه الله بها في الدنيا والآخرة شرًّا ، وما التقم أحد لقمة شرًا من اغتياب مؤمن ، إن قال فيه ما يعلم فقد اغتابه وإن قال فيه بما لا يعلم فقد بهته). ولقد أخرج الإمام الطبراني في مسنده الكبير عن يعقوب بن عتبة ، أن أبا جهل – لعنه الله - اعترض لرسول الله بالصفا فآذاه ، وكان حمزة صاحب قنص وصيد وكان يومئذ في قنصه ، فلما رجع قالت

لـه امرأتـه - وكانـت قـد رأت مـا صـنع أبـو جهـل برسـول الله -: يـا أبـا عمـارة لـو رأيـت مـا صـنع هـذا – تعنـي أبـا جهـل - بـابن أخيـك ، فغضـب حمـزة ومضـى كمـا هـو قبـل أن يـدخل بيتـه ، وهـو معلـق قوسـه فـي عنقـه حتـى دخـل المسـجد ، فوجـد أبـا جهـل فـي مجلـس مـن مجـالس قـريش ، فلـم يكلمـه حتـى عـلا رأسـه بقوسـه فشـجه ، فقـام رجـال مـن قـريش إلـى حمـزة يمسـكونه عنـه ، فقـال حمـزة: دينـي ديـن محمـد أشـهد أن لا إلـه إلا الله ، فـو الله لا أنثنـي عـن ذلـك ، فـامنعوني مـن ذلـك إن كنـتم صـادقين ، فلمـا أسـلم حمـزة - رضـي الله عنـه - عـزَّ بـه رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم – والمسـلمون ، وثبـت لهـم بعـض أمـرهم ، وهابـت قـريش ، وعلمـوا أن حمـزة سيمنعـه! وعـن عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص - رضـي الله عنهمـا - قـال: جـاء رجـل مستصـرخ إلـى النبـي - صـلى الله عليـه وسـلم - فقـال جاريـة لـه يـا رسـول الله! فقـال: ويحـك مـا لـك؟ قـال شـراً أبصـر لسـيده جاريـة لـه ، فغـار فجـب مـذاكيره! فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: "علـيّ بالرجـل" فطلـب فلـم يقـدر عليـه! فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: اذهـب فأنـت حـر ، فقـال يـا رسـول الله ، علـى مـن نصـرتي؟ قـال: "علـى كـل مـؤمن"! أو قـال: "كـل مسـلم"! رواه أبـو داود وحسـنه الألبـاني. والمواقـف فـي هـذا البـاب كثيـرة ، والأحاديـث فـي الحـث علـى التناصـر كثيـرة أيضـاً ، والـذي يهمنـا مـن خـلال هـذا الموضـوع: كيـف نتناصـر ونتعـاون بيننـا نحـن المسـلمين؟! خاصـة فـي وقـت ازدادت فيـه غربـة المسـلم وكثـر الشـر والفسـاد والظلـم ، وتكالبـت الأمـم علينـا. والواجـب علينـا نصـرة المسـلمين فـي كـل مكـان بالمـال والـنفس مـا اسـتطعنا إلـى ذلـك سـبيلاً. وكـذلك نـدعو لهـم إذا لـم نقـدر علـى مـا سـبق ، فـإن الـدعاء عبـادة عظيمـة. والـذب عـن المسـلم والـدفاع عنـه إذا انتهـك عرضـه ، أو ذكـر بسـوء فـي غيبتـه ، واجـب شـرعي وأخلاقـي! فيقـال لمـن يـذكره بالسـوء: اتـق الله واسـكت عـن قـول الشـر. فـإن سـكت عنـه وإلا قـام مـن عنـده وتركـه ، فهـذا مـن النصـرة التـي يقـدمها المسـلم لأخيـه. وإذا ظلـم مسـلم فـي مـال أو أرض أو نحـوه وجبـت مناصـرته والقيـام معـه حتـى يأخـذ حقـه! وتحـت عنـوان: (المـروءة) يقـول الشـيخ الـدكتور خالـد بـن عثمـان السـبت مـا نصـه: (مـا الفـرق بـين المـروءة والعقـل؟ الفـرق بينهمـا ، يمكـن أن يـتلخص فـي أن العقـل يـأمرك بـالأنفع ، والمـروءة تـأمرك بـالأرفع ، المـروءة تسـمو بـك ، والعقـل يـأمرك بمـا ينفعـك ، ولـو كـان ذلـك يغـض مـن مرتبتـك بعـض الشـيء.

ونسأل: كيف نحصل هذه المروءة؟ كيف نصل إليها؟ المروءة ليست ميراثاً ، وليست شيئاً يكتسب من غير تعب ولا كد. إنما المروءة تحتاج إلى صبر ومكابدة ومصابرة ، وتحتاج إلى مجاهدة ؛ ولهذا قال من قال من السلف - رضي الله تعالى عنهم -: إن أكمل الناس مروءة هو أعظمهم ضبطاً للنفس ومجاهدة لها. ولذلك كانت هذه المروءة صعبة على الصغار - وأعني بالصغار صغار النفوس - الذين يجرون على شهواتهم ومطلوبات نفوسهم وأهوائهم ، صعبة المحل ، ولو لم تكن كذلك لما ترك اللئام للكرام منها ، لم يتركوا منها بيتة ليلة ، وأحفظ من بعض الأشعار التي يقال عنها الأشعار النبطية ، وكنت قد سمعتها قديماً تذكر المروءة ، وتذكر الأخلاق ، ولكني أكره هذا الشعر المعروف بالشعر النبطي ، فلا أستحسن قوله في هذا المجلس ، وإلا فهي تحمل معان جميلة ، ولولا المشقة لكان الناس جميعاً في المراتب العالية ، ولكن ذلك يحتاج إلى بذل في الأموال ، يحتاج إلى تضحيات ، يحتاج إلى كد من أجل أن يصل الإنسان إلى القمة ، يحتاج إلى نفوس كبار. ولذلك فإن الكبير يحمل هماً كبيراً ، لا يحمل هم أكلة يأكلها ، أو شربة يشربها أو لذة يقضيها ، إنما يحمل هماً كبيراً ، يحمل هم أهله ، وأن يحملهم على ما يجمل ، وألا يحتاجوا إلى غيره ، ويحمل همَّ جيرانه ، ألا يبيت وهو شبعان ، وجاره جائع ، ويحمل هم مجتمعه ، ويحمل هم أمته. إنه يعيش نفساً كبيرة ، تستوعب المجتمع برمته ، فالحمد والمكارم ليست قضايا هينة المطلب).هـ. وإذن فالمروءة التي حباها الله تعالى لعبده إبراهيم مصطفى تعتبر مروءة نادرة في زماننا! فلله درك يا إبراهيم لقد دافعت مخلصاً ووفيت في هذا الموقف تمام الوفاء! أسأل الله أن يأجرك عليه وأن يجزيك حقاً عني خير ما جزى صاحباً عن صاحبه ، وصديقاً عن صديقه ، وصفياً عن صفيه! لقد كانت قصيدتي هذه ترجمة للموقف!)

فهرست القصص – (من القصة الأولى حتى القصة المئة)

مسلسل	عنوان القصة	النغم	النوع	الصفحة
1	بارك الله فيكِ يا أمل!	حزينة	قصة قصيرة	7
2	أريج التصابي (الحذاء الكلاسيكي)	تهكمية	خاطرة	7
3	صدقتي أولى من سحوري!	فكاهية	قصة قصيرة	8
4	كرمٌ زوجةٍ لا يُبارى	افتخار	موقف إنساني	9
5	حب الوطن من الإيمان	حقيقة	تشخيص	10
6	الغربة خير معلم!	إحساس	خاطرة	11
7	أبتاه! أسعِدْني بردك!	إحساس	موقف	11
8	أبتاه لا تفعلْ ولك الأجر!	مأساوية	موقف	12
9	ابتسامات الأسى الملتهب!	مأساوية	توجيه	13
10	ابتهال (اللهم إليك أشكو)	التضرع	الدعاء	14
11	إباءُ المؤمنة المُحصنة	العفة	الالتزام	15
12	اسمَعي يا سوزي	النصيحة	الصحبة	15
13	أسمى آيات التهاني	الفرحة	التعبير	17
14	إشاراتٌ غالية الثمن	النصيحة	الجدية	18
15	أبٌ للبيع يا قوم!	النصيحة	قصة قصيرة	19
16	أوشكتُ أن أبيع الإسلام بعشرة جنيهات	الموعظة	قصة قصيرة	22
17	قصتي مع الشاعر أبي عاصم القارئ	التهنئة	خاطرة	22
18	جوزيت خيراً يا ابنَ منصور	الشكر	مقالة	24
19	دموعك يا أختاه دموعي	مأساوية	قصة	25

20	في رثاء أريج الطفولة	بكاء طلل	خاطرة	26
21	أرشيف الانهزام	الحزن	تشخيص	26
22	قصة زينب بيرة جكلي	سرد قصصي	قصة مسيرة	27
23	أسماء	سرد موقف	قصة	30
24	لعل أبي يسمع	نصيحة	موقف	30
25	أتيناكم أتيناكم	نصيحة	موقف	31
26	أريج البطولة	تهنئة	مقالة قصيرة	32
27	لن أبتسم أبداً	رد	موقف	32
28	أسماء وألقاب	فكرة	موقف	33
29	يا ناس احترموا التخصص	نصيحة	مقالة	33
30	أسلِموا إذن!	نصيحة	خاطري	36
31	أسماءُ الله الحسنى	الدعاء	مدح الله تعالى	41
32	أسطورة الفاشلين	تشخيص	بيان العشق	43
33	أريج الذكريات	بكاء الأطلال	خاطرة	43
34	أشهرْ العقيدة	الاعتزاز	موقف	44
35	أريج الشعر	تشخيص	الشاعر الحق	44
36	طبيب القلوب ابن قيم الجوزية	تشخيص	مدح ابن القيم	45
37	أريج القرنفل	نصيحة	موقف	45
38	ازدواجية صريحة	تشخيص	بيان التناقض	46
39	ازدواجية	تشخيص	إكرام الضيف	47
40	أستاذي قال لي	تعليم	موقف خاطف	48

41	أرشيف المعالي!	موعظة	إيحاء سريع	49
42	استر على نفسك يا هذا	تعليم ونصح	قصة قصيرة	49
43	استعطاف فوق الوصف!	تعليم وإرشاد	موقف عاطفي	50
44	استعلاءٌ في دنيا البهتان	نصح وإرشاد	موقف قاسي	52
45	يا أسفى على جميلة!	نصيحة	موقف	53
46	يا أسفى على الجمال	هجاء	موقف عاتي	53
47	أبشر بالخير يا وليم	فرحة	موقف وقصة	54
48	يا أسفى على الحياء	الغيرة	قصة قصيرة	54
49	احتسبتُكِ عند الله يا رُقيّة	الاحتساب	خاطرة	56
50	أسلم سبعة بسبب حجابها	الاستجابة	قصة قصيرة	56
51	أريج الأحلام	الخديعة	موقف	57
52	إصلاح الذات قبل الذوات	النصيحة	رأي صائب	57
53	بل أصلحها الربيع	الانتصار	قصة مسلية	58
54	بكائية إسماعيل علي سليم	الرثاء	مواساة	59
55	إشارة أبلغ من الكلام	الحكاية	الدروس	60
56	أشلاء وأشياء	الحث	نقد الحُلم	61
57	أشهر قرآنك	الفخر	موقف	62
58	أبشرْ بالزلفى يا زلفى	التهنئة	خاطرة	64
59	أبشرْ بالشهادة يا عزيزي	البشارة	التعزية	65
60	أبلغت يا عدنان وأوجزت!	الفخر	موقف	67
61	ابنٌ مثاليٌ من قرية ظفر بالدقهلية	الفخر	قصة قصيرة	69

62	ابن مماتي مؤرخ صعيدي	الإشادة	قصة كفاح	70
63	أبو غياث المكي	المدح	موقف مُشرّف	74
64	اتركوني مع القوافي	الشجاعة	قرار موفق	77
65	ارجعي إلى حقل الدعوة	الندم	الرجاء	78
66	اتركوني مع من أحببتُ في الله!	التصميم	قصة قصيرة	78
67	اتسع الخرقُ على الراقع!	الحيرة	قصة واقعية	79
68	أحاجي العراف	الاضطراب	قصة واقعية	79
69	احتسبتك عند الله يا أبي	الحزن	تعزية	80
70	احتسبتُكَ عند اللهِ يا خالد!	الحزن	موقف	82
71	أحُدٌ جبلٌ يُحبنا ونُحبه!	الحب	قصة قصيرة	83
72	أحسنتَ وبارك الله فيك	احترام الأم	موقف عارض	85
73	أحمد الجدَع مؤرّخاً وشاعراً ونحوياً	المدح	سيرة ذاتية	86
74	أحمد قَبّش لُغويُّ العصر	المدح	خاطرة	91
75	أخ النمرود من الرضاعة	الهجاء	موقف	92
76	اختلاف بين فريقين	نقد بناء	موقف	93
77	أخجلت تواضعي يا دكتور	الاعتذار	موقف	95
78	أخرْتُ عمّنْ هانَ ردّ سلامي!	العناد	موقف جاد	96
79	اخرجي ولكن استأذني!	النصيحة	موقف هازل	97
80	أخوتان!	بيان الفرق	قصة خذلان	98
81	أخونا أغلى من الإرث	التكريم الحار	قصة وموقف	101
82	ادرسوا قبل إصدار الأحكام	التحقق	موقف تعليمي	102

83	أراجيف الشتاء	الموازنة	موقف تعلمي	114
84	من أرشيفِ الغربة	الاغتراب	قصة قصيرة	115
85	ليتني ارتضيتُ زواجه!	التمني	موقف عسير	116
86	أرجوزة تنتظر أرجوزة	هجاء	موقف	118
87	أردتُ زيداً ، وأرد الله عَمْراً	المفاجأة	موقف	118
88	عفواً أرسلتْ صورتها فقط!	المأساة	قصة صادمة	120
89	تراني عندما أرى لحيتك	الشجاعة	القرار الجاد	123
90	ارجعْ إليا! (التغريدة الثانية اليمنية!)	الاحتساب	قصة مريرة	124
91	أشواق الغربة	الاشتياق	قصة الغربة	124
92	أشواق لها إيقاع	الحنين	موقف	125
93	أشواق وراء المجهول	الدفاع	موقف وخاطرة	126
94	أشواك على الطريق	المخاطرة	موقف	127
95	أشيب لم ينذرْه الشيب	التعيير	موقف	128
96	كيف أصبحت بهم أولى؟!	التبرير	موقف	128
97	اصبر وأنت البصير	الفرحة	موقف	129
98	أبجديات شعرية	كشف الحقيقة	خاطرة	130
99	ابدأ بنفسك ـ نصيحة هامة	النصيحة	موقف	132
100	إبراهيم مصطفى عند الله!	الرثاء	موقف تعزية	133
	شجاعة إبراهيم مصطفى!	الشجاعة	موقف بطولي	136

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (من القصة الأولى حتى القصة المئة)

الخاتمة

على أمل اللقاء بكم أعزائي القراء في الجزء التالي حتى نكمل معاً ثلاثة آلاف قصة وقصة! لنقرأ ونستمتع ونتأمل ونعتبر! فإن العاقل من وعظ بغيره! والقصة خير معلم!

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

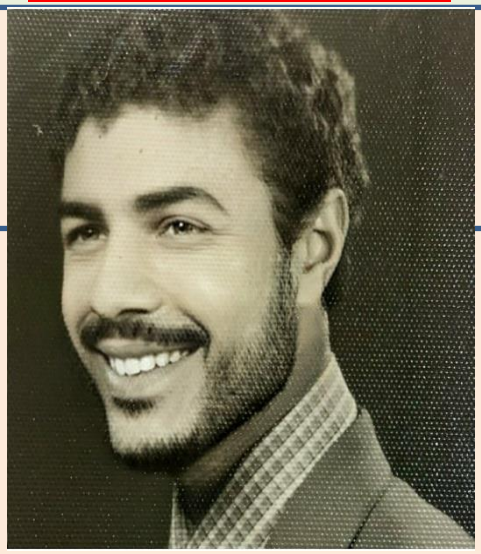

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!